وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي –تبسة–
كلية الآداب و اللغـــــــات
قسم اللغة و الأدب العربي

Laarbi tbessi University –Tebessa
Université Laarbi tbessi –Tébessa

السياق التداولي في قصيدة "البُردة" لتميم البرغوثي

إعداد الطالبة:
سعاد شابي

إشراف الدكتورة:
علية بيبية

جامعة العربي التبسي - تبسة
Université Larbi Tebessi - Tebessa

لجنة المناقشة :			
الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
رشيد عمران	أستاذ محاضر - ب -	جامعة العربي التبسي - تبسة	رئيسا
علية بيبية	أستاذ محاضر – أ -	جامعة العربي التبسي - تبسة	مشرفا ومقررا
عبد الحميد عمروش	أستاذ محاضر – ب -	جامعة العربي التبسي - تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2020 / 2019

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

((وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ))

سورة آل عمران الآية (79)

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

شكر وعرفان

يقول تعالى: في محكم تنزيله

""...وإذْ تأَذَّنَ ربُّكُم لَئن شكَرتُم لأَزِيدنَّكُم..."07

" إنّها لو تأنّقت وتنسقت بخير ما أراه وأرضاه، ما كانت لتكون كما أرادها الله"

فالشكر لله أولا وأخيرا عزّ وجل، الذي أنار لي الدرب، وفتح لي الأبواب، أبواب العلم، وأمدني بوافر الصبر والإرادة، فله الفضل والمنّة من قبل ومن بعد.

" الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيّب من رجاه، الحمد لله الذي هو رجاؤنا يوم تسوء ظنوننا بأعمالنا"

ثم " لا يشكر الله من لم يشكر النّاس".

نتوجه بالشكر إذ ذاك إلى الوالدين الكريمين اللذين قال فيهما سبحانه وتعالى:

{وقَضَى ربُّك أَلاَّ تعبدُواْ إلاَّ إيَّاه وبِالْوالدَينِ إحساناً } (23).

ثم أتقدم بخالص الشكر والعرفان وافر التقدير والاحترام لأستاذتي الكريمة والوفية "الدكتورة علية بيبية"

التي تكرمت بالإشراف على هذه المذكرة، فكانت نعم الموجهة والمرشدة والمعطاء فلك مني أستاذتي الغالية أسمى عبارات التقدير والامتنان ودمت نبعا لنا لا ينضب أبدا.

وإنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن نسترشد ونستضيء أكثر من ملاحظات السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، نشكرهم على اقتطاعهم من وقتهم وجهدهم لتصويب ما اعوج من هذه الرسالة.

ولا يفوتنا كذلك أن نشكر كذلك جامعتنا التي سيرت وهيأت لنا الفرصة في التسجيل والمناقشة وعلى رأسها أساتذتنا الأجلاء قسم اللغة والأدب العربي الذين بنور حروفهم نشق للضلالة الحجب فلهم كل العرفان والامتنان.

وإلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل المتواضع.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الإهـــــــــداء

الحمد لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبعد:

أهدي هذا الجهد المتواضع البسيط إلى عائلتي:

والداي الكريمين،

إخوتي الأعزاء

وأخواتي العزيزات،

إلى كتّة العائلة (كنتنا الأولى) .

إلى كل من صنع لنفسه مكانة في رحاب هذا القلب وهذه الحياة بالألفة والاحترام والتقدير:

من أقارب العائلة ،أصدقاء الدراسة و زملاء العمل...

سعـــاد شابي

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

يعد السياق أحد أهم المرتكزات التي تقوم عليها التداولية، إذ له أثر فاعل في تواصلية الخطاب وانسجامه، وربما لا يكون للخطاب معنى إلاّ بالإلمام بسياقه، كما يسهم في تأطير التبادل التواصلي وإعطائه ضمانات النجاح والفعالية.ويتميز السياق بخصائص تتصل بوضعية الخطاب باعتباره عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب من عناصر تساعد على ضبط المعنى، فيستغلها المتكلم باعتبارها آليات تكشف عنه وتسهم في تأويله حتى يستطيع الوصول إلى مبتغاه من مقاصد وأهداف.

إذ السياقات مجموعة من التصورات الذاتية الشخصية التي تتشكل و تتغير باستمرار أثناء التفاعل بين المشاركين في الخطاب بوصفهم أفرادا ينتمون إلى جماعات ومجتمعات.وعليه يضطلع السياق التداولي بوظيفة أساسية تشتغل على تكوين الشروط المحددة لمناسبة مقتضى الحال فيما يخص التلفظ بعبارات اللغة الطبيعية إذ نظرنا إليها كأفعال كلام.

وانطلاقا من هذا المعطى، كان اهتمامنا بموضوع السياق أيان كان قوليا أو مقاميا والتداولية بوصفها تنظر للسياق كتمثيل موسع للأطر التي يتنزل فيها التواصل اللغوي، ويرسم شروط إنتاج القول، وهذا يتلائم ومفهوم السياق التداولي الذي يسجل حضورا واعيا في مسارات الأدبيين وأقرانهم التداوليين.

ولما كانت هذه الدراسة تحاول الغوص في هذه القضايا اخترنا أن يكون موضوع بحثنا موسوما بـ:

السياق التداولي في قصيدة " البردة" لتميم البرغوثي.

وجاء اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب، لعلّ أهمها:

- ندرة الدراسات التي تعنى بالسياق التداولي كسياق للفعل الكلامي خاصة ما ارتبط بالدراسات التطبيقية فيه-حسب علمنا-
- ندرة الدراسات التي تعنى بحضور هذا المعطى في النصوص الشعرية العربية.
- ميلنا للدراسة التداولية وتطبيق آلياتها على النص الشعري.
- الرغبة في دراسة السياق التداولي وتجليه في الخطابات الشعرية.
- بيان دور الدراسات التداولية في خدمة اللغة و تحديد مقاصدها.
- ضرورة تطوير الدراسات اللغوية ومناقشة قضاياه المركزية

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- اختيار مدونة للشاعر " تميم البرغوثي" ناتج عن تقدير لمكانة هذا الشاعر، على المستوى الإنساني، وعلى المستوى النضالي، وعلى المستوى الإبداعي.
- ثم لأن هذا الشاعر، شاب راح يشق طريقه حديثا بخطى ثابتة على الساحة الإبداعية وأغلب قصائده مازالت بكرا لم يأخذها التحليل بعد. والبردة شرف عظيم لنا بدراستها.

وقد حاولت من خلال هذا البحث وهو دراسة وصفية للسياق التداولي في الخطاب الشعري وبالتحديد في قصيدة البردة " لتميم البرغوثي" الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي يتمثل الإشكال الرئيسي فيها:

- ما أهم العناصر التي بني عليها البرغوثي خطابه لتبليغ مقاصده في قصيدة البردة؟

وتتفرع من هذا الإشكال إشكالات ثانوية منها:

- ما مفهوم السياق وما هي أنواعه وعناصره؟
- ما المقصود بالتداولية؟ وما المعايير المأخوذة في دراستها؟
- ما علاقة السياق التداولي و نظرية أفعال الكلام؟
- كيف يتجسد السياق التداولي في قصيدة البردة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، رأينا هيكلة بحثنا بخطة مقسمة إلى مقدمة وفصلين وخاتمة.

خصصنا الفصل الأول للجانب النظري المفاهيمي، حيث تعرضنا في إطاره إلى العناصر الآتية:

- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للسياق، السياق في الدراسات العربية والغربية، أنواع السياقات.
-المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتداولية، التداولية في الدراسات العربية والغربية، درجاتها، مهامها وعلاقتها بالعلوم الأخرى.
- علاقة السياق بالتداولية.
- مفهوم السياق التداولي ثم فصلنا في عناصره.

وخصصنا الفصل الثاني الموسوم بالسياق التداولي:

- نظرية أفعال الكلام ماهيتها ونشأتها عند الغرب والعرب.
- ماهية الفعل الكلامي وعلاقته بالسياق.
- عناصر السياق التداولي.
- ثم التداولية والخطاب الأدبي.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- وأخيرا :تجليات السياق التداولي في المدونة.

بعد التعرف على المدونة وصاحبها.

وكانت الخاتمة بؤرة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا بخصوص السياق التداولي في قصيدة البردة لتميم البرغوثي.

وقد اعتمدت توظيف المنهج الوصفي مما اقتضته هذه الدراسة، وصفي قائم على وصف القضايا المختلفة ذات العلاقة المباشرة بالموضوع، ومن ثمة تحليلها ومناقشتها انطلاقا مما قدمه المختصون في ذلك.

وقد اهتدت هذه الدراسة - كغيرها من الدراسات – باشعاع طائفة من المصادر والمراجع ذات العلاقة بمحاورها نورد منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي).
- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة لـ "علي آيت أوشان".
- سياق الحال في الفعل الكلامي (سامية بن يامنة).
- السياق التداولي في كتاب بخلاء الجاحظ (اليامنة قرح وسهام عاشور).
- تداولية النص الشعري (جمهرة أشعار العرب أنموذجا) (شيتر رحيمة).
- النص والسياق لفانديك.

ومن الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع الذي عالجناه:

-السياق التداولي في كتاب بخلاء الجاحظ ، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر للطالبتين اليامنة قرح وسهام عاور.

- تداولية الحدث الكلامي – شعر أبي نواس أنموذجا.

مقال لـ علي متعب جاسم وحسين محمد

المقال مستل من أطروحة دكتوراه.

وقد واجهتنا أثناء إعداد هذا البحث بعض من الصعوبات، ككل بحث والتي أبرزها ضيق الوقت بسبب مشاغل متعلقة بالعمل-التدريس- والذي أخذ منا الوقت والجهد والتركيز،ثم :

- ندرة الدراسات التطبيقية الملمة بالموضوع.
- ندرة الدراسات التطبيقية التي اهتمت بإبداعات الشاعر الفلسطيني الشاب تميم البرغوثي.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وما كانت هذه المصاعب سوى دافعا وحافزا لنا نحو الأفضل.

وفي الأخير إنه لا يسعني إلاّ أن نتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة علية بيبية على ما قدمته لي من فضل في توجيهي و الإشراف على بحثي هذا، فلم تبخل بملاحظاتها ونصائحها ولا تعديلاتها.فصرفت معي وقتها وجهدها الثمينين من أجل إخراجه في أحسن وأبهى حلة،.فنسأل الله لها حسن الجزاء والثواب.والحمد لله رب العالمين الذي به نستعين.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الفصل الأول :

اصطلاحات و مفاهيم

- السيـــــــــــاق
- التداوليـــــــــــة
- السيـــاق التداولي

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

المبحث الأول : السياق في الدرس اللغوي :

حظي السياق في الدراسات القديمة و الحديثة باهتمام بالغ، فتنوعت كما تعددت التصورات حوله ،حيث ظل النقطة المحورية في المناهج التي تبتغي تحليل المعنى من وجهات النظر المختلفة .وقد اتضحت مع جهود كل من المفسرين والنحاة، البلاغيين واللسانيين المحدثين، كما تبلور أكثر كموضوع خاص مع أقرانهم التداوليين.

ففي حين نجد –تبعا لذلك- من يربطه بالمحيط اللغوي الذي يحيط بالصوت أو اللفظة أو الجملة نجد من يصله بالوسط الخارجي ككل. ومن أجل توضيح كل ذلك ننطلق من المفهوم اللغوي.

المطلب الأول : ماهية السياق لغة واصطلاحا :

أ- التعريف اللغوي:

وقبل الخوض في كينونة السياق، ووجوده كنظام، لابد أن نحدد ماهيته لما لضبط المصطلح من أهمية في بيان القصد، وسنستهل ذلك بالإشارة إلى التحديد المعجمي لكلمة (السياق) منطلقين من الجذر اللغوي (سوق)، وحين ذاك لابد من النظر في مسألة مهمة في هذه الإحالة القاموسية، وهي:« أن المعاني في المعجم لا ترتبط بالدلالة الواسعة التي شحن بها المصطلح (سياق) وإنما هي تقف فقط على المنطق اللغوي في البدء أي دلالة مرتبطة بتسمية وهو ما نسميه منطلق المعنى أو المعنى المركزي للكلمة».[1]

1- لفظة السياق في المعاجم "العربية":

نجدها في لسان العرب لابن منظور(ت 711 هـ) تحمل معنى التتابع «فتقول: تساوقت الإبل تساوقا وانساقت إذا تتابعت، والمساوقة، المتابعة، وكأن بعضها يسوق بعضا، وسميت السوق سوقا لأن المبيعات تساق نحوها ويقال لمن ولدت ثلاثة بنين على ساق واحدة أي ثلاثة أولاد ساقا على ساق، أي واحد في أثر واحد».[2]

---

[1] – هامل شيخ :«السياق ونظرية التواصل طرح رومان جاكسون مثالا» من الأن سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لبنان، العدد 05، 2015، ص03.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 10، ص 166 ،167.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فالتتابع بين الأشياء، هو التساوق، ولا يكون متتابعا إلا إذا كان له غاية لابد من الوصول إليها، فلا تساق الإبل إلا لغاية، وكذلك سوق المبيعات إلى السوق فالسياق في اللغة يدل على تتابع وانتظام في الحركة من دون انقطاع أو انفصال، للتوصل إلى غاية محددة.

أما في أساس البلاغة للزمخشري نجد له إشارة إلى السياق في مادة (سوق)، يقول: «ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، و المحتضر يسوق سياقا، وفلان في ساقه العكس، وفي آخره وهو جمع سائق كقادة في قائد وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و "إليك سياق الحديث"، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده ...»[1]

وفي هذا الحديث رابط واضح للفظ السياق والحديث (الاستعمال) في الاستعمال المجازي له«فكما تساق النوق والغنم في قطيع واحد كذا تساق الكلمات في جمل و عبارات وهذا هو وجه الشبه بين السياق في معناه الحسي والسياق في معناه اللغوي»[2] ومنه جاء "سياق الكلام" و"سياق الحال" وغيرها...

وجاء في المعجم الوسيط مرادفا للمهر «وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، والسياق: النزع، يقال: هو في السياق: الاحتضار».[3]

وهي المعاني نفسها التي تقدمت في (لسان العرب) و (أساس البلاغة) رغم كون الوسيط قاموسا حديثا، وكذلك هو الأمر مع المعاجم العربية الحديثة الأخرى كمعجم العربية المعاصرة لـ"أحمد مختار عمر" ومعجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة فكلها وإن لم نبالغ معاجم قاصرة، لم تضع هذا المصطلح ضمن إطاره العلمي، إذ لم تدرك الدلالة الحقيقية له.

ومنه نستنتج من الأقوال السابقة أن معاني السياق تقوم على دلالات :

1- الدفع: أي دفع الإبل وسوقها، وعن أبي عبيد تساوقت الإبل تساوقا إذا تداعت، وتعاقبت.

2- المهر: حيث كان المهر في الأصل إبلا تساق للمرأة عند الزواج بها.

---

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ج1،ص 484.

[2] - عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص 27.

[3] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط3، مطابع الأوقشت، شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة،1985، ج 1 ،مادة "سوق"،ص482 .

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

3- الموت ونزع الروح.

4- ارتباط كلمة السياق بالحديث والكلام كما جاء عند الزمخشري. فالمعاجم العربية إذن كما قلنا تكاد تتفق حول هذه المادة، إذ كلها مفاهيم تحضر بقوة في الانتاج اللغوي باعتباره تتابعا و انقيادا للأصوات والكلمات و العبارات، وفق ضوابط الاستقامة اللغوية، وما يمليه التواضع و الاتفاق بين أفراد الجماعة اللغوية المعينة.

2- مصطلح (سياق) في المعاجم الأجنبية:

I- القواميس العامة:

أ)- قاموس الجيب (La russe de poche):

حدد لفظ السياق في هذا القاموس كما يلي:

السياق: هو ما يصاحب، يسبق أو يتبع نصا، للتوضيح

ب)- روبير الصغير من تأليف آلان ري ودي بوف:

حاول واضعاه أن يحددا السياق اعتمادا على تعريفين:

السياق:

1- مجموع نص يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ) ويتعلق بمعناها وقيمتها.

2- مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما فهناك السياق السيكولوجي للتصرف، والسياق السياسي، العائلي: ...[1]

ويظهر من خلال القاموس إحاطة بمعنى السياق الداخلي و الخارجي مما لم نلمسه في معاجمنا العربية.

II- القواميس المتخصصة :

أ- معجم تحليل الخطاب لمنغنو وشارودو:

ورد في المعجم: «عن سياق كل عنصر ما **س** هو مبدئيا كل ما تحيط بهذا العنصر، وعندما تكون **س** وحدة لغوية (صوتم، صرفم، كلمة جملة، ملفوظ)، فإن محيط **س** يكون في الآن نفسه من

[1] – علي آيت أوشان، السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1،دار الثقافة مؤسسة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء،2000، ص 31.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) وغير لغوية (السياق المقامي والاجتماعي الثقافي) »[1] ، وإذ ذاك يمكننا القول بأن السياق يستعمل بحسب منغنو وشارودو إما إلى المحيط اللغوي للوحدة (السياق المقالي)، وإما إلى مقام التخاطب.

و سواء أكان لغويا أو غير لغوي فالسياق يمكن تصوره بطريقة ضيقة (السياق المباشر) أو واسعة (السياق الموسع) يدمج المعجم الإطار الزماني والمقام الاجتماعي المحلي الذي ينخرط فيه التبادل التواصلي والمشاركون في هذا التبادل (الأوضاع والأدوار والخصائص والعدد، العلاقات القائمة بينهم أيضا) يدمجه في السياق الضيق، وينتمي إلى السياق الواسع جملة عناصر السياق المؤسساتي، وتكون صورة السياق آنذاك مثل سلسلة لا نهائية من التضمنات : فكما أن الإطار المادي الأقصى هو مجموع العالم المادي، فكذلك الإطار المؤسساتي الأقصى هو مجموع العالم الاجتماعي. [2]

وعليه فقد قسم هو بدوره السياق إلى عناصر تجعل منه واسعا أو ضيقا مهما يكن لغويا كان أم غير لغوي.

القاموس الموسوعي للتداولية جاك موشلر - آن ريبول[3]:

أورد كل من جاك موشلر وآن ريبول تحديدات مهمة تتعلق برحابة الأفق التداولي مقارنة بالدراسات البنيوية، فحسب أثنوجرافيا التواصل (غمبرز Gamperz، وهايمز HYMES) التي حسبها لا يمكن فصل القول عن الإطار الاجتماعي والثقافي الذي ينجز فيه، تشمل الكفاءة اللسانية الكفاءة التواصلية. فمجموعة المعارف الثقافية والتعاملية تمثل قدرة على الفعل بطريقة مناسبة في السياقات أو المقامات المخصوصة. وفي هذا الإطار تعود اللسانيات إلى اللسانيات الاجتماعية أي أن دراسة عملية تنزيل اللغة في السياق (غمبرز، Gamperz) والتنوع اللساني (La bou) وطقوس التعامل (غوفمان Googman) تسيطر على دراسة النظام. 3- ينظر: هامل شيخ ،المرجع نفسه،ص 06،07.

---

[1] - باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ط1، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 133،134.

[2] – ينظر: هامل شيخ :«السياق ونظرية التواصل طرح رومان جاكبسون مثالا» من مجلة الآن، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد، 05، 2015، ص 04.

[3] – جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجموعة من الباحثين،إشراف: عزالدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة،دار سيناترا، تونس، 2010 ، ص 37-38.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وباختصار فإن التركيز في دراسة اللغة واقع على وظائفها وليس على أبنيتها، أي إن النظام اللغوي مرهون بسياق يحتضن الدلالة ويبين مسارات التواصل التي تتعدى الإبلاغ إلى وظائف أخرى تثمن دور عنصر السياق وما يحيل إليه من تطويع وتحريك.

ويمكن أن نلاحظ من خلال التعريفات السابقة التي وجدناها في المعاجم أن كلمة سياق في القاموس العربي تختلف عن مصطلح Contexte الذي وجدناه في المعاجم الغربية والذي ترجمناه لمصطلح سياق، اختلاف مردُّه تربة الثقافة والمكون المعرفي لكل منهما.

المفهوم الاصطلاحي:

أما المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح فيصعب تحديده تماما، وهذه الصعوبة أدت إلى تعدد البحوث فيه، وتعدد المقاربات حوله.

وقبل أن نغوص في توضيح مفهوم "السياق" لابد لنا من أن نشير أولا إلى أنه عادة ما يستعمل عند دارسينا مقابلا للمصطلح الأجنبي (Contexte) والتي تتكون من مقطعي "text" و"Cont " اللاتنيين ويعنيان "**مع النسيج**"، حيث استعمل المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النص، أي تلك المجموعات من الكُلمات المتواصلة مكتوبة أو مسموعة.[1]

ويمكننا أن نستنتج سبب هذا الربط بين المقطعين لما له من دلالة واضحة ودقيقة على معنى المصطلح إجمالا من جمع بين الداخل(البنية) والخارج (القرينة).

وقد أشار عبد الفتاح البركاوي إلى أن مصطلح السياق (Context) قد اتخذ عدة معاني هي: ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص، كما يعني قيود التوارد المعجمي، كما يعني النص اللغوي الذي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملا سواء أكان ذلك النص مكتوبا أو ملفوظا « كما يعني أيضا الأصول و المواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام».[2]

كما أن للمعنى اللغوي – التتابع - أثر كبير في تعريف المصطلح حيث يقول تمام حسان: «المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم يمكن أن تنظر إليه من زاويتين: أولا هما توالي العناصر التي تحقق بالسياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق (سياق النص)، والثانية توالي الأحداث التي هي

[1] – ينظر:عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديثة، ط1 ، دار المنار ،القاهرة،1991، ص 45.

[2] – عيد بليغ، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، ط1،بلرنسية، للنشر والتوزيع، 2008، ص 126.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ نسمي السياق "سياق الموقف" بهذا نرى أن سياق النص إما أن يكون قرينة تركيبية (نحوية أو معجمية) أو دلالية (قوامها العلاقات النصية)، أما سياق الموقف فإما أن يكون ذا دلالة واقعية أو ذهنية، فالواقعية مبناها على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العملية في إطار الموقف الذي وقع فيه الكلام، أما الذهنية فإنها تنشأ عن تداعي المعاني بحيث يثير بعضها بعضا من تسلسل منطقي»[1]. و قد شكل هذا المفهوم النقطة الأساسية في الدراسات التداولية باهتمامها بالسياق غير اللغوي من حيث ظروف و ملابسات الحدث الكلامي.

وخلاصة لما سبق فإن السياق في مفهومه العام يقوم على تلك المعطيات اللغوية وغير اللغوية التي تتفاعل في الإنتاج اللغوي، والتي ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا. كما يجب أن نشير هنا إلى أن السياق بهذين النوعين اللغوي وغير اللغوي يشكل نسقا من العناصر التي تمد الدارس بكيفيات فهم الخطاب اللغوي وتأويله التأويل الصحيح.

أنواع السياق:

إن تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها، والذي يؤدي إلى أنواع عديدة من السياقات ومن التصنيفات المشهورة عند الدارسين وعلماء اللغة المحدثين تقسيم السياق (Contexte) إلى قسمين رئيسيين هما: السياق الداخلي والسياق الخارجي، « ويعنون بالسياق الداخلي الوحدات اللغوية التي تسبق أو تلحق أو تصاحب وحدة تركيبية معينة، وهو ما يعرف أيضا بالسياق اللغوي (Contexte verbal) ويعنون بالسياق الخارجي الظروف المختلفة التي يقع فيها حدث معين وتحدد معناه، سواء أكانت هذه الظروف مستقرة أم متغيرة».[2] وهو يشمل: سياق الموقف (Contexte of situation)، والسياق الثقافي (Contexte Culture)، والفرق بينهما أن سياق الموقف يشير إلى الظروف المتغيرة التي توجد لحظة كتابة النص أو قوله، في حين يشير السياق الثقافي إلى تلك البيئة الثابتة أو المستقرة التي ينشأ فيها النص.

[1] - تمام حسان، اجتهادات لغوية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر،2007،ص 237

[2] – عرفات فيصل المنّاع: «السياق والأمثال العربية» من مجلة الآن، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد05، 2015، ص 156.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

السياق اللغوي: (المقالي) Linguistique Contexte

هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة مجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاص محدد، ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك[1].

ويبين الحديث كون السياق اللغوي نسق النص وبنيته الداخلية .وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه "عبد القادر عبد الجليل" حيث يرى أن السياق اللغوي هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي تسبح في نطاق التركيب، لأن المعنى الذي يقدمه السياق لاسيما اللغوي، هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد، ولذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتية، الصرفية، النحوية، التركيبية، المعجمية والدلالية)" للوقوف على ذات الكلمة وأهميتها.[2]

السياق غير اللغوي The contexte of the situation:

ويعني به الخلفية غير اللغوية للكلام أو النص، أي مجموع العناصر غير اللغوية التي يكتسب الكلام أو النص من خلالها تمام معناه في الاستعمال ومن هذه العناصر الكلام السابق، و الإطار الاجتماعي الذي يتم فيه الخلفية غير اللغوية للكلام من حيث كونها عنصرا أساسيا في المعنى يوازي في أهميته العوامل اللغوية نفسها كالأصوات والتراكيب.[3]

فمن أجل فهم نص ما يجب معرفة كل القرائن والظروف التي تحيط به، باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس والغموض عن النص.

إذ ما يؤديه السياق للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية يتطلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها، ولذلك يمهد عادة للآثار الأدبية بدراسة للبيئة الزمانية والمكانية، وللملابسات الشخصية لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأثناء.

كما يمكننا أن نقول أنه يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن يقع فه الكلمة فتتغير دلالتها تبعا لتغير الموقف أو المقام وقد أطلق اللغويون على هذه الدلالة مصطلح- الدلالة المقامية-[4] وقد أشار

---

[1] - ينظر: أحمد قدور ،مبادئ اللسانيات، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ، بيروت، لبنان، 1996، ص 295.

[2] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء للنشر، عمان، 2002، ص 542.

[3] – ينظر: فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، ص114،115.

[4] – ينظر: منقورعبد الجليل، علم الدلالة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 20.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

اللغويون العرب القدامى إليه، كما عبر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام)، ويرى الدكتور تمام حسان أن ما صاغه مالينوفسكي تحت عنوان " contexte of situation" سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما يفق فمراعاة المقام أو مراعاة، ما سماه العرب القدامى، مقتضى الحال أو الغرض تجعل المتكلم يعدل عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح ويوافق التحكم في سياق الموقف ما اسماه "هايمز" بالملكة التبليغية الذي يرى «أن اختيار معنى ما عوض آخر غير راجع إلى عملية معرفية بل إلى إدراك المقام الذي تأخذ فيه الجملة معناها».[1] وهو ما يجعلنا نلاحظ تقارب الرؤى وتقاطعها بين الدراسات العربية القديمة ونظيرتها الغربية التي تنظر للسياق كمحيط غير لغوي يحتضن النص.

ويتجلى مما سبق أن مفهوم سياق الحال مرتبط بكل المعطيات الخارجية والملابسات التي ينتج في رحابها الكلام، ويكون لها تأثير في نوعية القول من جهة ، وفي تبليغ مقاصده من جهة أخرى ، والتي تتمظهر من:

- شخصية المتكلم و المتلقي وتكوينهما الثقافي، وطبيعة العلاقة التي تكون بينهما باعتبارهما طرفي العملية التواصلية.

- العوامل و الظواهر الاجتماعية والنفسية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي؛ كمكان الكلام و زمانه أو غير ذلك من المعطيات التي تؤثر في مجريات الكلام.

- كل ما يطرأ أثناء الإنتاج الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الاتصالي أيا كانت درجة تعلقه.

- الآثار الناتجة للحدث الكلامي عبر مسرح الكلام؛ كالإقناع أو الغضب أو الإغراء أو الابتهاج وغير ذلك[2]. وفي هذا الحديث إشارة واضحة لأهم العناصر التي تشكل المقام وهي المتكلم و المتلقي و ما يتصل بهما ثم العلاقة بينهما، الموقف الكلامي، والظروف الخارجية للخطاب.

ومما سبق يمكننا القول أن السياق في الأصل نوعان :لغوي تتضافر فيه مستويات الدلالة، وغير لغوي يحيط بالنص، وأنه –هذا الأخير- لا يمكن أن يفهم تماما وبدقة خارج سياقه اللغوي أو غير اللغوي كما ذهب إلى ذلك تمام حسان حين قال: «يعتبر النص (المقال) منطوقا كان أم مكتوبا،

---

[1] – ينظر: تمام حسان،اللغة العربية مبناها ومعناها، ط1،دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 372.

2 - ينظر : جبل محمد حسن، المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريا و تطبيقيا، ط1،مكتبة الآداب للطباعة والنشر و التوزيع، 2009، ص339.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

غير منبت عمن ساقه وسيق إليه ولو أننا حاولنا فهم المقال منفصلا عن المقام لجاء فهمنا إياه قاصرا مبتورا خاطئا..».[1]

كما أن هناك أنواع أخرى للسياق ونذكر منها ما يلي:

السياق الثقافي: Contexte cultural

ويقوم هذا السياق على :«تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن نستخدم فيه الكلمة، أي أن كل طبقة ثقافية لها كلمات خاصة بها أو حقل دلالي خاص بها، وتكون هذه الكلمات مختلفة الدلالات من مجموعة إلى أخرى»[2]، ويظهر هذا النوع من السياق في استخدام كلمة معينة في مستوى لغوي محدد، واستخدامها مرتبط بالثقافة. فالقيمة الثقافية والاجتماعية المحيطة بالكلمة تعطيها معنى محددا تبعا لتلك القيمة .ويقول ناصر حامد أبو زيد في قضية السياق الثقافي :«السياق الثقافي للنصوص اللغوية كل ما يمثل مرجعية معرفية لا مكانية التواصل اللغوي».[3]

السياق العاطفي أو الانفعالي Cotexte émotionnel

ويقوم هذا السياق على تحديد درجة القوة والضعف والانفعال، وما سيتتبعها من دلالات التأكد والمبالغة والاعتدال .

و كمثال على ذلك كلمة الحب في اللغة العربية وكلمة العشق تشتركان في الدلالة الأصلية في عقول المتكلمين باللغة العربية، إلا أنهما مختلفان في البنية اللغوية من جهة غير أنهما تختلفان في بنيتهما اللغوية، من جهة أخرى، وفي الإيحاءات والهوامش الدلالة الجانبية من جهة ثالثة .[4]

فالسياق العاطفي هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة إذا كان استعمالها عاطفيا أو موضوعيا، ويتعلق بدرجة القوة والضعف في الانفعال فالمتكلم يختار الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية إذا تحدث عن أمر فيه شدة وانفعال.

---

[1] – تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، مرجع سابق، ص 351.

[2] - محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،2007، ص148.

[3] - ينظر علية بيبية: السياق ودلالته في القصص القرآني، قصة موسى عليه السلام أنموذجا، ط1، مرايا للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، 2017، ص 14،15.

[4] – ينظر: حسام البهنساوي، علم الدلالة و النظريات الدلالية، ط1،مكتبة زهراء الشرق ،2009،ص70.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

السياق في الدراسات العربية :

من البيّن أن السياق بوصفه أداة إجرائية ليس من مبتكرات الوعي اللغوي الغربي الحديث وإنما هو متجذر في الممارسات التأويلية التراثية العربية التي تشهد بها مصنفات الأصوليين والمفسرين والبلاغيين وغيرهم إلا أن: «الفارق بين العرب والغرب هو أن أحدا من العرب لم يتخذ من فكرة السياق نظرية علمية متكاملة الأبعاد يؤديها بالحجج والبراهين في ضوء منهج البحث اللغوي الحديث»[1].

فإن الذي يحيل نظره في التراث العربي إن عند النُحاة أو عند البلاغيين يجد اهتماما بالغا بالسياق اللغوي وغير اللغوي، وتقف نصوصهم شاهد صدق على هذا الاهتمام، «فقد أدرك بلغاء العربية القدامى ظاهرة السياق من خلال عباراتهم (مقتضى الحال)» التي أنتجت مقولتهم (لكل مقام مقال) ولكل كلمة مع صاحبا مقام، فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام وربطها بالتركيب والصياغة، فربطوا الشكل اللغوي أو الأسلوب اللغوي بالمقام وألحوا على قيمة دراسة كيفية عمل الكلمات دراسة مفصلة، فأصبح معيار الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق (بمقتضى الحال) و(المقام).

وينطبق مفهوم المقام في النظرية اللسانية العربية على: «مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين وأهمها زمان التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب وخاصة الوضع التخاطبي ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب وخاصة الوضع التخابري القائم بينهما، أي مجموعة المعارف التي تشكل مخزن كل منهما أثناء علية التخاطب»[2]، في حين كان حد المقال في المنطوق أو المكتوب من الخطاب الذي يرتبط إنتاج من قبل المتكلم بزمان ومكان معينين، لمخاطب معين، في وضع تخابري معين.

وفيما يلي بعض المواضع التي تجلت فيها عناية النُحاة والبلاغيين والمفسرين والأصوليين بالمقال والمقام أو ما يعرف في النظرية اللسانية الحديثة بالسياقين اللغوي وغير اللغوي.

---

[1] - خالد عبودي حمودي وزينة جليل عبد، دراسة موازنة في أصول المباحث الدلالية بين الفقهاء و المتكلمين، مركز البحوث و الدراسات الاسلامية، جمهورية العراق،ط1 ،2008،ص 210.

[2] – صلاح الدين ملاوي وليلى كادة: «السياق في المنجز اللساني العربي، النُحاة والبلاغيون أنموذجا»، مجلة الآن سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد05، 2015، ص 79،80.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- **السياق عند اللغويين:**

لقد اهتم اللغويون بالسياق و أولوه عناية وتكلموا فيه طويلا منذ بداية جمع اللغة، والتقعيد لها، فنجد أبو عمرو بن العلاء يقر بذلك عندما سئل: « أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ ثم قيل له : أفكانت تجوز، قال: نعم ليحفظ عنها »[1]، أي أن العرب كانوا إذا تكلموا يهتمون بالسياق الذي يتحدثون فيه، فإذا كان المراد من الحديث التبليغ أسهبوا وإذا كان هدفهم حفظ السامع بما يقال أوجزوا لتسهيل العملية عليه.

ويظهر اهتمام اللغويين بالسياق نظرا لأهميته في الوصول إلى كشف المعاني الغامضة والمبهمة من التركيب، ولم يقتصر اهتمامهم على العناصر اللغوية فقط، بل اعتمدوا على «المقال وحال المخاطب فقد أدرك اللغويون تماما الإدراك أن عناصر الخطاب متكاملة لتبدي عنصر الإبلاغ فيه كملحظ أساس في قبول المجل أو عدم قبولها، فتصبح فائدة المخاطب في صياغة الجملة أو العبارة».[2]

إنَّ الذي يصفه اللغويون وما تكشفه اللغة نفسها أن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية وهذا ما أوجب أن يكون هناك دال على المقصود من متعدد المعنى. ومن ذلك اهتم اللغويون بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها إذا تطرق "سيبويه" (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاءات 769م) بعد إشارته إلى "أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك ... إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام لقوله: فمنه 1- مستقيم حسن، 2- محال،3- مستقيم كذب، 4- مستقيم قبيح، 5- ما هو محال كذب"، فالمثال الأول يتمثل في: أتيتك أمس، وسآتيك غدا، وأما الثاني: فأن تنقض أول كلامك بآخره، ومثاله: أتيتك غذا وسآتيك أمس، وما يليه حملت الجيل، وشربت ماء البحر، وأما الرابع، فأن تضع اللفظ في غير موضعه ومثاله: قد زيد رأيت، وآخرهم مثاله: سوف أشرب ماء البحر أمس».[3]

«فالكلام المستقيم إما كذب أو قبيح، بعد أن لا يكون المحال كلاما ابتداء كما قال – أبو الحسن الأخفش" (215هـ)»[4]

---

[1] – فوزية طويرات، السياق وتجليات تطبيقه في القرآن الكريم، ص 15.

[2] – خلود العوش، الخطاب القرآني لدراسة العلاقة بين النص والسياق،ط1، عامل الكتب الحديث، الأردن، 2008.

[3] - ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مج1، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، إشراف، د عبد الفتاح عبد العليم البركوي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1418م، ص 48.

[4] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مرجع سابق، ص 50.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ونلاحظ مما سبق اعتماد مذهب اللغويين على معيار الصدق أو الكذب ولابد من توائم التركيب مع الواقع الخارجي (الموقف).

وتنبهوا أيضا إلى أهمية دراسة النص في سياقه الذي قيل فيه، فكثير من النصوص لا تعطي المعنى المقصود إلا بالرجوع إلى مواقفها التي قيلت فيها، وهذا دعاهم إلى البحث في أصناف تحقيق الدلالة، وهي عند الجاحظ خمسة: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصية: والنصية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات كما ان كلمة السياق قد تطور مدلولها من الدلالة على مجرد فعل السوق إلى الدلالة على كيفية هذا السوق وظروفه، وما يصاحبه، وما يجري عليه أسلوبه وهو المعنى التي تدل عليه كلمة السياق، أي إنها أطلقت في البداية على سوق الأشياء المادية المحسوسة كالإبل وغيرها

ثم تطور مدلولها بعد ذلك لتطلق على الكلام ويقصد بها إذ أطلعت على الكلام خاصة، الإيراد والتأدية والسرد والمجرى والأسلوب ذلك أن الدلالة الظاهرة للفظ قد تكون عين الدلالة التي أرادها المتكلم أن تفهم من كلامه ومن هنا وجدنا قسما كبيرا من أعمال اللغويين قديما انصب على التنبيه إلى هذه القضية وأن دلالة الكلام ليست بالضرورة ما يدل عليه ظاهر لفظه.[1]

فاللفظ ليس الذي يؤدي الدلالة عند اللغويين وإنما ثمة عناصر أخرى تعمل جنبا إلى جنب مع الألفاظ وليست تابعة لها وهذه العناصر التي تحدث عنها الجاحظ والرماني، يتحدث عنها اليوم علماء اللغة الغربيون بعدها عناصر مكونة لسياق الموقف.

فعند المعجميين القدماء تعددت وسائل تحديدهم للمعنى ولعل من أهمها:

«* التفسير بالمغايرة، وأكثر ما يكون التعبير عنها باللفظ لنقيض أو الضد أو الخلاف.

* التفسير بالترجمة: ويكون بشرح المعنى بالكلمة أو كلمات باللغة نفسها أو من لغة أخرى.

* التفسير بالمصاحبة: وهو ما يصحب الكلمة من الكلمات وهو جزء من معناها الأساسي.

* التفسير بالسياق: سواء أكان لغويا أم مقاميا».[2]

ويظهر من خلال الوسائل السابقة أن السياق عنصر مهم من عناصر تحديد المعنى عند المعجميين، والذي يتصفح بعض المعاجم «لا يجد شروحا للألفاظ وتباينا لمعانيها إلا من خلال الأمثلة السياقية من القرآن أو الحديث، أو الأمثال والأشعار، وعلى هذا نقول أن المعاجم نفسها لا

[1] – ينظر: مسعود بودوخة، السياق والدلالة، ص 77.

[2] – عبد الله درويش، المعاجم العربية الفصلية، ط1، مكة المكرمة، 1406هـ، ص 102.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

تقوم إلا على شواهد تبين معنى اللفظ من السياق».[1] وهذا ما يعكس اهتمامهم البالغ به، فجعلوه أسا لا مناص منه في دراساتهم اللغوية منذ أن انصرفوا لدراسة لغتهم و التقعيد لها.

السياق عند النحويين:

كانت جهود النحاة الأوائل منصبة على تعليم القواعد وتلقينها للمتعربين يسهل عليهم التمكن من اللغة العربية والدراسة الدلالية في مرحلة التأسيس لم تكن ذات أهمية وأن وجد هناك حديث عن المعنى فإنما هو عن معنى الأبواب النحوية كالفاعل ونائبه والمفعول والحال والتمييز والبدل والمبتدأ ... إلخ.

وهذه المعاني إنما تحرسها قرائن صوتية كالعلامة الإعرابية ونغمة الكلام، أو صرفية كالبنية الصرفية والمطابقة والرابط والأداة، أو تركيبية كالنظام والرتبة، ومعنى هذا أن للأبواب النحوية وظائف تكشف عنها القرائن

أو بعبارة أخرى معان وظيفية للقرائن المستمدة من الأصوات والصرف، والمماثلة في التركيب والسياق.[2]

لذلك اعتد النحاة في منظومتهم النحوية بعنصر السياق، وكانوا به أعنى وأشد اتصالا، وقد كان (الخليل بن أحمد الفراهيدي) (ت 175هـ) من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على السياق اللغوي في دراسته للتراكيب، فهو يصنف في خانة الرواد الذين اهتموا بالعناصر المشكلة للموقف الكلامي وغيرها من العناصر التي ترتبط بالمقام.[3]

فترى الخليل ابن أحمد الفراهيدي لا يجد مندوحة عن استحضار إرادة المتكلم في توجيه ما انصب على التعظيم والمدح في نحو: الحمد لله أهل الحمد، فقد زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم تره أن تحدث الناس ولا من تُخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناء وتعظيما.

---

[1] – محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الفكر ، دمشق، 1999م، ص 40.

[2] – ينظر: تمام حسّان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص 291.

[3] – ينظر: محمد سالم صالح، الدلالة والتعقيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م، ص 3369.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وقد سار على نهج (الخليل) تلميذه (سيبويه) مهتما بالسياق وما يصاحبه من ملابسات خارجية، فكتاب سيبويه: «يمثل مظهرا من مظاهر اهتمام اللغويين بالسياق لبيان مجرى الكلام، فاللغة عند سيبويه لم تكتنف عن ملابسات استعمالها، ومقياس اللغة عنده يستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي، كما يستمد من معطيات السياق الاجتماعي الذي يكتنف الاستعمال اللغوي».[1]

إذن فقد أدرك النحاة أثر السياق و المقام في فهم الجملة، إذ هي خاضعة لمناسبات القول ثم لعلاقة المتكلم و المخاطب، لما لذلك من أهمية في إفادة الكلام وتأديته غرضه، ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء و القبول.

ويذهب إليه عبده الراجحي مذهبا مغايرا تماما ويتجه وجهة أخرى إذ يرى أنه لا يمكن نفي جانب المعنى أيضا عن النحو بأي حال من الأحوال وحتى إذا افترضنا جدلا أن النحو العربي قد نشأ في البداية إثر حادثة معينة أبرزت خطورة اللحن في قراءة القرآن، فإن النحاة رأوا فيه بعد ذلك وسيلة فعالة في ضبط الفهم وسلامة المعنى فكثير من النحاة يحولون على المعنى ولو كان يخالف ظاهرة اللفظ وقد يخالف أحيانا بعض القوالب التي وضعها النحاة أنفسهم وهنا كانوا يستهدفون السياق لاستيضاح المعنى.[2]

يقول السيوطي: «... وصناعة النحو قد تكون فيها ألفاظ مطابقة للمعاني وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء وهي في المعنى إلى شيء آخر، إذا علم المخاطب غرض المتكلم، وكانت الفائدة في كلتا الحالتين واحدة»[3]

وعليه، فهناك تواصل بين النحو والمعنى وذلك من خلال الاستدلال بالمعنى على وجوه الإعراب، و كذا اختيار وجه دون غيره وكذلك الكشف عن دلالة الأوضاع النحوية وتعليل الأحكام.

---

[1] – نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص 92.

[2] – ينظر: مسعود بدوخة، السياق والدلالة، ص 88.

[3] – مسعود بدوخة، السياق والدلالة، مرجع سابق، ص 88.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وبين هذا وذاك يمكننا تحصيل ما يلي: أن السياق بنوعيه كان قطب الرحى في المنظومة النحوية و قد أكسب هذا الاهتمام بالسياقين اللغوي و غير اللغوي العربية تنوعا وثراء في الأساليب اللغوية.

السياق عند البلاغيين:

لقد شكل مفهوم السياق في الأعمال البلاغية المحور الرئيسي الذي وجّه الدراسات التي نشأت في ظل الإعجاز القرآني، وتمحورت الدراسات السياقية بشكل خاص حول سياق الحال أو القرائن المقالية والمقامية.

فأما مصطلح (مقتضى الحال) فقد اهتم به علماء (علم المعاني) و (الحال) في اصطلاحهم يعدل (مقتضى الحال)[1]. فمن الواضح أن أهل علم المعاني اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع والتعريف يقتضي أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل ان يتكلم، حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق وحال المستمع.

وإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل "السياق اللغوي" فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوه عناية كبيرة، وليس أدل على ذلك من ربط العلامة عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، حيث يقول: «وجملة الأمر أنَّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنَّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها، فإنا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى : (واشتعل الرأس شيبا)[2]: إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف والكلام ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا»[3]

ويقول في موضع آخر «فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة للمعانى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»[4]

---

[1] - صلاح الدين زروال ،الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مرجع سابق،ص435.

[2] – سورة مريم الآية 04.

[3] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، فايز الداية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1428هـ، ص 364.

[4] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 92.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ويتضح جليا من خلال النصوص السابقة أن الجرجاني كان شديد العناية باستعمالات اللغة، واهتمامه بالنظم و خصائصه و التعليق بين الكلم إلا دليل واضح على نظرته الشمولية، ومنهجه القويم.

لم تكن عناية عبد القاهر بالسياق اللغوي فحسب، بل اهتم أيضا بالسياق غير اللغوي ، فإذا ا نظرنا إلى "المقام" على أنه يمثل "سياق الموقف" وجدنا ذلك أيضا واضحا عنده، فنجده يربط الكلام بمقام استعماله، وهو لب دراسة المعنى اللغوي عنده، ومنبثق من نظريته للنظم، وثار على اللغويين العرب، لأنهم لم يستفيدوا من مبدأ جيد وضعه سيبويه، مؤداه ربط الكلام بمقام استعماله[1]، بل وقع في ظنهم أن كل تقديم أو تأخير أو حذف ... إنما هو العناية
و الاهتمام كما قال صاحب الكتاب.[2]

وأورد قول النحويين:«إن معنى ذلك أنه قد تكون أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعبث ويفسد ويكثر الأذى أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شيء، فإذا قُتل وأراد مريدٌ الإخبار بذلك فإنه يقدَّم" ذكر الخارجي فيقول: قتل الخارجي زيدٌ، ولا يقول قُتل زيدٌ الخارجي، لأنه يعلم ... من حالهم أن الذي هم متوقعون له، ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد، وأنهم قد كفوا شَّره وتخلصوا منه، ثم قالوا – أي النُحاة- فإن كان رجلٍ ليس له باس ولا يقُدر فيه أنه يقْتل رجلا وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنه يقدم ذكر القاتل، فيقول قتل زيدٌ رجلاً، ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس ن شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعدُه كان من الظن».[3]

إن المتأمل لجهود عبد القاهر، يدرك أن للرجل رأيا حصيفا و عناية فائقة بالسياقين اللغوي وغير اللغوي، فاختلاف التراكيب إنما هو تحويل إجباري يقتضيه المقام الذي تتولد فيه التراكيب. فغيبابه إنما يعجزنا الاستدلال بكلام المتكلم عما يريده. فالبلاغة كمال المعنى.

[1] – ينظر: البدراوي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني في (المفتن في العربية ونحوها)، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص 238، 242.

[2] – أبو بشر عمر عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص 34.

[3] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 136، 137.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ويرى الدكتور كمال بشر، أن البلاغيين: قد وفقوا في إدراك الشيء مهم في الدرس اللغوي وهو المقام، ولكنهم – كعادتهم- طبقوه بطريقتهم الخاصة، لقد كانت عنايتهم في «المقام موجهة نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها، ولهذا كانت نظرتهم إلى المقام أو مجريات الحال أو ما يسميه هو المسرح اللغوي نظرة معيارية لا وصفية »[1] ... وبذلك يختلف المقام عند البلاغيين عن سياق الموقف عند المحدثين، أضف إلى ذلك أن المقام عند البلاغيين معيار جمالي، أي يحكم بمراعاته ببلاغة المقال وبعدم مراعاته بعدم البلاغة، وبهذا يكون النحاة أقرب إلى مفهوم "سياق الحال أو الموقف" من البلاغيين.

ومن خلال كل ما تم ذكره نستنتج أن علماء البلاغة قد أسهموا أيما إسهام في مجال العناية بالسياقين اللفظي والمقامي، ويتجلى إسهامهم هدا في العناية بالمقاصد و سياقات استعمالاتها اللفظية وغير اللفظية،و السياقات القائمة داخل الخطاب و خارجه.

السياق عند الأصوليين:

لقد تفطن الأصوليون إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية لابد فيها من ملاحظة السياقين، اللفظي والحالي للوقوف على طبيعة النص دلاليا، وقد استعمل بعضهم مصطلح السياق في وقت مبكر كما هو واضح عند الإمام الشافعي – رضي الله عنه-، واهتموا كذلك بدراسة القرائن الحالية المتمثلة بأسباب النزول والمواقف الملابسة لنصوص الحديث الشريف.

وذلك كونهم من أشد علماء الشريعة حرصا على الوصول إل الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد اهتموا بالسياق اهتماما بالغا كونه وسيلة للكشف عن المعنى وقد استعمل الأصوليون مصطلح السياق استعمالا واضحا في دراستهم.

فيذكر الغزالي (ت 505هـ) أن هناك ألفاظا لا تفهم إلا بإشارة الكلام وفحواه، وهي خمسة أضرب منها ما دلالة اقتضاء، ومنها ما دلالة إشارة، أو فحوى الكلام، أو دلالة سياق الكلام أو دلالة الخطاب أو المفهوم[2].

[1] – ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)، ط1، دار المعارف، مصر، 1969، ص 64.

[2] - ينظر: المستصفى من علم الأصول، تح محمد بن سلمان الأشقر، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997ك، ج2، ص 225-223.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وقد استعمل الغزالي مصطلح السياق في أكثر من موضوع وجعله ضربا من ضروب الدلالة سماه دلالة سياق الكلام: وقصد به فهم غير المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده[1].

وعلى هذا التصور فإنه لا يركز في تفسيره للكلام على المستوى المعجمي، والنحوي، والصرفي فحسب، إنما يرفد إليه مبدأ السياق. لأنه -حسبه- يكشف المخبوء والمقصود للمتكلم. لأن المستويات السابقة لا تقع إلا على ظاهر المعنى وسطحه.

وقد حدد أيضا ابن القيم الجوزية (ت 751 هـ)، بعض الوظائف التي يؤديها السياق في بيان الدلالة لكونه من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ومن هذه القرائن أن السياق يرشد إلى تبيين المحتمل وتخصيص العام ويقيد المطلق وأنه يرشد تنوع الدلالة[2]. ومن جملة الأمور التي تبرز هذا الاهتمام البالغ بالسياق:

أ- "تفطن أكثرهم إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية لابد فيها من ملاحظة السياقين، اللفظي والحالي (المقامي) للوقوف على طبيعة النص دلاليا.

ب- اهتمامهم بدراسة القرائن، الحالية المتمثلة بأسباب النزول والمواقف الملابسة لنصوص الحديث الشريف."

ج- تقسيمهم الألفاظ إلى: عام وخاص ومشترك، والنص على العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصه كما هو الحال في بعض أسماء الشرط ..."[3]. وفي هذا الحديث إشارة إلى استيعابهم لماهية سياق المقام وعنايتهم بمتطلباته باعتباره مرجعية لفهم النص.

وكما ذكرت عند الأصوليين إشارة تبين اهتمامهم بالسياق المقالي العام، فقد قال ابن حزم الأندلسي (324هـ-456هـ): «الحديث والقرآن كله كلفظة واحدة فلا يحكم بحديث دون آخر بل يضم كل ذلك بعضه إلى بعض إذ ليس بعض ذلك أولى في الاتباع من بعض ومن فعل غير هذا فقد تحكم بلا دليل»[4].

---

[1] - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م، ص 274.

[2] - ينظر: إبن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ط1، تح: هشام عبد العزيز عطا، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1996، ص 815.

[3] - هادى نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 274.

[4] - على بن أحمد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ط2، دار الحديث، القاهرة، 1404 هـ، ج3، ص 371.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فاعتبار الأصوليين نصوص الكتاب والسنة سياقا واحدا مكتملا يوضح بعضه بعضا هو «ما يطلق عليه اللغويون المحدثون اسم السياق اللغوي، والذي يسهم في الكشف على جانب المعنى ويتولى سياق الموقف الكشف عن الجانب الأخر»[1].

وما يمكن قوله من خلال نص ابن القيم السابق أن الأصوليين في أبحاثهم اعتمدوا بعض وظائف السياق حيث كان لها علاقة قوية بالسياق ما أدرجوه في تخصيص المعنى من مسائل عديدة منها: العام والخاص والمشترك، وكلها مباحث يحضر فيها السياق بمعناه الضيق والواسع.

وخلاصة القول أن الأصوليين ساروا على نهج علماء العربية في نظرتهم للسياق الذي ظهر مبكرا عندهم مع الإمام الشافعي وكانوا يرون اللغة ظاهرة اجتماعية ويستعينون بالسياق اللفظي والحالي للوقوف على طبيعة النص دلاليا وتفسير الموقف الكلامي، فالعبرة من اللفظ بعمومه لا بخصوصه أي العبرة من اللفظ ليس بما وضع له بن السياق الذي يرد فيه اللفظ، فالسياق هو الموجه الوحيد للمتلقي لأن المعاني كثير ما تكون غير مباشرة فهو يوجه ويبين.كما بين ابن القيم، والغزالي: «يُحيل هذا الإدراك المبكر لفكرة السياق على أن الأصولي كان دائما يعتبر السياق قيمة مرجعية لفهم النص، وأي إهمال لهاتُه القيمة يصحبه مغالطات وانحرافات على مستوى التأويل »[2]

السياق عند المفسرين:

يعد التفسير ملتقى كثير من الاختصاصات الأخرى، كما يعتبر جهد المفسرين تتويجا لجهود كل من أصحاب المعاجم والنحاة والبلاغيين والنقاد والأصوليين وغيرهم، وكانت ضرورية لتفسير القرآن الكريم- كانت في بدايتها سليقية منطبعة في سجية العرب الأقحاح الفصحاء الذي كانوا يعرفون إعراب القرآن الكريم سجية، ويعرفون مواضع الفصاحة والبلاغة فيه سجية كذلك، ويفهمون معاني مفرداته ومراد الشارع بالأمر والنهي وسائر الأحكام ولكن هذه المعارف صارت علوما بعد ذلك، واستقلت عن التفسير واحتيج إليها فيه.[3]

وبذلك استقر مفهوم التفسير على أنه«علم الذي يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة

---

[1] - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص116.

[2] – الشاطبي، الموافقات، ط1، المكتبة التجارية الكبرة، مصر، ط1، ص 413، 414.

[3] – ينظر: مسعود بودوخة: السياق عند المفسرين، مجلة الآن، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد 05، 2015، ص 62،66.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»[1]

وإذا كان السياق وسيلة هامة لدى غير المفسرين، فإن المفسرين كانوا أكثر تنبها لدور هذه الوسيلة الهامة في تفسير القرآن الكريم، وصرحوا في كثير من الأحيان، يقول السيوطي: «وأما ما لم ير فيه نقل فهو قليل: وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق».[2]وهذا يظهر قيمة السياق في اشتغالهم بالنص.

وعن حديث (الزركشي) عن كتب غريب القرآن قال: «ومن أحسنها كتاب (المفردات) للراغب، وهو يتصيد المعاني من السياق»[3]

وفي موضع أخر أرشد إلى ضرورة مراعاة المعنى السياقي وإن خالف أصل الوضع اللغوي، ومن أشار إلى ذلك هو منهج صاحب (الكشاف) ، بقوله: «ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب (الكشاف) يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح»[4]

ذلك أن السياق- كما يقول ابن القيم-: «يرشد إلى تبين الجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم»[5]

ومن هذا المنطلق كان السياق يحمل المفسرين في كثير من الأحيان على الامتناع عن الأخذ بظاهر المعنى الذي يتبادر لأول وهلة، فكان يعدلون عن ظاهر المعنى معنى آخر يتماشى مع السياق، وقد يكون هذا بفعل التطور الدلالي: حيث تتطور دلالة الألفاظ (مفردة ومركبة) لتدل على معنى يخالف دلالتها الأصلية التي ارتبطت بها عند الوضع الأول. فالسياق هو الذي «يحول الدلالة الظاهرة

[1] – الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 13.

[2] – السيوطي جلال الدين، الاتفاق في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973، ج2، ص 183.

[3] – الزركشي، البرهان، ج1، ص 291.

[4] – الزركشي، البرهان، مرجع سابق، ص 317.

[5] – ابن القيم، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4، ص 09، 10.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

إلى دلالة أخرى وهي المقصودة فقد يدل الظاهر اللغوي على المعنى إلا أنه يكون ناقصا بالنسبة لواقع المعنى الحقيقي».[1]

والخلاصة أن المفسرين راعوا المعنى الذي يولده السياق، وأن هذا السياق كان أداة مهمة بالنسبة إليهم حيث أدركوا أهميته، فاستفادوا منه في استجلاء المعنى واستنباط الدلالة، وتحليل الخطاب القرآني.

وحاصل النظر فيما مضى أن عناية القدامى بالسياق تتقاطع مع الدراسات اللسانية الحديثة التي أولت السياق كبير الاهتمام بوصفه مسألة ضرورية وحاسمة في مجال دراسة اللغة، إذ يمكننا من تحديد العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي، فالاستغناء عنه يجعل قناة التواصل متوترة، «فغالبا ما يضللنا المعنى الحرفي للملفوظات في غياب القيمة التلفظية، فالمعاني الحرفية للكلمات ما هي في الواقع إلا قالب تنصهر في إطاره الملامح النطقية كالنبر والتنغيم، والخارج لغوية كالإيماءات والإشارات».[2]

فعناية القدامى بالسياق تعكس تعاملهم مع اللغة بوصفها كائنا حيا، فربطوها بالمقامات التخاطبية التي تُسيج العبارة، وذلك الذي جعل للسياق دورا فارقا في استخلاص المعنى المراد.

وقد أبانت دراسات القدامى-عموما- في سبيل الوصول إلى المعنى عن علوم كعبهم وبعد نظرهم وإدراكهم أن السبيل الأقوم للوقوف على المعنى المقصود هو عدم إهمال السياق والملابسات التي تحيط بالحدث الكلامي، فكانت بذلك عنايتهم بالسياق واضحة لا ينكرها ذو نظر.

[1] – مسعود بودوخة: السياق عند المفسرين، ص 67.

[2] – ينظر: على آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 62، 63.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

السياق في الدراسات الغربية:

أهمية السياق عرفت منذ بداية التفكير اللغوي وأهم من درسه الهنود ثم العرب فقد «أشار الهنود إلى كثير من النقاط التي مازال يعترف بها علم اللغة الحديث مثل أهمية السياق في إيضاح المعنى...»[1] كما أن العرب – كما رأينا آنفا- اهتموا به وأولوه عناية فائقة، لكنه لم يعرف نضجا واكتمالا كما عرفه في العصر الحديث فقد تكاملت نظرية السياق واستوت عن سوقها في الدراسات الغربية حيث تعتبر نظرية السياق «حجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي عرفت اكتمالا على أيدي اللغويين المحدثين أمثال: دي سوسير، فندرس، بلومفيلد، ومالينوفسكي، وفيرث وغيرهم كثير ويعتبر فيرث مؤسس نظرية السياقية فهو من وضع لها الحدود الأساسية وأكملها فقد عرفت مدرسة لندن بالمنهج السياقي الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة»[2] حيث أعتبرت "نظرية السياق" دعامة أساسية في علم المعنى، بما أفادته في الحصول على نتائج باهرة وأحدثت ثورة في طرق التحليل ومكنت الدراسات التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر وقدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات".[3]

ومن الذين أشاروا إلى السياق "دي سوسير" (1857-1913)، حيث يعتبر من الأوائل الذي مهد لظهور المدرسة الاجتماعية والسياقية والذي يذهب إلى القول أن: «الكلمة إذا وقعت في سياق مالا تكتسب قيمتها إلاّ بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق أو كليهما معا»[4]

فالسياق إذ ذاك عند "سوسير" تظهر قيمته في كون الكلمة الواقعة في سياق ما، فإنها تكتسب قيمتها (معناها) م ما هو سابق ولما لاحق بمعنى أنَّ الكلمة لا يمكن الوصول إلى معناها إلاَّ إذا ربطناها بما قبلها وما بعدها أو بما قبلها وبعدها في آن واحد حتى يتبين معناها.

فلقد اهتم بالجانب اللغوي للسياق فقط ولم يلتفت إلى الجانب الاجتماعي.

ويقول العالم اللغوي الفرنسي "فندريس (Vendryes)« أنَّنا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا للانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في

---

[1] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 19.

[2] – المرجع نفسه، ص 68.

[3] – أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تح: كمال بشر، ط1، مكتبة الشباب، دت، ص 61.

[4] – فردينا ندي سوسير، دروس في اللسانيات العامة، تح: يوسف غازي، مجيد نصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1996، ص 149.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه السياق، أما المعاني الأخرى فتمحي وتبدد ولا توجد إطلاقا».[1]

وقد أكد على ضرورة الاهتمام بالسياق في عملية التحليل اللغوي للنصوص فالسياق «هو الذي يفرض قيمة واحدة يعنيها على كل كلمة توجد في كل مرّة تستعمل فيها، في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا والسياق، هو الذي يفرض قيمة واحدة، بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، السياق أيضا: هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية»[2]

يتحدد معنى السياق من خلال التعريفات السابقة أنه هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ويحدد معناها تحديدا مؤقتا، ويخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، «تزود كل كلمة لحظة استعمالها تزويدا تاما بقيمة وقتية، تبعد جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة»[3]

وقد كان "ليونارد بلومفيلد" (L,Bloomfield)، (1887-1948م) والذي يعد شكلانيا لغويا في نظر بعض اللغويين- كجورج مونان مثلا: يذهب إلى أنَّ: «تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف في دراسة اللغة، وأنَّ الأمر سيظل كذلك ما لم تتقدم معرفتنا عما هي الآن عليه»[4] ولعل صعوبة البحث في المعنى كانت وراء ما ذهب إليه "بلومفيلد" من أن المعنى لا يدخل تحت الوصف اللساني، وإن المعنى لا يمكن استعباده لكونه أصغر وحدة صوتية دالة (phonème) الذي يعرفه "بلومفيلد": وهو وحدة ذات طابع صوتي متميز يؤدي استعمالها إلى التفريق في المعنى، وكما يقول: «الموقف أو المقام الذي يقوم فيه المتكلم بقول كلمة أو جملة ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك المستمع».[5]

---

[1] – جورج فيندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الروخلي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 228.

[2] – محمد اسماعيل بصل وفاطمة بله :«ملامح نظري السياق في الدرس اللغوي الحديث»، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، ج18، 2014، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، ص 04.

[3] – جورج فيندريس، اللغة ، مرجع سابق، ص 231.

[4] – ردة الله بن ردة ضيف الطلحي، دلالة السياق، ص 178.

[5] – المرجع نفسه، ص 178.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ومن هذا أمكننا القول بأن المعنى هو أصغر وحدة صوتية دالة لا يمكن استبعاده، فالمعنى يتحقق إلا من خلال جملة من العناصر وأبرزها: المتكلم والسامع والوسيط بينهما هي اللغة في موقف أو مقام ما، فالمتكلم يقول كلمة ورد الفعل أو استجابة التي يتطلبها من السامع.

ونجد أن "بلومفيلد" لم يكن بعيدا عن فكرة السياق بشكل عام، وبخاصة سياق الموقف، وكما نقل "بوجين نيدا"[1] عن بلومفيلد: لا يمكن في اللغة فصل الأشكال عن معانيها، ومن غير المرغوب فيه أو ربما غير المجدي جدا دراسة صوت اللغة فقط دون اعتبار للمعنى، ويرى "بلومفيلد" ذلك، فيقول: «أنَّ الدراسة اللغوية يجب أن تبدأ من الأشكال لا من المعنى».[2]

نلاحظ أن بلومفيلد لم يكن بعيدا عن فكرة السياق، حيث اهتم وعنى بدراسة سياق الوقف بخاصة، ومنه لا يمكن فصل الأشكال عن معانيها وعليه فإن دراسة اللغة تبدأ انطلاقا من الشكل لا من المعنى.

وتعتبر جهود عالم الاجتماع والأجناس البشرية "برونسلاو مالينوفسكي" (1884-1942) (malinouski Bronislau) البلولندي، بمثابة حجر الأساس لنظرية السياق، وذلك عندما ان يترجم بعض الكلمات والجمل في اللغات البدائية (لغات الهنود الحمر في أمريكا) إلى اللغة الإنجليزية فصادفته عدة صعوبات، حينما تأكد له أن الكلمة المعزولة عن سياقها لا تعدو أن تكون أصواتا مبهمة، فاقترح حلا لهذه المشكلة، وهو ضرورة تحليل أنماط السياقات الكلامية من ناحية، ومراعاة ملابسات الظروف غير اللغوية المصاحبة من ناحية أخرى، ومن ثم توصل إلى ان معنى الكلمة هو الوظيفة التي تؤديها في سياق ما، ثم ساق عبارته المشهورة، (Contexte of situation) والتي تعني سياق الموقف أو الظروف الخارجية المصاحبة للأداء اللغوي.[3]

ومن خلال تطرق "مالينوفسكي" للسياق يتبين لنا أن معنى الكلمة هو الوظيفة التي تؤديها في سياق ما: حيث وضع "مالينوفسكي" عبارته المشهورة (Contexte of situation) والتي تعني سياق الموقف أو الظروف الخارجية المصاحبة للأداء اللغوي، إذ أن «اللغة ليست مجرد أداة لتوصيل الأفكار، بل هي في المكان الأول جزء من نشاط اجتماعي متسق، وفي اللحظة التي تفصل فيها

---

* – مترجم ولغوي معاصر، وهو واضع نظرية التكافؤ الديناميكي في ترجمة الكتاب المقدس.

[2] – ردة الله بن ردة ضيف الطلحي: مرجع سابق، ص 181.

[3] – عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ص 55.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الكلمة عن سياق هذا النشاط الذي يغلفها، أو عن سياق الموقف التي تستخدم فيه تصبح كلمة جوفاء دون مغزى، لان الألفاظ لا يمكن أن توجد في الفراغ»[1]

وكل هذه الجهود هي لعلماء ولغويين كان لهم السبق في هذه الدراسة عن الإنجليزي فيرث فنجده يأخذ من الأثر الذي تركه هؤلاء اللغويين أمثال مالينوفسكي، ثم يأتي فيرث ودوره في النظرية التي أسس لها.

يعد جون روبيرت فيرث*[2] من العلماء الغربيين الذين اهتموا بالسياق وأسس نظرية قائمة بنفسها وهي النظرية السياقية وتعد الحجر الأساس في المدرسة الفيرثية.

فمعنى الكلمة عنده يمكن في «استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة»[3] ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: « معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى،م وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها» ومن أجل تركيزهم على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة و أهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه، أو وصفه أو تعريفه.

وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب أيضا تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة – على هذا يتعدد تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها أو بعبارة أخرى تبعا لتوزعها اللغوي.

فنظريته السياقية تقوم على إعادة الاهتمام بالأحوال و المحيط الذي لا يتضمن الأحداث الكلامية، «فالقول أن الإدراك اللغوي والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع، ليس سوى خرافة مظلة».[4]

---

[1] – على عزت، اللغة ونظرية السياق، منشورات مجل الفكر المعاصر، عدد76، 1971.

[2] – *عالم لغوي إنجليزي توفي في الستينيات من القرن الماضي، مؤسس المدرسة الإنجليزية الاجتماعية في اللغة وقد كان أستاذ لعدد من أساتذة اللغة في مصر.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط1، علم الكتب، 1980، ص 68.

[4] – جفري سامسون، مدارس اللسانيات – التسابق والتطور، تر، محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 19997، ص 238.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فالكلام ليس أقوالا بل أفعال تحتوي الحدث الكلامي، والقضايا المادية المحيطة بالنص المنطوق أو المكتوب، «واللغة باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط جماعي إنها نمط من العمل وليست أداة للتأمل».[1]

فمعنى الكلام ليس سوى حصيلة للعلاقات التي تؤلف الأفراد داخل المجتمع وإهمالها يؤدي إلى غياب المعنى، ولهذا يصر فيرث على اعتبار اللغة جزءا من المسار الاجتماعي واستخراج الدلالات لا يكون ناجحا إلا إذا ربطت اللغة بالقضايا الاجتماعية للمجتمع.

لذلك يصر فيرث على اعتبار اللغة جزءا من المسار الاجتماعي، فاللغة ليست مجرد إشارات واصطلاحات وأدلة بل إنها الرصيد الثقافي والاجتماعي الذي يعين على فهم المعاني ضمن وقائعها ومن هنا صارت المدرسة الفيرثية تدعوا إلى تتبع واستقراء الدلالات.[2]

ومن خلال هذا نرى أن فيرث ينظر إلى أن المعاني تتحدد وفقا لاستعمالاتها، فالكلمة لها عدة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر ويحدد أحد المعاني.فهو لم يخرج في تحليله عن دائرة اللغة، ويصر على أن اللغة جزءا من المسار الاجتماعي والدلالات الصحيحة لا تكون إلا إذا كانت اللغة في علاقة بالقضايا الاجتماعية، وعليه تفهم أن المعاني تتحدد وفقا لاستعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة.

وإذا كان الفضل يرجع إلى مدرسة فيرث محاولتها تأطير السياق، ضمن نظرية دلالية متكاملة الجوانب، فإن الفضل يعود لـ (ستيفن أولمان)* ، في أنه سعى إلى استعمال هذه النظرية في حقل الكشف عن المعنى فإن حد نظرية السياق – إذا طبقت بحكمه- يمثل حجر الأساس في علم المعنى.

وما قدم له (ستيفن أولمان) من مقدمات نظرية أدى به إلى نتائج باهرة، فالتطبيق الحكيم لنظرية السياق يؤدي بنا إلى تحديد معاني الكلمات فكل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي.

ولم يقف (أولمان): عند هذا الحد بل سعى إلى توسيع مفهوم السياق، بحديثه عن كلا السياقيين.

---

[1] – جفري سامسون، مدارس اللسانيات – التسابق والتطور ،مرجع سابق، ص 238.

[2] – ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، ط2، المؤسسة العربية الدرامنك للنشر، بيروت، 1983، ص 283.

* أستاذ علم اللغات فرع الدراسات الرومانية، بجامعة ليدز في بريطانيا، وقد عرف في البيئات اللغوية وفي فروع العلوم الإنسانية وبخاصة الأدب والنقد الأدبي وعلم النفس وله دراسات كثيرة أشهرها كتاب (علم المعنى).

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أ- **(سياق النص):** بقوله: «إن السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية – اللفظ المعنى- فحسب- بل والقطعة كلها والكتاب كله».

ب- **(سياق الموقف):** حيث يقول: «السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها -أساسا- التعبير عن العواطف والانفعالات وإلى إثارة هذه العواطف وانفعالات».[1]

إذن لم يعد يقتصر مفهوم السياق وفق "أولمان" على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية، وإنما وجدت جوانب أخرى قد تنسجم معها الدلالة المقصودة للكلمة، كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه

ثم لا نغفل **يوهان جاكوب بالمر** (Johan Jakob Balmer): ومن أهم ما قدمه، في دراسته للغة حديثه عن العلاقات الترابطية والتضمين والترادف وتعدد المعنى والتجانس ... وغيرها من الظواهر التي تعتري المفردات في سياقها اللغوي إضافة إلى عنايته بالقواعد الشكلية والعلاقات القواعدية وغيرها من الأسس التي تعنى بالنظام النحوي والدلالي لحمل السياق اللغوي، إضافة إلى حديثه عن (سياق الحال): والذي قصد به معنى الكلمة ضمن السياق اللغوي الذي تستخدم فيه.[2]

فهو إذن يركز اهتمامه على السياق اللغوي وما يمليه من علاقات على مستوى بناه التركيبية ولا يكاد يفرق بين نوعي السياق اللغوي وغير اللغوي.

ولا نغفل الحديث عن أشهر النظريات اللغوية على الإطلاق نظرية النحو التوليدي وصاحبها نعوم تشومسكي (Noam shomsky) التي استطاعت (أن تقدم تفسيرات علمية لظواهر لغوية تخص الدلالة، وتستند هذه النظرية على آلية توليد جمل صحيحة اعتمادا على كفاية المتكلم (الكاتب) اللغوي ويعني ذلك توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل المتكلم اللغة تتيح له ما شاء من جمل ضمن سياق معين، وقد انطلق (تشومسكي) للتدليل على وجود هذه الكفاية من تعلم اللغة عند الأطفال، بحيث أن الطفل ينتج جملا لم يسبق له أن سمعها من قبل بناء على القواعد الكائنة ضمن كفايته اللغوية[3]

---

[1] – ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ط1، لبنان، اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص 89.

[2] – ينظر: لمى محمود، سمير معلوف، النظرية السياقية وظلالها التطبيقية عند اللغويين والبلاغيين العرب، ص 6، 7.

[3] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، مرجع سابق، ص 95.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

لا يسعنا هنا بعد كل ما أوردناه إلا أن نقول ما ذكر ما هو إلا لمحات فالذين تحدثوا عن السياق وأهميته كثر وحسبنا أنَّنا ركزنا على بعضهم وليس جلهم وبالتحديد على العلوم والحقول المعرفية التي ركزت على فكرة السياق، فقد توقفنا في عدة محطات منها: علوم اللغة الاجتماعية (فيرث)،علم الأسلوب (ستيفن أولمان) ثم نصل لعلم النص (ليتش وفان دايك).

هذه الأخيرة لها ذكر فيما يأتي من بحثنا ولقد آثرنا إرجاء الحديث عن علم النص إلى هذه النقطة التي تنخدم بها خطوات هذا البحث، وليس فقط لأنه أحدث العلوم اللسانية التي اخترناها نشأة، بل لأنه كذلك أكثرها اهتماما بنظرية السياق وتوضيحا لمعالمها، وإبراز لدور آلياتها في الكشف عن خصوصيات النص وسمات تألقه.

النص في مقابل السياق عند فان دايك:

عالج فان دايك[1] السياق من خلال مقاله النص: بناه ووظائفه، وتندرج طروحاته في إطار ما يسمى (أنحاء) النص حيث لا يقف عند البنى السطحية والتركيبية للنص ولكنه يتجاوزها إلى ربط النص ببنيات خارجية ساعيا بذلك إلى إقامة تصور متكامل حول النص يسمح ببناء نظرية منسجمة تتجاوز الحد السكوني الذي تقف عنده "السرديات" إلى مقاربة "دينامية النص".

فالنص يتشكل من مظاهر أكثر تعقيدا مثل الممارسات النصية والتواصلية والتي ترتبط بعدة سياقات يتبع بعضها بعضا.

ويقدم تحديده للنص الأدبي بناء على التصورات الآتية:«

1- ليس الأدب مجموعة نصوص فقط، بل هو الممارسات النصية.

2- وأساسا لأفعال وعمليات، واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل.

3- هذه العمليات التواصلية الأدبية تنفع في عدة سياقات تداولية ومعرفية وسوسيو- ثقافية وهذه السياقات هي التي تحدد الممارسات النصية ويتحدد بواسطتها.

4- أن السياقات الأدبية تتمفصل بحسب جماعة المشاركين وأدوارهم وبحسب المقامات، وأحيانا بحسب التعاقدات والقواعد والاستراتيجيات التي تنظم الممارسات النصية في سياقات تتأسس على قاعدة مجموعة من القيم والأحكام المحددة: الإيديولوجيا الأدبية.

[1] – فان دايك : أستاذ لدراسات الخطاب في جامعة أمستردام، له أكثر من 30 دراسة .

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

يستهل مقاله بمقدمة يقول: لكي نجيب على السؤال بمعرفة الخصائص النوعية التي تتمتع بها النصوص الأدبية علينا أن نتساءل أولا عن الخصائص التي تتصف بها النصوص الأساسية متجاوزا واستخراج خصائصها الداخلية إلى خصائصها الخارجية أي إلى الشروط التي تخضع لها في سياقات معينة ووظائفها وأثرها في هذه السياقات مع تحديد العلاقات القائمة بين بنية النص والسياق.[1]

ومنه يظهر أن النص عند فان دايك ليس مجرد متتالية لغوية اعتباطية مفرغة من مقصدية موجهة إنما هي سلسلة من الجمل المتتابعة تربط بينها قواعد الانسجام و الاتساق و الترابط يراعي فيه المنشئ مقتضى حال المخاطبين في أوسع دائرة ممكنة ليحدث من خلاله تفاعلا خطابيا ناجعا قائما على تأويلات صائبة وفق السياقات والمقامات المختلفة .

وينتقل فان دايك للسياق ويقسمه إلى المستويات التالية:

1- السياق التداولي: (النص كفعل كلامي):

وفيه «لا تكتفي بدراسة الملفوظات اللغوية أو النصوص من حيث بناها فحسب، وإنما أيضا من حيث وظائفها»[2] بمعنى أن دراسة أي نص لا تكون بهدف معرفة شكله ومحتواه وإنما الهدف منها هو معرفة الوظائف التي ينجزها أيضا.

فالسياق التداولي من كل العوامل النفسية والاجتماعية والتي تحدد بدقة مناسبة أفعال اللسان كالمعرفة أو الرغبات، أو الإدارة... بالإضافة إلى تحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في جملة ما، يبحث السياق التداولي أيضا عن الطريقة التي يتم من خلالها ربط هذه الجملة بجملة أخرى في النص.[3]

وهذه النظرة بالتحديد سيكون لنا بها حديث مفصل في فصول بحثنا القادمة على أساس أنها المحور والأس الذي سينبني عليه أغلب أفكاره.

2- السياق الإدراكي أو المعرفي: (فهم النصوص):

ويركز "فان دايك" فيه على ما يسميه فهم النص وهو في نظره يقوم على المخطط التالي:

---

[1] – على آيت أوشان،السياق والنص الشعري، ص 78.

[2] – علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري ،مرجع سابق، ص 82.

[3] – ينظر: فطومة لحمادي، السياق والنص، ص 10.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

1- إن مستعمل اللغة سوف يفهم بالدرجة الأولى الكلمات ومجموعة الكلمات والجمل ومن ثم متتاليات الجمل[1] ففهم النص وفقه لا يكون شموليا وكاملا إلا إذا سبقه مفهم الأجزاء المركبة له. كما أشار فان ديك إلى مجموعة من المعطيات والتي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لكي نصل إلى فهم النص وهي:

- لنتمكن من إقامة هذه الروابط على المستعمل أن يستعين بمعرفته للعالم انطلاقا من مكتسباته المعرفية المخزنة في الذاكرة إن الفهم الفعال لعناصر النص يمكن في ذاكرته العملية، وهي التي تخزن فيها المعلومات غير أنها تملك طاقة محدودة فبعد أن تمتلئ يجب أن تخزن المعلومات في الذاكرة الطويلة المدى، ولكن للحكم على نص ما بأنه منسجم ينبغي أن نحتفظ ببعض المعلومات في الذاكرة العملية، وكلما كانت قيمة هذه المعلومات أكبر كما أصبح استرجاعها أسهل منالا[2] كما أن لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه بحيث تمكن القارئ من معالجة النص في مواقف خاصة وبالتالي تساعده على تفسيره.[3]

وبذلك يؤكد "فان دايك" أن فهم النص لا يمكن دون تفاعل، والذي ينتج تأثرا بالنص، وهو ما يتطلب خلفية معرفية تمكننا من ربط مكونات النص اللغوية وغير اللغوية ، فتحقيق التواصل من خلال النص باعتباره وسيطا تفاعليا يقتضي الغوص في غياهبه بالاتكاء على معارفنا السابقة المخزنة في الذاكرة و القدرة على استذكارها واسترجاعها.

3- السياق النفسي الاجتماعي (تأثير النصوص):

المقصود به المفعول الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فرديا أو جماعيا، فالأمر لم يعد متعلقا بالتساؤل عن ماذا يفعل القارئ أو المستمع بالنص؟ وإنما ما هي العوامل الاجتماعية التي تلعب دورا في فهم النص؟ أو ما هي مظاهر فهم النص التي تحتوي على إيحاءات اجتماعية؟ فالتركيز إذا أصبح منصبا على العوامل المساعدة في فهم النص والتي تحمل صبغة اجتماعية.[4]

فنفس تلك العوامل التي تسهم في إنتاج النص هي ذاتها نص تسهم اللغة في إنتاجها .

---

[1] – ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 83.

[2] – ينظر: فطومة لحمادي، السياق والنص، ص 11.

[3] – ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 85.

[4] - ينظر : فطومة لحمادي، النص والسياق، مرجع سابق، ص 85.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

4- السياق الاجتماعي: (النص والتفاعل):

أي الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة، كما أن هذه المواقف الاجتماعية التي تنتج فيها النصوص فريدة بحد ذاتها لكن، مع ذلك تتمتع بخصائص ذات طابع أعم فهي« مقامات خاضعة لمعايير معينة وتتكرر باستمرار، وهكذا فثمة مقامات ذات طبيعة عامة أو خاصة تأخذ فيها الملفوظات قيمة فعل كلامي، فالنص كفعل كلامي لا يحدد المقام الاجتماعي فقط، وإنما المقام الاجتماعي نفسه تحدده كيفية استعمال اللغة».[1]

فالمقامات تختلف من نوع إلى آخر وفيها تتحدد قيمة النص، إذ أن كل من النص والمقام الاجتماعي يحدد بعضه بعضا، ويؤثر كل منهما في الآخر.[2]

5- السياق الثقافي: (النص كظاهرة ثقافية):

«يعتبر النص ظاهرة ثقافية، إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهم البنية الاجتماعية للمجموعات الثقافية، كما يمكن أن نستخلص منها المحادثات المستعملة في مقامات خاصة ودور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم ... إلخ».[3]

ومنه فإن تحليل النصوص يتطلب مقاربة متعددة الأبعاد تفرض الربط بين مختلف المستويات، لأن المقصود ليس هو فقط فهم النص وتحليله لذاته وإنما قبل كل شيء فهم وتحليل مختلف وظائف النص والأفعال، النتائج ... في هذه السياقات. ومن ثم نجد أن "فان دايك" يتجاوز في نظره للسياق البنى السطحية للنص للخروج إلى البنى الخارجية، ونجد أن النص الأدبي قوامه هو الممارسات النصية والذي يحدد هذه الممارسات هي العمليات التواصلية الأدبية ويقسم السياق إلى السياق التداولي، السياق الإدراكي، الاجتماعي والنفسي الاجتماعي.

---

[1] – على آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 87.

[2] – ينظر: فطومة لحمادي، المرجع السابق، ص 12.

[3] – على آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 89.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

المبحث الثاني اللسانيات التداولية ومفهومها:

II - اللسانيات التداولية: مفهومها، نشأتها، وتطورها:

يأخذ مصطلح السياق مسارا أكثر بعدا مع الدراسات التداولية (Pragmatique) والتي عمّق أصحابها مسألة السياق اعتمادا على تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي،والتداولية كما حددها (رودلف كرناب Rodolf Carnap) هي قاعدة اللسانيات وتسعى أساسا للإجابة عن أسئلة المتكلم وعلاقته بالملتقي،ودراسة اللغة في علاقاتها بالعالم الخارجي أي علاقاتها بظروف إنتاجها.

1 - مفهوم التداولية لغة واصطلاحا:

لقد عد مفهوم التداولية من أبرز وأصعب المفاهيم الحديثة التي تعسر على العلماء وصعب عليهم الإلمام بتعريف شامل ودقيق لها، ذلك كون هذا المفهوم تتقاذفه العديد من المصادر المعرفية، حيث لا يكاد يستقر في أحد منها وربما كان هذا راجعا لنشأتها غير المستقرة.[1]

حيث «تشير (فوانسواز أرمينكو) إلى أنَّ التداولية بسبب كونها نظاما جديد فهي لا تملك حدود واضح، إلا أنها تقع في مفترق طرق البحث الفلسفي واللساني وهذا ما أدى إلى عدم الوصول إلى تحديد اصطلاحاتها حيث أنّها تلتقي مع كل من اللسانيات والمنطق والسيمائية والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع.»[2]

ويؤكد (فان ديك) على أن صعوبة التعريف بهذا العلم تعود إلى خاصية التداخل التي تتميز بها التداولية كونها لها علاقة مع جملة من التخصصات الأخرى كالأنثروبولوجيا وعلم اللغة.

وسأحاول هنا عرض مدونة من تعريفات التداولية اللغوية منها والاصطلاحي التي تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي.

---

[1] – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 63.

[2] – على آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ص 56، 57.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أولا: المعنى اللغوي للتداولية:

أ- في المعاجم العربية:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذري اللغوي (دول)، وله معاني مختلفة، لا تخرج عن معاني التحوّل والتبدُّل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت، 538هـ): «دول: دالت له الدولة، ودالت الأيّام ، بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه... وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد ... واله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم ... وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما»[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت هـ): «تداولنا الأمر،أخذناه بالدُّول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر ... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة وهذا مرة »[2]

وهذا ما يجعلنا نؤكد على أنّ المعاجم العربية لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر "دول" على معاني: التحول والتبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخر، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك فعل التحول والتغير والتبدل والتناقل «وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حل أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، السياقية» [3]

ب- في المعاجم الغربية:

أما مصطلح التداولية في أصله الأجنبي "Pragmatique"فإنه «يعود إلى الكلمة اللاتينية Pragmaticus المبنية على الجذر Pragma، ويعني العمل أو الفعل Action،وتقلب المصطلح على مدلولات عدة، لينتقل استعماله إلى الميدان العلمي بداية من القرن 17م، وصار يدل

---

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1998،ج1، ص 303.

[2] – إبن منظور، لسان العرب، ط3، دار صابر، بيروت، 1994، المجلد 11، ص 252-253.

[3] – خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة: تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009، ص 63.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

على ما له علاقة بالفعل أو التحقيق العملي وبعبارة أخرى، يدل على كل ماله تطبيقات ذات ثمار عملية أو يفضي إليها».[1]ومنه نلاحظ تباين الدلالة بين المصدرين اللغويين العربي والغربي.

وهذا المعنى-الفعل أو التحقيق العملي- هو الذي قدم له "**في قاموس القرن** "Gentury Dictionary"1990 حيث وصل لكون «التداولية هي النظرة التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتخذ في حدود الاعتبارات العملية أو الفرضية فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة، أو الاعتبارات الفكرية المجردة».[2]

بمعنى أن التداولية تطلق على مجموعة من المعارف والفلسفات التي ترى أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة.

- **وقد ورد في معجم اللسانيات وعلوم اللغة:**« أنّ التداولية هي جانب من جوانب اللغة يهتم بملامح استعمالها (نفسية المتكلمين، رد فعل المستمعين، الطابع الاجتماعي للخطاب، موضوع الخطاب) بمقابل الجانب التركيبي (الميزات الشكلية للأبنية اللغوية) والدلالي (العلاقة بين الوحدات اللسانية والعالم)».[3]

وهذا ما رسم جانبا مهما للمصطلح وهو سياق التلفظ أو الاستعمال مضافا إلى الأشكال والمحتويات.

- **وورد في موسوعة كمبريدج:** تعريف لمصطلح التداولية الذي يقابل في اللغة الإنجليزية "Pragmatics".

Pragmatics is the study of an ability of language users to »
«pair sentences with they would be appropriate[4]

أي أن التداولية هي دراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة، ثم ينتقل تأثير هذا الاختيار في الآخرين عن طريق التواصل والتفاعل حسب المرسل وحسب رغبة المتلقي .

---

[2] – محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984، ص 41.

[3] – يسمينة عبد السلام:« نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر،2014،ص 99.

[4] - يسمينة عبد السلام:« نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن»، مرجع سابق،ص 100.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- **وفي اللغة الفرنسية تقف عند تعريف آخر.**

Pragmatique: domaine qui "tudie L'usage que peuveut » faire de la langue, des inter locuteus en situation «Communication[1]

- **أما فلاسفة أكسفورد:** فيعتبرون أن التداولية هي دراسة أفعال الكلام، وهو المفهوم الشائع والموجد (أو المحمول به) في معظم المراجع التي صدرت في الآونة الأخيرة.[2]

فهي إذن –كمصطلح لغوي- تحمل كل المعاني التي تعنى بالكيفية التي تتحقق بها اللغة عند الاستعمال وعند التخاطب فتهتم بكل من المتكلم والسامع مشاركا في فعل الكلام والحدث التواصلي ،وتهتم بظروف الكلام ،ومقام الحال.

ثانيا اصطلاحا:

تعددت مفاهيم التداولية في الدراسات العلمية الحديثة ، من أبرز التعريفات نجد "تشارلز، موريس morris"(1938) الذي يقول: «إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[3] وهو تعريف عام يجعل فيه صاحبه "التداولية" جزءا من السيميائية، كما أنه لا يحدد طبيعة العلامة التي تعالج، هل العلاقات في الاتصال الإنساني؟ أم الحيواني؟ أم الآلي؟

وهناك تعريف لساني آخر "ماري دييرmarie diller" و فرانسوا ريكاناتي " récanati Francois" وهو أنَّ «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية» وإذا أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحد فإننا نسجل النقاط التالية:

- التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.
- تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الإنجازية التي تحققها العبارة اللغوية.
- التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال

---

[1] –المرجع السابق،ص نفسها.

[2] – المرجع نفسه،ص نفسها

[3] - فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص 08.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وكل هذه المفاهيم تتجلى في حدّ "فرانسيس Franeis Jaques" الذي يرى أنَّ التداولية تتطرق «إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية اجتماعية معا».[1]

وهي عند رائدها "أوستين Austin" جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر: هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر.[2]

فالتداولية تدرس الاتصال اللغوي في إطاره الاجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللغوي من جهة، كما تبحث عن فاعلية وآثاره العملية من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار يقول صلاح فضل: «فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق»[3]وهو مفهوم يقارب كثيرا ما جاء به تيون فان دايك في القضية ذاتها.

ومن هذه المفاهيم نلاحظ أن "التداولية" تدرس "الاستعمال اللغوي" في الاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة، لذلك عرفها بعض العلماء بأنها «الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية»[4]

ومن المفيد أن نشير إلى أن هذا الموضوع، أي الاستعمال اللغوي، قد تجاذبته حقول(متنوعة وفق زوايا مختلفة، ولذلك كان لابد للسانيات) التداولية أن تفيد من النتائج التي تقدّمها هذه العلوم من أجل الوقوف على القوانين الكلية التي تضبط "الإنتاج اللغوي".

وذكر "جون ديبوا J.Dubois" أننا« نجد تحت التداولية من حيث هي منهج توجهات مختلفة، ففي البدء كانت تُعنى بخصائص استعمال اللغة: أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين، والنماذج الاجتماعية للخطاب، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية ثم تحولت فيما

---

[1] – المرجع السابق، ص نفسها.

[2] - راضية خفيف: «التداولية وتحليل الخطاب الأدبي»، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 399، تموز، 2004، ص 56.

[3] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص. ص 24-26.

[4] - المدارس اللسانية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، سورية، دار الحوار، ط1، 2017، ص 18.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

بعد مع "أوستين Austin" إلى دراسة أفعال اللغة، إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري».[1]

لنصل إلى القول بأن المصطلح الأجنبي للتداولية يحاكي مفهومها الاصطلاحي إلى حد بعيد وقد انقاد اللسانيون العرب إلى نفس المساق بعد تشرب هذا المفهوم ونموه في ظل الدرس اللساني العربي المعاصر.

نشأة اللسانيات التداولية وتطورها:

مما لاشك فيه أنه متعارف لدى الجميع أنَّ العلوم سواء القديمة أو الحديثة، لم تنشأ دفعة واحدة، بل نشأت عبر مراحل إلى أن وصلت إلى ماهي عليه من النضج الكمال.

حدد أيضا الشيء نفسه للتداولية، فقد بدأت نشأتها عبر مراحل غير أنَّ ما ميَّزها عن غيرها هو الإثراء العلمي المتدفق إليها من شتى النواحي العلمية الأخرى، وهذا ما يدفعها للتساؤل التالي: كيف نشأت التداولية؟ وكيف تطورت؟

1- التداولية في الفكر العربي:

لعل موضوع التداولية في التراث العربي موضوع له امتداده ومنابته في أغلب مدونات البحث العربي بشيء من الوعي والتركيز، وذلك قبل أن يصبح للنظرية رؤية علمية مضبوطة، ومعايير منهجية محددة، مثل بقية العلوم والمعارف الحديثة الأخرى وهو ما يذهب إليه أحد الباحثين في تأكيده شمولية الاهتمام بالموضوع لدى مختلف الدارسين وعلماء العرب بحيث إنَّ «النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، ورؤية واتجاها أمريكيا أو أوروبيا فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات،المتنوعة»[2]

يبدو أن العرب على هذا الأساس قد حاولوا الاقتراب من الدرس أو التفكير التداولي استنادا إلى علوم عديدة عرفوها وانشغلوا بها كالنحو والنقد والخطابة وعلم الأصول وعلم البلاغة لا سيما الأخيران منها، إذ يمثل علماء الأصول إلى جانب البلاغيين في التراث اتجاها فريدا يربط بين الخصائص الصورية للموضوع وخصائص التداولية، كما درسوا البنية وخصائصها وعلاقاتها بالمقامات، ووصلوا بين المقال والمقام، وهو شأن بلاغي بصورة خاصة، وكأن مفهوم التداولية في نظر الناقد

[1] – نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004، ص 165.

[2] – حمد سويرتي: «اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي»، مجلة عالم الفكر، مج28، عدد3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص 18.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

(صلاح فضل) جاء ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة العربية" لكل مقام مقال" أو كأن البلاغة في جوهرها لديه تداولية لأنها« ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير في بعضها».[1]

فقد شكل التواصل اللغوي أو نظرية الاتصال بشكل عام بأبعادها التداولية حقلا نظريا وتطبيقيا مهما في الدراسة البلاغية، خصوصا على مستوى نظرية التأثير والمقام، أي عملية التأثير في المتلقي والتواصل بين المتكلم أو المرسل والسامع الذي يحظى في العملية البلاغية لدى العرب قديما بأهمية لا تقل عن أهمية المتكلم، مع العلم بأن هذا الأخير هو الذي يقوم بإنشاء الخطاب وانفتاحه، غير أن السامع هو من ينشأ له هذا الخطاب ويوجه إليه كما أنه يشارك مشاركة فعالة في إنتاجه ولو لم تكن مباشرة، ولذلك فإن المتكلم حين يراعي مقام الخطاب وأحوال السامع وأشكال إلقاء الخبر إليه وأنماط الطلب التي ينشئها وما إلى ذلك من ظروف الحديث المتنوعة، فهو إنما يستحضر السامع في كل عملية إبلاغية ولو بصورة ذهنية وهكذا يتم بيان وظيفة المتكلم بالدرجة الأولى باعتباره المخاطب في صياغة الرسالة وإنتاجها والتأثر والتأثير والإقناع والقصد من الاتصال والإبلاغ مع الوقوف على أغراض ونوايا المتكلم،بمعنى أنّ العرب قد تناولوا واهتموا بالخطاب قد درسوا ما يرتبط بالمخاطِب وكيفية أدائه والمخاطَب وطريقة تلقيه، ولعلّ لجاحظ (ت 255هـ) في هذا السياق يمثل الأُنموذج البارز في تحقيق البُعد التداولي انطلاقا من كتابه (البيان والتبيين) الذي جاء فيه سياق تعريف ماهية البيان والذي تجلت من خلاله بعض الوظائف التي تتضمن أهم عناصر العملية التداولية من تخاطب وتأثير وإقناع وإبلاغ المعنى وغيرها، ولهذا فإن هناك من اعتبر أنَّ العلاقة بين البلاغة العربية القديمة والتداولية الحديثة ذات بعد جاحظي بالدرجة الأولى، وهو ما يعضده كلام "أبي هلال العسكري" ت (395هـ).[2]

لكن الحديث عن أثر الجاحظ في ذلك البعد لا يعني إطلاقا بأن الأمر مقصور عليه وعلى أبي هلال العسكر فحسب، بل هناك جهود عربية أخرى لا تقل شأنا ولا مستوى عن الإسهام في صياغة نظرية أدبية بلاغية تنطوي على مشروع الدراسة التداولية للغة والخطاب على نحو ابن قتيبة (ت 276هـ) وحاز القرطاجني (ت 684هت) و ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) وعبر القاهر

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 21.

[2] – ينظر: عبد القادر عواد: «آليات التداولية في الخطاب (الخطاب الأدبي أنموذجا)» ،علامات، ج74، مج19، شعبان 1432، يوليه 2011، ص 54.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الجرجاني (ت 471هـ) و أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) و أبو بكر عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ) وأبو الفتح بن جني (ت 392هـ) وغيرهم، الذين حاولوا جميعا تسليط الضوء على ظاهرة الخطاب والإقناع والتأثير ومقتضى الحال، وأداء المخاطب وشروط خطابه، وطرائق التلقي لدى المخاطب ثم مطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر أو ما يخالفه، وغير ذلك من العناصر الجوهرية في النظام التخاطبي.[1]

أما في العصر الحديث فنجد بعض الأعمال التي نظرت إلى اللغة نظرة تداولية من مثل بعض البحوث التي قدمها كل من (أحمد متوكل) و (طه عبد الرحمان) هذا الأخير الذي قام بوضع مصطلح (التداولية) كمقابل للمصطلح الأجنبي (Pragmatique) سنة 1970، وتتجلى ملامح البحث التداولي عنده من خلال اهتمامه بالكلام والعملية التخاطبية ككل، إن يرى أن التخاطب يتم بين طرفين متبادلان أقوالا معينة بغية وصول كل منهما إلى هدفه وهو التبليغ، إن يقول في هذا الصدد: "ولما" كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو قل (فائدتها التواصلية) نسميها بقواعد (التبليغ) علما بأن مصطلح (التبليغ) موضوع للدلالة على التواصل الخاص بإنسان.

ومن هذا المنطلق يرى (طه عبد الرحمان) أن المجال التداولي هو نوع من التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم.

ويقصد بالتواصل والتفاعل ذلك تأثير المتبادل بين المشاركين في الحديث في علاقة سببية دائرية تنفي المرجعية المعتمدة في الطرق التقليدية القائمة على مبدأ السببية الخطية.

أما (أحمد المتوكل) فيعد من أبرز ممثلي – الاتجاه التداولي في الكتابات العربية الوظيفية والتداولية الحديثة، ويظهر ذلك من خلال أعماله المتنوعة في هذا المجال وخلاصة ما قدمه هذا الباحث:

أنَّ التحليل التداولي للغة يقتضي الاهتمام بتحديد طبيعة الوظائف التداولية في اللغة العربية وتتميز دراساته الوظيفية للغة باستنادها إلى ثلاثة عناصر وهي: "التركيب والدلالة والتداولية" ويهب إلى أنَّ:

- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعة هي التواصل.

[1] - المرجع نفسه، ص 55.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب.
- يرى أن النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة، ذات طابع تداولي.[1]

ومنه نخلص إلى أن التداولية في تراثنا العربي قد برزت منذ الممارسات الأولى كوحدة متكاملة في دراسة اللغة أثناء الاستعمال في جل حقولها من نحو بلاغة وتفسير وفقه. ويمكن تمييز اتجاهاتها بين ما يهتم بوجه استعمال اللغة، وبين ما يتصل بها من قرائن غير لفظية كمنزلة المتكلم، وعلاقته بالسامع، وحالة كل منهما من النفسية و الاجتماعية والأدائية ..مما يظهر دراسة تداولية شاملة، جديرة أن تكون ببحوثها علما مستقل.

ب- التداولية في الفكر الغربي:

يعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس" ch-s peirse (1839/1914) حينما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزقيا" سنة 1978 و 1979 بعنوان "كيف يمكن تثبت الاعتقاد؟ ومنطلق العلم: كيف نجعل أفكارنا الواضحة؟" حيث أكد على أن الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتطبيق والفعل،هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار.[2]

و يرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس wiliam charles mourise سنة 1938، حيث قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات، وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة (التركيب والدلالة والتداولية)، ليصل إلى أنَّ «التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[3] وهو تعريف يتجاوز المجال اللساني ليشمل غيره من المجالات غير اللسانية (المجال السيميائي).

---

[1] – ينظر: يوسف تغزاوي، نماذج تداولية، الكلية المتعددة التخصصات الناظور، جامعة محمد الأول، مكتبة ووراقة العمران، 2017، ص 18.

[2] – ينظر: الزاوي بغورة: «العلامة والرموز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)»، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2007، العدد3، المجلد35، ص 199.

[3] - فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش،ص12، وينظر موشلار آن روبول: التداولية اليوم، ص 29.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ومما سبق نستنتج أن موريس لا يبتعد كثيرا عن تصور بيرس إلاَّ من حيث البعد السلوكي، كان مفهوم موريس محفزا وسببا للنهوض بمجموعة من الدراسات تضمنت دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام، وداخل اللغة بشكل خاص ودراسة التصورات.

وتشكل التداولية درسا جيدا وغزيرا لم يمتلك بعد حدودا واضحة، انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة بيد أنه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصة التداولية اللسانية موضوع حديثنا.

إن اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد "باركلي" تغذيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع.[1]

فالتداولية اللسانية اتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حلٍ لعديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو (الفونولوجيا، التركيب، الدلالة) «ولذلك يعترف كرناب "Karnab" أن التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقول: إنها قاعدة اللسانيات»[2] كما أن اللسانيات التداولية تشكل محاولة جادة للإجابة عنها، متوسلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير الذي كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟.[3]

[1] – ينظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهات قضاياها الراهنة، ص 163.

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات، الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص 2.

[3] – ينظر: فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، المرجع السباق ص 23، 24.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ومن المتفق عليه أن اللسانيات التداولية لها أصول فلسفية انبثقت منها، حيث تُعد الفلسفة التحليلية المصدر الأول لظهور أحد أبرز المفاهيم التداولية وهي الأفعال الكلامية.[1] استطاع رواده بمنهجهم المستحدث في معالجة القضايا العالقة في الفلسفة، متجاوزين الفلسفة التقليدية بتحويل بؤرة الاهتمام إلى اللغة في حد ذاتها.

وذلك بفضل مؤلفاته مجموعة منهم أمثال: "لودفينغ فيتجشتين" (1889-1951) Lurittgenstein برتراند راسل (1872-1970) B,Russel، رودولف كرناب (1891-1970) R,Carnap و(جلبرت رايل) (1900-1976) G.Ryle.

إذ أن فكر فتجشتاين متأثر بالفلسفة والمنطق وقد حاول الإسهام في حقل اللغة وإيجاد لغة مثالية تتطابق والفكر الفلسفي، لكنه سرعان ما عد عن ذلك واتجه إلى دراسة اللغة العادية[2] وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة.

أ- الدلالة: وقد فرق بين الجملة والقول وجعل الجملة أقل اتساعا من القول.

ب- القاعدة: وهي مجموعة المثل الصالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين والتي تسمح بتنويع النشاط اللغوي وهي القاعدة النحوية الصحيحة في الترتيب والاستعمال.

ج- الألعاب اللغوية: إنه مفهوم لا ينفصل عن مفهومي القاعدة والدلالة، وهي في نظره شكلا من أشكال الحياة، فقد تنوع النشاط اللغوي وتعددت الطرائق في استخدام الجملة الواحدة كالشكر والتحية فحسب فتجشتاين اللغة ليست حسابا منطقيا، بل كل لفظة لها معنى معين، ولكل جملة معنى في سياق محدد، فالكلمة والجملة تكسب معناها من خلال استخداماتها، فالمعنى عنده هو الاستعمال (Meaning is use)، لقد ساهم هذا الفيلسوف مساهمة فعالة في مجال التداولية، حيث جعل الاستعمال هو الذي يبث الحياة والحركة في اللغة، وجعل التواصل هدفا وبالرغم من الجهود الفلسفية في مجال اللغة، والتداولية على وجه الخصوص، إلا أن البحث فيها لم تتضح وإجراءاتها التحليلية لم ترق إلى العلمية و الموضوعية إلا بمجيء الفيلسوف جون أوستن.[3]

---

[1] – مسعود (صحراوي)، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 2005، ص 17.

[2] – محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 42.

[3] – ينظر: سحالية عبد الحكيم: «التداولية»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، العدد الخامس، مارس، 2009، ص 11.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وهذه المبادئ إنما هي التي شكلت أهم ركائز التداولية ورسمت صورتها.

فلم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة اوكسفورد Oxford ، جون أوستين J.austine، وجون سيرل J.Searl وبول غرايس Paul Grise، وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية Langage watiral، في مقابل مدرسة اللغة الشكلية (الصورية) Formal Langage وكانوا يهدفون إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال إبلاغ مرسل رسالة، إلى مستقبل يفسرها، فكان عملهم من صميم البحث التداولي.[1]

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع جون أوستن J.Austin، وتطورت على يد "جون سورل" (J.Seale) وبعض فلاسفة اللغة، من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية (أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي، الإشاريات...).

والحق أن جون أوستن J.Austin حينما ألقى محاضرات ويليام جيمس عام 1955، لم يكن يهدف إلى وضع اختصاص جديد للسانيات أو فرع جديد لها، وإنما كان يومئ إلى وضع اختصاص فلسفي جديد هو (فلسفة اللغة)، بيد أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوقفة للسانيات التداولية.[2]

وانطلاق أوستن من ملاحظة بسيطة مفادها أن كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب «لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الواهنة أو السابقة، إنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها»[3] فجملة من قبيل "آمرك بالصمت" لا تصف واقعا بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت.

تأثرا بمن سبقه كالفيلسوف فتجشتاين الذي اعتبر اللغة إنما تستخدم لتصف العالم وما هي إلا أداة رمزية تُشير إلى الواقع، والوقائع الخارجية وقد تصدى أوستين لهذه الأفكار، ونقدها وأنكر أن

---

[1] – ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 9-10.

[2] – ينظر: باديس لهويمل: «التداولية والبلاغة العربية»، ص 160.

[3] – آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموش، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003، ص 30.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار«لقد أنكر أوستين أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا إما صادقا أو كاذبا و أطلق عليه المغالطة الوصفية»[1]

وبناء على هذه الملاحظات قسم أوستين Austin الجمل إلى جمل وصفية والتي تكون أفعال منجزة فالأولى تخبر عن وقائع العالم الخارجي ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والثانية تنجز بها أفعال فهي لا تحتمل صدقا لا كذبا، وتقابل في الثقافة العربية الجمل الخبرية والجمل الإنشائية مثلما نجدها عند علماء النحو والبلاغة، وكذا علماء التفسير وأصول الفقه في أبحاثهم.

ويمكن تلخيص فكرة في نقطتين اثنتين، النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب، النقطة الثانية تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن عمل، فنظرية الكلام تؤكد على أن كل ملفوظ يخفي بعد كلاميا أي الفعل الذي تشكله واقعة الكلام بالذات فنحن لما نستخدم أمرا مثلا، لا نتحدث بجملة تتضمن أمرا فحسب، بل تصدر أمرا وهنا نقوم بفعل.

وقد شكلت أفكار وملاحظات "أوستين Austine" بداية موفقة لنظرية أفعال الكلام، أول نظرية تداولية لسانية، ثم سرعان ما فتئت تتطور شيئا فشيئا مع فلاسفة اللغة بعد أوستين بخاصة تلميذه "جون سيرل J.Searle" لتظهر بعدها نظريات أخرى (القصدية والملائمة، والاستلزام التخاطبي، والحجاج...) شكلت مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية.

وعليه فموضوع التداولية يستخلص من مجموعة عوامل المقام الذي قيلت فيه العبارة، وتشمل المتكلم والمخاطب والغاية التي يقصدها المتكلم و أثرها على المخاطب.

- درجات التداولية:

تشتمل التداولية ثلاث درجات وكل درجة تهتم بالسياق غير أن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى، وهذه الدرجات هي:

أ/ التداولية من الدرجة الأولى: "النظرية التلفظية:

تهتم هذه التداولية بالرموز والإشارات التي تُحيل على المخاطبين، وإلى الزمان والمكان، وتهتم أيضا بدراسة البصمات التي تشير على عنصر الذاتية في الخطاب، وتتحدد دلالتها من خلال السياق.

[1] – الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 22.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ب/ التداولية من الدرجة الثانية: "النظرية الحجاجية "

تتضمن دراسة الأسلوب أو الطريقة التي تعبر بواسطتها من مسائل مطروحة، وهي تتناول كيفية انتقال الدلالة من مستوى الأسلوب الصريح إلى مستوى الأسلوب الضمني (التلميح)، وأهم نظرياتها نظرية الحجاج، قوانين الخطاب، مبادئ الكلام، الأقوال المتضمنة وغيرها، أما سياقها فموسع، لأنه لا يهتم بمظاهر الزمان والمكان، بل يتعداها إلى المبادئ والاعتقادات المتبادلة بين المتكلمين.[1]

ج/ التداولية من الدرجة الثالثة: "نظرية الكلام لأوستين"

تفيد أن الأقوال المتلفظ بها لا تصف الوضع الراهن للأشياء فحسب بل إنها تتجزأ أفعالا، ويكون السياق في هذه الحالة هو الذي يحدد فيما إذا تم التلفظ بجملة وصفية أو استثنائية.

وهو ينقسم إلى قسمين:

1/- إثباتي خبري مثل:سافر الرجل

2/- إنجازي مثل:هل سافر الرجل؟.[2]

مهام التداولية:

تتلخص مهام التداولية فيما يلي:

- دراسة اللغة أثناء التلفظ بها في سياقات ومقامات مختلفة

«فالتلفظ هو النشاط الرئيسي الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي»[3]

وذلك لكونه ينتقل باللغة من وجود بالقوة في ذهن صاحبها إلى وجود بالفعل من خلال الممارسة الفعلية، وعلى هذا الأساس هذه الممارسة يتحدد القصد والغرض من الكلام فالتداولية إذن تدرس اللغة بعدها «كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدَّد»[4]، يقول "فان دايك vandik": «والفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حالة التكلم في

---

[1] – بلقاسم دقة: «استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية»، مجلة الخبر، مجلة سنوية محكمة صادرة عن مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، 2014، ص 496.

[2] - نادية رمضان النجار، الاتحاد التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 24.

[3] – عبد الهادي ظافر الشهيري: إستراتيجية الخطاب، المقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت، 2004، ص 27.

[4] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 26.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعة، وأغراضها ومقاصدها من هذه الأفعال»[1]

ويرى فان دايك (van Dik): أن من مهام التداولية كذلك، دراسة شروط نجاح العبارات، وصياغة شروط ملائمة الفعل لإنجاز العبارة، ومدى ملائمة كل ذلك لبنية الخطاب ونظامه،يقول: «إن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر».

ولهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية، تقوم في صياغة مبادئ، تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن ينمو في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة، والمهمة الثالثة أنه لما كانت معطيات العربية متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط، فيجب أن يكون من الواضح في التداولية، كي تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي، وكمبادئ فعل مشترك لإنجاز التواصل مع بنية الخطاب وتأويله».[2]

فالتداولية تتيح للمتكلم، وتضمن له نجاح إنجاز العبارات اللغوية، حيث تعالج أسباب فشل الدراسات البنيوية الصرف للملفوظات، بمراعاة، سياقات ورود العبارات اللغوية واستعمالها، والانفتاح على كل ما يحيط بها مراعاته، كما تتجاوز ذلك لدراسة كيفية إنجاز الأفعال من خلال القول، وبيان أن إنجاز الفعل تتداخل فيه جهات مخصوصة وعديدة (اجتماعية ونفسية، وثقافية وسياسية)، كما تهتم التداولية بشروط ملائمة الفعل اللغوي ومناسبته، لتراكيب الكلام المنجز وسياقاته، ومدى مطابقة كل ذلك لبنية الخطاب العامة.

التداولية عند "فان دايك" تقوم بمهمة دراسة الشروط التي تضمن النجاح والفاعلية والمناسبة لكل استخدام لغوي، وفق ما يقتضيه ويتطلبه كل موقف تواصلي.[3]

---

[1] – فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتراوح، تر: عبد القادر فنيني، ط1، إفرقيقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 292.

[2] – فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتراوح، المرجع نفسه، ص 256.

[3] – باديس الهويل، التداولية والبلاغة العربية، ص 163.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ومن مهام التداولية كذلك، «شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات»[1] فتدرس كالقواعد الاستدلال التي تمكن المتكلم من إحكام صياغة عباراته اللغوية وما تحويه من أفعال، بما يستجيب لأغراضه ومقاصده في المقامات التواصلية المختلفة التي يكون فيها.

تسعى التداولية كذلك لبيان كيف يمكن للتواصل الضمني (غير الحرفي) أن يكون في الاستعمال أفضل من التواصل الحرفي المباشر.[2]

وتهدف التداولية في محصولها العام، للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها بقوة؟ ولم تستطع المناهج الكثيرة السابقة، في دراستها للغة الإجابة عنها:

ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم من يتكلم وإلى من يتكلم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نتعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكننا أن نركز إلى المعنى الصرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟.

- مفاهيم التداولية وقضاياها:

تضم التداولية مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، فتسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة، وأكثرها ضبطا، يقول الباحث "صلاح اسماعيل": «علم الاستعمال إذن دراسة لغوية تركز على المستعملين للغة، وسياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي، بجوانبها المتنوعة، وينقسم هذا العلم إلى عدة فروع، يبحث الفرع الأول: كيف يحدد السياق المعنى القضوي الواحد بالنسبة لجملة في مناسبة معينة لاستعمال هذه الجملة ، ونظرية الفعل الكلامي Speech Theory هي الفرع الثاني من علم الاستعمال، والفرع الثالث من علم الاستعمال ... وهو نظرية التخاطب Theory of Conversation، أو نظرية الاقتضاء Theory Of Ampliateur »[3]

فالتداولية علم تواصلي جديد، يقوم على مجموعة من المفاهيم الإجرائية يكاد يتفق الباحثون على أن أهمها أربعة مفاهيم:

---

[1] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 27.

[2] – ينظر: المرجع نفسه،ص 27، وآن روبول، جاك موشلار،التداولية اليوم، ص 74.

[3] – صلاح اسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غراس، ط1، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 77، 78.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أفعال الكلام Les actes De Langages ومتضمنات القول Les Implicites والاستلزام الحواري L'implication Conversationnelle، والإشاريات Deicies...

وهذا بالإضافة لجوانب وآليات أخرى تعد من صميم البحث التداولي، مثل نظرية الملائمة Theory Pertinence، والقصدية Intentionnaliste و السياق Contexte والحجاج L'argumentation.

أفعال الكلام:

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسعه "أوستين Austin" ففي المحاضرات الاثنا عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد Harvard" سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه "How to do Think with words"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire c'est faire" "عندما نقول نفعل" إذا جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين على دراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية واستأنفت بعد ذلك من طرف "سيرل" "Searle".[1]

وسنتحدث عنها أكثر في فصول بحثنا القادمة بشيء من التفصيل و الدقة.

متضمنات القول:

هو مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره ومن أهمها:[2]

الافتراض المسبق:

في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، ويرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ.[3]

---

[1] – ينظر: خديجة بوخشة ، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 24.

[2] – خديجة بوخشة ، محاضرات في اللسانيات التداولية ، المرجع نفسه، ص 32.

[3] – المرجع نفسه، ص نفسها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الأقوال المضمرة:

ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، والأقوال المضمرة هي كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها لكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث.[1]

الاستلزام الحواري:

يعد الاستلزام الحواري واحد من أهم الجوانب في الدرس التداولي، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، وترجع نشأة البحث في هذا الموضوع من موضوعات البحث التداولي إلى الفيلسوف "غرايس" وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية وذلك من خلال محاضراته التي كان يلقيها في جامعة هارفارد سنة 1 967 منطلقا في ذلك من مبدأ الناس في حديثهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون اكثر مما يقولون ويقد يقصدون عكس ما يقولون، جاعلا كل همه هو إيضاح الاختلاف بما قال وبما يقصد.[2]

فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال.

وقد حدد غرايس نوعين من الاستلزام هما:

- **الاستلزام العرفي:**

وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها.

- **الاستلزام الحواري:**

هو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها.[3]

الإشاريات:

وهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها وفي ذلك يقول إبراهيم بركات: «يتفق النحاة جميعا على أن الأسماء المبهمة يعني بها أسماء الإشارة، وقد خص بعضهم المبهمات بأسماء الإشارة وحدها»، وهو ما يظهر لدى باحثي تداولية الدرجة الأولى التي تعنى بدراسة الرموز الإشارية، أي تدرس «التعابير المبهمة حتما ضمن ظروف

[1] – ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 30، 32.

[2] – ينظر: محمود أحمد نحله، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 32.

[3] – محمود أحمد نحله، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع نفسه، ص 32، 33.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

استعمالها، أي سياق تلفظها»، فما هو سياق الدرجة الأولى إذن؟ : «الموجودات، أو محددات الموجودات، ومن ثم فالسياق الوجودي والإحالي هو: المخاطبون، ومحددات الفضاء والزمان».[1]

نظرية الملائمة:

وهي مفهوم ولد من رحم علم النفس على يد كل من اللساني البريطاني "ديدر ولسن D wilson" والفرنسي "دان سبربر" D Sperber «وهي نظرية تفسر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة وتعد في نفس الوقت نظرية إدراكية».[2] فالملائمة ترتبط بالعقل وإمعانه في تأويل الملفوظات.

الاقتضاء:

ارتبط مفهوم الاقتضاء بمفهوم الإحالة في فلسفة اللغة العادية وقد كان الفيلسوف "فريجه" أول من نبه إلى هذا الرابط بين المفهومين فإذا كانت العبارة اللغوية تحيل إلى شيء ما فهذا يقتضي بالضرورة وجود شخص أو شيء ما يحيل إليه في الواقع، ومثال ذلك:

يترأس الجزائر حاليا عبد المجيد تبون

- فاسم العلم "عبد المجيد تبون " يحيل إلى شخص معين يترأس جمهورية الجزائر كما أن هذا يقتضي وجود شخص يتولى حاليا قيادة البلاد وهو السيد عبد المجيد تبون[3]

مبدأ القصدية:

هو مفهوم أخذه "اوستين" عن "هوسرل" والظاهرتين وأدخله في تحليلاته للظواهر اللغوية، واعتبر أن فعل كلامي يقوم على مبدا القصدية ويهتم هذا المبدأ بـ: «الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية».[4]

---

[1] - بن عياد فتيحة، مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في المعجمية وصناعة المعجم، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015، ص 25.

[2] – بن عياد فتيحة، مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال، المرجع نفسه، ص 24.

[3] – ينظر:آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2001، ص 44، 45.

[4] – مسعود صحراوي، التداولية عند العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 10.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وعليه يمكننا القول أن التداولية تضم مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا التي تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، فتسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة، وأكثرها ضبطا.

السياق و التداولية

يأخذ مفهوم السياق في التحليلي التداولي بعدا أعمق من اللسانيات الاجتماعية، فهو أحد أهم مرتكزات اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء، استعمالها، إنه أداة إجرائية يتميز بها التنظير اللساني التداولي على مستوى اللغة، وعلى مستوى السياق الاجتماعي والثقافي النفسي، حيث يقسم الدارسون التداولية إلى ثلاث درجات تتحدد كل درجة على أساس تشغيلها للسياق فتداولية الدرجة الثالثة مثلا تتعلق بتطبيقات أفعال الكلام في سياقها اللغوي وتشتغل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها[1] حيث يؤدي السياق وظيفة رئيسية في كشف مقاصد المتكلم الظاهرة والخفية، وهو ما يجعل من السياق انتشارا في مجالات معرفية متعددة، فهو يتوزع «عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي، والزمان والمكان ... وغيرها»[2]

ويمكن القول أن التداولية بعدها علم الاستعمال اللغوي ضمن السياق أو طرائق استعمال العلامات ضمن سياق ما، يمكن أن تسمى بالسياقية كما هي عند "ماكس بلاك" (Max Blak)،[3] وأن مفهوم السياق في التنظير التداولي يتجاوز الاصطلاح إلى الإجراء العملي، حيث أن السياق كما يرى علي آيت أوشان في تحليله للمفهوم عند الباحثة فرانسواز أرمينكو مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي، لا نعلم حدود بدايته ونهايته، اتساعه يجعلنا نعبر من درجة تداولية إلى أخرى، فهو إمَّا:[4] سياق ظرفي فعلي وجودي مرجعي، وهو المحدد للانتماء المتخاطبين وهواياتهم، وبيئتهم المكانية والزمانية، وهو ما يحدد مفهوم التداولية عند بارهيل ومونياك بأنها السياق وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي.

سياق مقامي تداولي، وهو ما تفهمه الجماعة المنتمية إلى نفس الثقافة على أنها ممارسة خطابية.

سياق تفاعلي، ويقصد به تسلل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات.

---

[1] – ينظر: على آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 59.

[2] – على آيت أوشان، السياق والنص الشعري ،المرجع السابق، ص 16، 17.

[3] – المرجع نفسه، ص 56.

[4] – المرجع نفسه، ص60،61.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

سياق اقتضائي، وهو الإقتضاءات التي يحد س بها المتلقون للخطاب من اعتقادات وانتظارات ومقاصد.

ويمكن أن نجمل هذه الأقسام (لقد أورد آيت أوشان توحيد للسياق التداولي عند روبير ستالناكر وفرانسيس جاك) بقوله "تبنى" (ستالناكير وجاك) تعريفا للتداولية مفاده أن التداولية دراسية خضوع القضايا للسياق، فالاقتضاء الأولى لهذه التداولية هو وجود مفهوم بسيط ووحيد للسياق، الذي تخضع إليه الجمل هو الذي يستعمل في تحليل أفعال اللغة والذي يعبر من خلاله عن قواعد منطق الحوار ومن هنا يسمح المفهوم الموحد للسياق من نمو تداولية محضة يكون موضوعها معالجة ما يعود في اللغات الطبيعية إلى الشروط العامة للتواصل) في صنفين هما السياق اللغوي وغير اللغوي، أو كما قسمه اللغوي "فيرث" إلى السياق اللغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية؟، والفونولوجية، والمورفولوجية، والنحوية والدلالية، وإلى سياق الحال: ويمثله العالم الخارج عن اللغة، بما له صلة بالحديث اللغوي، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أن المشتركين في الكلام.[1]

وهكذا يكون السياق اللغوي هو مجموع العناصر اللغوية التي تحيط بجزء من الملفوظ، ويكون السياق غير اللغوي هو مجموع، المقتضيات غير اللغوية التي يتحدد بمقتضاها الملفوظ على أنه رسالة في زمان ومكان محددين، وهذه العوامل تتصل بالمخاطب والمخاطب وظروف الخطاب المختلفة ونجد صاحب "السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة" و في إطار التداولية وإجراءاتها السياقية، يتحدث عن أفعال الكلام وعلاقتها الكبيرة بالسياق: فنجد معه أن السياق يعضد أفعال الكلام في أي خطاب، حيث "يغير كل فعل كلامي لغة السياق، إن تكلف المسألة المخاطب مثلا الجوانب، وهذا ما يستدعي الاعتراض، ويؤثر السياق في عرض القول بتعديله، لأن السياق هو أثر أفعال اللغة السباقة، وبسبب أفعال اللغة اللاحقة"[2] فيتضح أن علاقة السياق بأفعال الكلام هي علاقة سبب بمسبب أو مسبب بسبب، فيؤثر كل فعل كلامي في السياق، ويؤثر السياق في تعديل القول.

[1] – ينظر : حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 135.

[2] – على آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 62.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

إن لأفعال الكلام قوة (Forces)، وكذلك فعل كلام لازم فعل الكلام، وكلاهما يستلزم الاتفاق والتواضع[1] (السياق)، حيث لا قيمة للمفردات أو لأفعال الكلام عن سياقها، وينتج عن هذا دراسة أفعال الكلام التي يوجهها المتكلم داخل السياق، وفي إطار البيئة المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب.

وتفصيل ذلك، أن في كل خطاب يوجد على الأقل شخصان، أحدهما فاعل حقيقي أو متحدث مبلغ للرسالة ما، والآخر فاعل من جهة الإمكان مستمع منصت، وهما فاعلان ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية واحدة، أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة، تتفق في ضروب القيام.[2]

بالفعل المشترك الإنجازي، وطوال مدة معينة من الوقت فإن نشاط عضوين (فأكثر) من الجماعة قد تتسق وتنتظم على معنى أن المتكلم ينتج عبارة أو ربما ليس ذلك فحسب، وإنما يصير فاعلا وينجز عددا من الأفعال الإنجازية، وهذا التوصيف للبديهيات الموقف التواصلي يفترض إعادة بناء وتركيب خاصياته في إطار البناء السياقي للخطاب.

حيث تكون الخاصية الأولى للسياق هي الميزة الديناميكية المحركة، فليس السياق مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال وهيئات اللفظ، حيث توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع أحدنا ان يكون له فيها أوضاع مخصوصة أو هي حالة السياق الواقعي[3] ويتحدد السياق الواقعي بفترة من الزمان والمكان، بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من المتكلم والمخاطب.

وهكذا فإن السياق في التداولية يجب أن يتوفر فيه متكلم ومستمع واحد على الأقل، خطاب أو وحدات لغوية قد تتضمن أفعال كلام، ثم تنزل هذا الخطاب في زمان ومكان معينين، على أن تكون هذه الوحدات اللغوية حاملة لمعان محددة، ومن ثمة تصبح أسئلة التداولية: من يتكلم؟ وإلى من

---

[1] – ينظر: جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ص 127.

[2] – بومنقاش الرحموني، محاضرات في التداولية، ص 20.

[3] – ينظر: فان دايك ، النص و السياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر فنيني، افريقيا الشرق، 2000، ص 258.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

يتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ كيف نتكلم وماذا نقصد؟ أسئلة تبحث عن إجابات سياقية، ويصبح السياق محور التداولية.[1]

وتعمل المعرفة المشتركة mutual knowledge أو الأرضية المشتركة Grouand Common أو العلاقات الرابطة بين المتكلم والمتلقي دورا في بناء سياق الخطاب، لوجود خصائص جامعة في أطراف الحوار أي أحوال إنجاز أفعالهم في السياق الواقعي، وبهذا الاعتبار توجد وظيفتان في السياق، وظيفة حال التكلم ووظيفة حال المخاطب، بحيث نتعرف على كل حال في السياق وفقا لما يكون فيه الشخص المشارك في المحادثة، وتقتضي أساسيات التواصل أن لا يكون المتكلم مستمعا في ذات الوقت، ومن ثمة فإن تقاليد الحوار والمحادثة تقضي بأن المشارك المستوفي وظيفة حال التكلم يمكن أن يسمى في الحوار المتكلم، والمشارك المستوفي وظيفة حال التخاطب يمكن أن يسمى المخاطب، والجامع بينهما هو المعرفة اللغوية حيث "تشكل المعرفة اللغوية" امتلاك المتكلم السامع لـ: «الأوضاع المتعارف عليها في عشيرته اللغوية، أي القواعد التي تكون نسق لغته هذه القواعد، كما أسلفنا، قواعد تربط بين الخصائص البنيوية للغة والخصائص الوظيفية»[2]

إن أطراف المحادثة في علاقتها مع المعرفة المشتركة تعيد ترتيب السياق وفق شكلين جامعين هما:[3]

- السياق المستقل الحاضر في أذهان أطراف المحادثة والذي يمكن افتراضه مسبقا في التعبير اللفظي.
- نواحي وجوانب السياق والتي تصبح ذات صلة وتؤخذ بعين الاعتبار بسبب المؤشرات الضمنية غير اللغوية أو أساليب بيانية في التعبير تنبئ عن شعور المتكلم.

نصل إلى القبول، إنه دون هذه المعرفة المندرجة في سياق ما لا يمكن الجزم بالموضوع الذي يدور حوله، وفق ذلك كله لا يمكن فك شفرات الخطاب القائمة على المراوحة بين أفعال الكلام، وحال التكلم، ومن دون هذه المعلومات المستوفاة من المعطيات (المعرفة الابستيمية) الأساسية لا يصح وجود الفعل المشترك والفعل الإنجازي على الإطلاق، وإذن فإن جزءا حاسما من البنية السياقية

[1] – بومنقاش الرحموني، محاضرات في التداولية، ص 21.

[2] – أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010، ص 86.

[3] – ينظر: منال محمد هشام سعيد النجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البرغماتية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 21.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ينبغي أن يكون ذلك التغيير الحاصل في المجموعة المعرفية (الابستيمية) للمشاركين في الخطاب وبموجب هذا التغيير يمكن أن يحدد بدايته السياق ونهايتها.[1]

من خلال ما سبق نصل إلى أن التحليل التداولي هو ذلك التحليل السياقي الذي يراعي المقامات التي يتنزل فيها الخطاب وهي أنواع شتى: السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف، السياق الثقافي ... فجملها كلما أجملها الباحث طه عبد الرحمان.[2]

أولا: العنصر الذاتي ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته.

ثانيا: العنصر الموضوعي ويشمل الوقائع الخارجية الظروف الزمانية والمكانية المصاحبة للخطاب.

ثالثا: العنصر الذواتي ويشمل المعرفة المشتركة بين المخاطبين، أو العادات والتقاليد الاجتماعية المتفق عليها بداهة بين المتكلم والمستمع.[3]

وعليه يأخذ السياق مسارا أكثر بعدا مع الدراسات التداولية (Pragmatique) والتي عمّق أصحابها مسألة السياق اعتمادا على تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي، والتداولية كما حددها (رودلف كرناب Rodolf Carnap) هي قاعدة اللسانيات وتسعى أساسا للإجابة عن أسئلة المتكلم وعلاقته بالملتقي،ودراسة اللغة في علاقاتها بالعالم الخارجي أي علاقاتها بظروف إنتاجها.

يعد السياق التداولي من أحد أهم المصطلحات اشكالا سواء على ساحة الدرس اللغوي و كذا التداولي بغموض ماهيته، وتنوع مفاهيمه، و يمكن أن يكون أول أسباب دلك تعدد هويته من مجال إلى آخر، وتعلقه بمصطلحين لا زال يتجاذبهما إلى اليوم كثير التوجهات وحتى التسميات؛ السياق والتداولية. وربما كان الإشكال أكثر حدة حين ارتبط أكثر بترجمته إذ التصقت بالمصطلح عديد الترجمات ولا يزال الخلاف قائما عربيا بين مصطلحي المقام والحال والموقف بإضافة إلى مقتضى الحال، فمسألة الفهم مسألة مهمة هي الأخرى، فالمصطلح كمنبت غربي عرف تطورا ونموا عبر الدراسات التداولية ونظيرتها السياقية.

---

[1] – فان دايك: النص والسياق، ص 261، 262.

[2] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998، ص 221.

[3] – بنظر :بومنقاش الرحموي، محاضرات في التداولية، ص 24.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وأمام ما يواجهه المصطلح وأمام قلة الدراسات فيه، فلا نكاد نعثر عليه إلا كلمحات متناثرة بين الاختصاصات والكتب والمؤلفين قديمهم وحديثهم عربيهم وغربيهم . وإن كان ما انتشلنا من هذه الدوامة هو اتجاه الرؤية نحو أحد اللسانيين التداوليين الذين شاع سيطهم في الميدان بفضل أفكاره التي شكلت نقلة نوعية في تاريخ اللسانيات التداولية ،ألا وهو اللساني الهولندي فان دايك .

فقد اعتدنا النظر للسياق التداولي كمقابل للمصطلح العربي سياق الحال أو المقام كما يسميه مسعود صحراوي و محمود السعران بالسياق الكلامي أو سياق الحال«...ولا ينبغي لنا أن نغتر بكون بعض المعاصرين يحاولون وضع لائحة للأفعال الكلامية من دون ذكر،أحيانا لسياقها الكلامي أو الحالي»[1] .

أما محمد محمد يونس علي، في كتابه وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية فيجعل منه المقام الذي يؤطر عملية إنتاج الكلام:«...وكل هدا جعل التداوليين يفسرون عملية إنتاج الكلام و يربطونها بالمخاطب، و المتلقي الدي يفكك الرسالة اللغوية ليصل إلى مقصد المتكلم، وبالتالي فإن عملية إنتاج الكلام وفهمه مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمقام الدي يؤطر عملية إنتاج الكلام، ومحاولة فهم تلك الصيغ الكلامية مرهونة بمعرفة كل الملابسات و الظروف التي أحاطت بها»[2].

ولنا مع فان دايك حديث طويل فيه.

- السياق التداولي :

يري "فان دايك" أن السياق التداولي يقوم «على تأويل النص كفعل كلامي، أو كسلسلة أفعال كلامية، فالوعود والتهديدات والتأكيدات والأسئلة والأوامر... هي أمثلة على الأفعال الكلامية، ونقوم بفعل كلامي معين، حيث ننطق بجملة أو عدة جمل في سياق ملائم لها، ومهمة التداولية هي أن تحدد الشروط التي يجب أن تتوفر في كل فعل كلامي حتى يكون ملائما لسياق معين كالتي يجب أن تتمتع بها الملفوظات».[3]

---

[1] - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1،دار الطليعة، بيروت،2005، ص53.

2 - محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية،ط1،دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1993، ص180.

[3] – علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص 82.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فالأفعال الكلامية إذ داك لا تدرس مجردة عن سياقها الكلامي و الحالي، أو معزولة عن غرض المتكلم، إنما تدرس إنجازية تلك الأفعال في السياق عبر الاستعمال.

«ويتألف السياق التداولي من جميع العوامل النفسية والاجتماعية والتي تحدد نسقيا ملائمة الأفعال الكلامية، ومن هذه العوامل : المعرفة التي يملكها مستعملو اللغة، ورغباتهم وأشياؤهم المفضلة وآراؤهم وكذلك علاقاتهم الاجتماعية .... وفي بعض الحالات يمكن أن تكون هناك أيضا قيود مؤسسية على إتمام أفعال كلامية معينة».[1]

ومن خلال ما قاله "فان دايك" في هذه المسألة نجد أنه لا يكفي أن ندرس النصوص من جهة بنياتها فحسب، بل ندرسها أيضا من جهة وظيفتها، بل باعتبار أننا لا نسعى إلى معرفة "الأشكال" و "المحتويات" التي قد يختص بها "نص" ما فحسب، بل نروم أيضا معرفة الوظائف المحتملة التي يمكن أن ينجزها هذا النص بفضل الشكل و المحتوى الخاص اللذين يتمتع بهما.

ولذلك حاول أن يبرز بصفة دقيقة طبيعة العلاقة بين "النص"و "السياق"، ويقول : «فإذا أردنا أن نناقش العلاقات بين النص" و "السياق" مناقشة منهجية فإن "السياق" هو تجريد لما يمكن أن نطلق عليه بصورة حدسية "موقفا اتصاليا"، ولكن ما عناصر الموقف التي يجب أن ندرجها هنا في مفهومنا عن السياق؟ بادئ الأمر تعد الإجابة بسيطة: فقط العناصر التي تحدد قبول المنطوقات اللغوية أو عدم قبولهما، أو إصابتها أو إخفاقها، أو كفايتها أو عدم كفايتها، وهكذا يتعلق الأمر مع البراجماتية بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي، إذ تشكل هذه العناصر معا السياق».[2] فهذه العناصر تنتظم ضمن علاقات متداخلة مع بنية النص، ولها دور هام في خلق الفعالية المبتغاة للنص، وهذه القواعد التداولية لا يمكن التقليل من أهميتها، إذ تتمتع بالسمات نفسها التي للقواعد النحوية والدلالية.

السياق إذن عند فان دايم مفهوم فاعل فهو لا يضم كل عناصر الموقف الاتصالي بل تلك فقط التي يكون لها تأثير في النص بوجه من الوجوه.

وانطلاقا من هذه العلاقة بين "فان دايك"، "VanDiyk" أهمية "السياق التداولي" في تشكيل النص وتأويله بوصفه متوالية من أفعال الكلام، وذكر أن "بنية النص" ضمن سياق الاتصال لا تتأثر فقط بمعرفة الفرد أو مقاصده أو بوظائف النص في تأثيرها في مواقف أفراد أخرين وسلوكهم،

[1] - المرجع نفسه، ص 82،83.

[2] – ينظر : سامية بن يامنة، المرجع نفسه، ص

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فإن جماعات ومؤسسات وطبقات تتواصل أيضا تواصلا جماعيا أو عبر أفرادها من خلال إنتاج النص، ويبرز كذلك مكان الفرد ودوره ووظيفته وفي هذه الأبنية الاجتماعية من سلوكه اللغوي وقد رأينا أن الفرد يجب أن يتصرف من خلال سلطة أو وظيفة محددة أيضا لإنجاز أحداث لغوية معينة، مثل القاضي أو الراهب أو المدير.[1] وفي كل ذلك إشارة دقيقة إلى تنوع معطيات السياق التي يتشكل فيها الفعل الكلامي النصي والتي تضفي عليه صبغة خاصة تسهم في إنجازيته.

ومن الممكن في هذا الإطار تحليل "النص" على أنه "متوالية من أفعال الكلام"، مثلما يحلل على أنه "متوالية من الجمل"، وأنه يمكن إدخال "أبنية كبرى" تداولية لأفعال الكلام كما أدخلت أبنية كبرى لمضمون النص، بل يمكن النظر إلى النص عنده على أنه "فعل كلامي إجمالي" أو "فعل لغوي كبير" من أفعال الكلام.

ولذلك ليست النصوص مجرد إنتاجات بسيطة للغة: " بل يمكن أن تعمل إذا ما استعملت في سياق مناسب ك "متتاليات من أفعال اللغة، ولذلك فالتدواليات تدرس الشروط التي يلزم تحققها إذا ما أردنا تحقيق متوالية مقبولة من أفعال اللغة" ومعنى هذا أن التحليل النصي ضمن هذا الطرح لا يبتغي محتواه فحسب، بل يبغي وظيفته أيضا.[2]

بالإضافة إلى هذا التصور قدم فان دايك Vandyk أفكارا أخرى تشرح أكثر طبيعة الأفعال الكلامية وتأويلها وأصنافها، وبالخصوص ضمن "تداولية الخطاب " حيث ناقش وقدم الخصائص التداولية التي يقوم عليها الخطاب التداولي من مثل الترابط والاتساق وتوزيع المعلومات والجمل، وترتيب متوالياتها مما له شأن في الخطاب، وحاول أن يركز على مدى ملائمتها لغاية القيام بإنجاز متواليات قوى أفعال الكلام[3] منها:

- عندما ننطق بنصوص معينة في سياق محدد إنما نقوم بأفعال كلامية وهي أفعال اجتماعية تنتج في سياقات من التفاعل التواصلي وهذا التفاعل يندرج في مقامات اجتماعية.

- إنجازية الأفعال الكلامية مرهونة بالسياق الذي تستعمل فيه، يقول " فان دايك Vandyk ":«لا توجد فائدة من التكلم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام خارجا عن السياق المحدد تحديدا

[1] – ينظر: عبد الحليم بن عيسى: "الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطلت لغة الكلام ...)" لمفدي زكريا أنموذجا، ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، بشرى البستاني، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص 322.

[2] – سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، مقاربة تداولية، ص 129.

[3] – سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، مقاربة تداولية ،مرجع سابق، ص 129.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

اجتماعيا، أي السياق الذي يكون فيه المخاطب حاضرا والذي تحدث فيه تغيير ما على المخاطب طبقا لأغراض ومقاصد المتكلم مع شرط التواضع والاتفاق».[1] وفي كل ذلك إشارة دقيقة إلى طبيعة القوة الانجازية المقصودة التي لا تتحدد إلا بحال استعمالها.

- والسياق من خلال رؤية فان دايك هو الدي يحدد قصدية المتكلم من خلال متواليات أفعال الكلام مراعيا في ذلك حال أو مقام المتلقي انطلاقا من الحدث الابتدائي له 6إظلى غاية الحالة النهائية

فالسياق هو المسرح الحقيقي الواسع لفهم غرض المتكلم واكتشاف الحقائق.

بهذا الطرح هو الدينامية المحركة لمتوالية الأفعال الكلامية أو المسرح الذي تتمظهر وتتوالي من خلاله: إنه الاتجاه الذي تتنامى من خلاله مجرى الأحداث ابتداء من حالة ابتدائية، ثم حالات وسطى إلى الحالة النهائية وهذا الاتجاه هو الذي ينظم التمثل الذهني للقضايا المعبر عنها.[2]

ويوفي هذا الحديث عامة إلى أن الحقل اللساني التداولي يهتم بقضايا التواصل وبالبعد الاستعمالي والإنجازي للكلام، وذلك بدراسة الخطاب من اتجاه نصي تداولي بالتركيز على تداولية الخطاب في ظل بنيته ووحدته النصية المتكاملة (البحث في ما فوق الجملة)، والكشف عن مقاصد النصوص بالبحث عن أبعادها التلفظية الشاملة، من خلال تعاملها مع الأفعال الكلامية الكبرى متجاوزة أسئلة البنية و أسئلة الدلالة لتهتم بمقاصد المتكلم والبحث في أغوار معاني الكلام، مع إيلاء الأهمية الكبرى للأفعال الكلامية والتي تعد أساس المنظور التداولي والتي تحقق عبرها مقاصد المتكلم في ظروف سياقية محددة.

[1] – المرجع السابق، ص 130.

[2] – ينظر: عبد الحليم بن عيسى، الفعل الكلامي النصي، ص 322،323.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الفصل الثاني:

السياق التداولي

في البردة

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

تعد الدراسات التداولية - كما ذكرنا سابقا- من بين أهم المجالات التي دعا فيها أصحابها إلى تفعيل (السياق) من أجل ضبط المقاصد التي يقتضيها التفاعل الكلامي، وتعد (نظرية الأفعال الكلامية) من بين أهم المجالات التي احتضنت هذه الدعوى، إذ بين فيها " اوستين-Austin" وتلامذته أنه لا يمكن ضبط الفعل الإنجازي الذي يقوم عليه الفعل الكلامي من غير الأخذ بعين الاعتبار معطيات مسرح القول الذي ينتج فيه.

المبحث الأول: السياق التداولي ونظرية أفعال الكلام:

إن المطلع على المسار الذي عرفته نظرية أفعال الكلام يدرك أنها قد عرفت تطورات مختلفة لنوعية الدراسة، ويعد (فان ديك)Vandyk من أهم المنظرين لهذه النقلة النوعية من (الفعل الكلامي الجزئي)، والذي تم على يد "أوستين و سورل" ، إلى الفعل الكلامي النصي والذي ينظر فيه إلى النص بوصفه سلسلة من أفعال الكلام تخدم فعلا كلاميا شاملا، فأول سياق نحلله هو السياق التداولي، فالدراسة التداولية للنصوص تعتمد على تأويل للنص، باعتباره فعلا للغة أو باعتباره متتالية من أفعال اللغة فاستعمال اللغة ليس معناه إنجاز فعل خاص، وإنما جزء من التفاعل الاجتماعي، أي أنه ليس عملا فرديا، بل هو عملية يتم خلالها تفاعل الأفراد فيما بينهم داخل المؤسسة الاجتماعية، لتلبية احتياجاتهم مما يجعل الطابع الوظيفي للغة مهيمنا.

ومن هذا المنطلق دعا "فان دايك" إلى ضرورة استثمار نظرية الأفعال الكلامية في دراسة النصوص وتحليلها، بوصفها متواليات أفعال إنجازية تسعى إلى تحقيق غرض مقصود، حتى أطلق هذا المفهوم الفعل الكلامي الكلي أي الفعل الكلامي الإجمالي Global speech act أو الفعل الكلامي الأكبر marce Speech act وهذا الفعل هو حصيلة ما يعبر عن القوة المنجزة للنص ككل، ويكون ممثلا للقصد منه.[1]

وعليه يمكننا القول أن للسياق دور كبير في تشكيل النص وتأويله بوصفه متوالية من أفعال الكلام، إذ يقف على علاقة المعنى بالعمل المنجز من القول، تبعا للأغراض والمقاصد التي تتنوع بحسب المعارف والاعتقادات من جهة ، وبحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى، فهذه المعرفة هي التي تمكن من التأويل الصحيح للعبارات اللغوية وبالتالي الكشف عن الوظيفة الإنجازية للغة.

[1] – ينظر: منارس كاظم وعايد جدوع حنون: «الفعل الإجمالي (النص) المفهوم والتأصيل في الموروث العربي»، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2018، العدد الثالث، المجلد الحادي عشر، ص 08.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- **مفهوم الفعل الكلامي:**

إن ما اتفقنا عليه آنفا أن الفكرة الأساسية للتداولية هي الطبيعة "الحدثية" أو "الفعلية" أو "الإنجازية" للإنتاج اللغوي وعليه يمكننا القول بأن فالفعل الكلامي: «هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا ماديا، نحويا يتوصل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخلص ردود أفعال المتلقي كالرفض والقبول ومن ثم فهو فعل تأثيري»[1] أي يهدف إلى التأثير في المتلقي، وذلك من خلال تصحيح فكرة لديه أو توجيه سلوكه، فهو إذن ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما، فهذه النظرية ترتكز أساسا على فكرة الإنجازية والتي مفادها ان بعض الملفوظات لا تضيف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا كأن نقول مثلا "أعدك بذلك" فيحكم عليها بمعيار الفشل أو النجاح في الإنجاز.

ومصطلح الأفعال الكلامية ترجمة للمقابل الإنجليزي Speech acts التي كثر استعمالها من قبل الباحثين العرب. وحين نتحدث عن الفعل نقصد به الحدوث والوقوع، ومن ثم إنجاز الأفعال بمعنى الإنشاء والابتكار، وعليه فالإنشاء، ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام وهذا المعنى للإنشاء هو الذي يقدمه "أوستين Austin" فنحن نجز الأشياء بالكلام، أي نخرجها من حيز العدم إلى الوجود.«ومن الضروري أن لا يغيب على البال أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي، والمنجز الكتابي»[2]. وعلى مستوى الدراسات النصية فإن الفعل اللغوي يمثل التأكيد على أشياء، أو إعطاء أوامر ، أو إثارة أسئلة، أو القيام بوعود أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تركز على تأويل النصوص باعتبارها أفعالا للغة كالوعود، والتهديدات، والاستفهام والطلبات، ومن ثم فتعبير المتكلم عن قصده هي إنجاز فعل، وترمي الأفعال إلى صناعة مواقف بالكلمات مع الميل إلى التأثير في المخاطب، بحمله على فعل، أو ترك، أو تقرير حكم، او إبرام عقد، أو إفصاح عن حالة نفسية.[3]

ويمكننا ملاحظة مما تقدم أن مفهوم الفعل الكلامي هو المعنى الاستعمالي نفسه الذي تقوم عليه التداولية في طرحها والذي يعتبر الدرجة الثالثة لها.

---

[1] – مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص 40.

[2] – النعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 193.

[3] – ينظر: محمد مدور: «نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية الجزائر، العدد 16، 2012، ص 50.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

نشأة الأفعال الكلامية وتطورها:

نشأت (أفعال الكلام) أو أفعال اللغة من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة وهو أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه. وذلك بعد ما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب ممن حصر العبارة اللغوية في منوال واحد، وهو العبارات الخبرية وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه لا يقبل إلا إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريب، ومن الذين تصدوا لهذه الفكرة "أوستين Austine" وتطور أفكاره بعد ذلك تلميذه "سيرل"[1]

ويطلق عليها نظرية الحدث الكلامي، وأيضا نظرية أفعال الكلام وهي ترجمة للعبارة الإنجليزية Speech act theoy او العبارة الفرنسية La theorie des actes de parole ولهذه النظرية ترجمات أخرى في اللغة العربية مثل نظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية ونظرية الفعل الكلامي وغيرها من الصيغ والعبارات[2] وقد مرت هذه النظرية بعدة مراحل:

أولا: الأفعال الكلامية في الفكر اللساني الغربي:

1- مرحلة التأسيس:

ويمثلها كما ذكرنا الفيلسوف اللغوي الإنجليزي أوستن الذي ألقى سلسلة من المحاضرات في جامعة أكسفورد ما بين عامي 1952 و 1954م، كما ألقى مجموعة أخرى من المحاضرات في جامعة هارفارد عام 1955م، وقد جمعت المحاضرات الأخيرة في كتاب طبع بعد وفاته عام 1962م، وعنوانه: "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" أو "كيف ننجز الأفعال بالكلمات" Hou to do things with words " ويتلخص فكر أوستن في نقطتين أساسيتين هما:

أ- رفض ثنائية الصدق والكذب:

ب- الإقرار بأن كل قول عبارة عن فعل أو عمل.[3]

---

[1] – خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 60.

[2] –العيد جلولي: «نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل»، مجلة الآثر، الجزائر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، ص 56.

[3] – ينظر الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد بحياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 22

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وقبل الخوض في هاتين المسألتين تجدر الإشارة أن أوستين متأثر في فكره بفيلسوف اللغة النمساوي لودفيغ فتجنشتاين (Wittgenstein) (1889-1951) وبفلسفته التحليلية وقد انضم فتجنشتاين إلى فلاسفة أكسفورد بقصد دراسة اللغة الطبيعية مؤسسا لاتجاه جديد أطلق عليه "فلسفة اللغة العادية" وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة، (Jeux du Langage) (Lanfueg games) وعموما فإن فكر " فتجنشتاين" قد مر بمرحلتين.

الأولى: مرحلة الرسالة المنطقية الفلسفية:

وفيها يرى أن كل قضية هي صورة للواقع، وبالتالي فإن دور اللغة هو تصوير الواقع أو وصف العالم، ودور الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار فالفلسفة فاعلية وليست نظرية، واللغة التي يقصدها هنا هي اللغة الاصطناعية والقضايا التي يعينها ذات طابع تركيبي دلالي.

و المرحلة الثانية: مرحلة الأبحاث الفلسفية:

والانتقال من نظرية الصورة إلى نظرية الألعاب اللغوية ومن اللغة الاصطناعية إلى اللغة العادية، ومن الجانب التركيبي الدلالي للقضايا إلى الوظائف الفعلية للغة وكيفية استعمالها، إن فهم لفظ معين هو فهم معنى استعمالاته الفعلية في سياقات مختلفة وبالتالي التأكيد على العلاقة الدلالية اللغوية والألعاب والممارسة اللغوية، وأهمية ذلك نابعة من أن هناك ألفاظ كثيرة كألفاظ الكلية لا يوجد مقابل لها في الوجود الخارجي وأرسى بذلك مبدأ مثيرا للجدل عند الفلسفة وهو "المعنى هو الاستعمال".[1]

واعتمادا على هذه الخلفية الفلسفية تصدى أوستين للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين كانوا يرون اللغة أداة رمزية لها مقابل في الوجود الخارجي ولا وظيفة لها إلا وصف هذا العالم بطريقة إخبارية ثم يكون الحكم بعد ذلك على العبارة المستعملة بالصدق أو الكذب حسب مطابقتها للواقع وقد أنكروا العبارات غير الإخبارية فهي عندهم لا معنى لها ومن ثم لا يعتد بها، في حين ينكر أوستن أن تكون وظيفة العبارة الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا وسمي ذلك "بالمغالطة الوصفية"، إذ توجد - حسب أوستن-عبارات تشبه في التركيب العبارات الوصفية ولكنها لا تصف شيئا في الوقع الخارجي ولا تحتمل الصدق أو الكذب كأن يقول رجل مسلم

[1] – ينظر: الزواري بغورة، الفلسفة واللغة، نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، نقلا عن: العيد جلولي،نظرية الحدث الكلامي من اوستين إلى سيرل، ص 57.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

لامرأته: أنت طالق، أو يقول: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان، أو يقول وقد بشر بغلام: سميته يحي، فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بالصدق أو الكذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولا بل تؤدي فعلا فهي أفعال الكلام، أو هي أفعال كلامية.[1]

وبمن هذه الأفكار تجلت النظرية وانبثقت أسسها بتجاوز الوصفية والانطلاق من قصدية المتكلم.

وانطلاقا من هذه الملاحظة توصل أوستن في مرحلته الأولى إلى تقسيم الأفعال إلى:

النوع الأول: أفعال إخبارية أو تقريرية: Constatif/Constative:

وهي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي وتحكم عليها بالصدق أو الكذب،[2] وقد سماها العرب بالأساليب الخبرية، بحيث يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، والمراد بالصادق ما طبقت نسبة الكلام فيه الواقع وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع.[3] ولا خلاف لحد الآن بين التوجهين العربي والغربي في ذلك.

النوع الثاني: أفعال أدائية أو إنشائية Performatif performative

وليس لهذه الأفعال خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب فهي تستخدم لإنجاز فعل فلا تصف ولا تخبر ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب إن ميزتها الأساسية تكمن في أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع مثل قولي: "أرجو منك المعذرة" فهذا القول يعبر في الوقت نفسه عن أن ثمة طلبا للمعذرة فضلا عن كوني أعرب عن رجاء فالعبارة بالتالي لا تخضع لمقياس الصدق والكذب وإنما يحكم عليها بالنجاح والتوفيق والسعادة طبعا إذا راعى فيها المتكلم شروط أدائها وكان أهلا لفعلها، أو العكس يحكم عليها بالإخفاق وعدم التوفيق والتعاسة إذا لم يراع فيها المتكلم شروط أدائها، ولم يكن أهلا لفعلها، وأطلق على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية اسم "شروط الملائمة" وحصرها في ثلاثة أنماط هي كالتالي:

1- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد، وينبغي أن يكون القائمين به مناسبين لهذا الإجراء المحدد وأن تكون الظروف مناسبة أيضا.

---

[1] – ينظر: محمود، أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث المعاصر، ص 41، 61، 62.

[2] – ينظر: المرجع نفسه،ص 64، 65.

[3] – عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 13.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

2- يجب أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء صحيحا وذلك بالبعد عن استعمال العبارات الغامضة أو المبهمة، ويجب ان يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء كاملا.

3- أن يشترك القائم بالإجراء والمشارك فيه في الأفكار والمشاعر نفسها، وعلى المشارك في الإجراء ان يوجه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر.

واعتبر أوستن أن الشرطين الأولين لازمان لأداء الفعل، فإذا اختل شرط منهما فإن الفعل لا يؤدي، وسمى الأفعال التي تخالف هذين الشرطين اسم "الإخفاقات"، في حين إذا اختل الشرط الأخير فإن الفعل يؤدي تأدية سيئة، سمى الأفعال التي تخالف الشرط الأخير اسم "الإساءات".[1] وبهذه الشروط التي وضعها أوستن اتضحت معالم نظريته هذه.

تقسيم أوستين للأقوال الإنشائية:

يميز أوستين بين نوعين من الأقوال الإنشائية:

أ- أقوال صريحة (مباشرة):

تكون فيها بنية القول اللغوية شاملة للعناصر الدالة على الإنشاء، وتسمى الأقوال الإنشائية الصريحة، وهي تتحقق بإسناد الفعل الدال على الزمن الحاضر إلى ضمير المتكلم المفرد.

مثال1: الفعل "اقرأ" الذي أمر به جبريل الرسول الكريم عليه السلام وهو في غار حراء، إذ يشكل هذا الفعل دعوة للمسلمين للقراءة بجميع معانيها والبحث والغوص في شتى أنواع العلوم والمعارف، وكان لهذا الفعل الكلامي الفضل في إخراج العرب من غياهب الجهل إلى أنوار العلم والمعرفة.

مثال2: بالعودة إلى الفقه الإسلامي في ركنه الخاص بالمعاملات هو صياغة للأفعال الكلامية من ذلك مثلا "البيع" الذي يشترك لتحققه وتمامه أفعالا كلامية مباشرة بين البائع والمشتري، كون قول البائع مثلا: (بعت) أو (أعطيت)

و(هو لك) كقول المشتري: (اشتريت) أو (أخذت) أو (رضيت).

ب- أقوال غير مباشرة:

فتعرف بكونها غير صريحة ولا مباشرة، وتحقيق هذه الأفعال يتوقف على عوامل معينة من السياق اللغوي والحال أو وضعية التبليغ يسميها "أوستن" الأفعال الإنشائية الأولية للفعل الإنشائي

[1] – ينظر: محمود أحمد نحله، المرجع السابق، ص 64، 65.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الصريح، إن الفعل الأولي لـ: آمرك بغلق الباب هو أغلق الباب، وأحذرك من مخاطر الطريق هو احذر مخاطر الطريق، والصيغة اللغوية الدالة على هذه الأفعال هي صيغة الأمر[1].

أو هي الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما يدل عليه ظاهرها.

مثال1: هو المثال المشهور (هل يمكنك أن تناولني الملح؟) التي ظاهرها استفهام، ولكن دلالتها لا تشير للاستفهام، إنما تشير إلى الطلب.

مثال2: يتجلى في ما يسمى (الاستفهام البلاغي)، إذ يكون الاستفهام غير حقيقي إذ لا يتوخى منه صاحبه معرفة من يجهله، وإنما هو استفهام مجازي يكون المقصود منه معنى من معاني عديدة منها:

1/ التحسر مثل : (ماذا قدمنا)

2/ التمني مثل: (كم فكر الواحد أن يكون مصيره الجنة)

3/ الرفض مثل : (لا اعتقد)

4/ النصح مثل : (ألا تظن).[2]

لقد ظن أوستن في البداية أن هذا التقسيم بسيط ولكنه اكتشف بعد ذلك أن بعض الجمل الإنشائية غير مستندة لضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن فعلا إنشائيا مثل: (رفعت الجلسة)، وقد قادته هذه الملاحظة إلى التمييز الجديد الذي لا يزال مقبولا إلى يومنا هذا، ففي مرحلة ثانية من تطور أفعال الكلام حاول أوستين مراجعة وتعديل هذه التقسيمات والشروط التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية (الإنجازية)، فرأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا، وتؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي ولا يمكن تجزئتها أو فصلها إلا من قبيل التيسير الإجرائي قصد الفهم والدراسة فقط وهي:

[1] – يسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري – جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، 2014، ص 109.

[2] – يسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين»، مرجع سابق،ص 109.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

1- فعل القول أو الفعل الصوتي أو اللفظي او الفعل اللغوي:
(Locutionary act/Lo cutionnaire)

ويتمثل في التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح ينتج عنه المعنى الأصلي، أو في إنتاج أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول.[1]

فقولنا مثلا: (إنها ستمطر) يمكن أن يفهم معنى الجملة ومع ذلك لا ندري أهي إخبار بأنها ستمطر، أم تحذير من عواقب الخروج في رحلة، أم هي أمر يحمل مظلة، وغير ذلك إلا بالرجوع إلى قراش السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.[2]

2- فعل متضمن في القول أو الفعل الغرضي أو الإنجازي
(acte illecutionnaire/illocutionary act)

ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي أو الصوتي من وظيفة في الاستعمال، فغاية المتكلم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر والاعتراض، والموافقة، والقبول، والنصح وغيرها، والفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل القيام بفعل هو قول شيء[3] وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما.[4]

3- الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول او الفعل التأثيري:
(acte perlocutionnaire/Perlocutionary act)

وهو ما يتركه الفعل لإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب سواء أكان التأثير تأثيرا جسديا أم فكريا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف، أو تغيير رأي، أو القيام بعمل ما مثل: " في هذا البيت عفاريت" تقال لشخص على حمله ترك استئجار البيت أو شرائه، والوظيفة التي تؤديها العبارة من وجهة المتكلم تكون معروفة له وتحت سيطرته وتعبر عن قصده، أما التأثير في المخاطب فمن غير

---

[1] – العيد جلولي، «نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل»، ص 59.

[2] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41، 42.

[3] – لعيد جلولي، «نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل»،مرجع سابق، الصفحة نفسها.

[4] – مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص 41، 42.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الممكن التنبؤ به ، وقد يكون عكس ما يتوقعه المتكلم، ولا يمكن معرفة مدى التأثير في السامع إلا بعد صدور ردة فعله.[1]

ويعد الفعل الإنجازي هو العمدة والركيزة في الكلام وأهمها فركز "اوستن" عنايته عليه حتى سميت نظرية أفعال الكلام بـ "النظرية الإنجازية" أو "نظرية الفعل الإنجازي" وهذا الفعل يرتبط بمقصد المتكلم وعلى السامع أن يبذل جهده في سبيل الوصول إليه، ولهذا يلعب مفهوم قصد المتكلم Intention (القصدية) دورا مركزيا في نظرية أفعال الكلام.

ويمكن أن نلخص الفعل الكلامي عند أوستين في الآتي:

الفعل الكلامي الكامل= فعل القول + الفعل المتضمن في القول + الفعل الناتج عن القول،

كما نلاحظ ثلاث خصائص للفعل الكلامي عنده هي:

1- إنه فعل دال.

2- إنه فعل إنجازي

3- إنه فعل تأثيري.

ثم قام "أوستين" بتجميع أو تصنيف جميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى فحملها فيما يلي:

أ- الأفعال الدالة على الحكم (Actes Verdictifs)

ب- الأفعال الدالة على الممارسة: (Actes Exercitifs)

ج- الأفعال الدالة على السيرة (Actes Conductifs)

هـ- الأفعال الدالة على العرض (Actes Expositis).[2]

أ- الحكمية (أفعال الاحكام) Verdictifs:

أو الإقرارية، وهي التي تعبر – كما يدل المصطلح – عن حكم يصدره محلف، أو محكم، ويختص هذا الصنف بكونه ناتجا عن إصدار حكم في المحكمة سواء كان ذلك الحكم في هيئة قضائية أم من محكم تختاره الأطراف وليس من الضروري أن تكون أحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقريرية أو ظنية، فهي تقوم على الإعلام عن حكم تأسس على البداهة مثل: إخلاء الذمة، وعد، وصف

[1] – ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24.

[2] – حميلة روقاب، «نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستين و سورل أنموذجا» ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب/ قسم الآداب والفلسفة، العدد 15- جانفي، 2016، ص 11.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

... إلخ. وقد تكون القرارات نهائية، ويكون الحكم مثلا تقريريا أو على صورة رأي أو تقييميا، وفي جميع الصور يتعلق الأمر بإصدار حكم حول شيء ما، واقعيا كان أم قيمة، ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير متأكدة تمام التأكيد.[1]

*-التمثيل للأفعال الدالة على الحكم من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

(راجيا منكم ...)، (أتشرف...)، (أعتذر عن ...)، (يشرفني...) فالمتكلم في هذه الأسئلة السابقة يأمر بأشياء لكن باحترام وتقدير للمتلقي.[2]

ونلاحظ أن الصيغ موجودة في لغتنا العربية ولكن تصنيفها عند أوستن كان مختلف الوجهة عما وصل إليه البلاغيون عندنا في علم المعاني.

ب- التمرسية (أفعال القرارات) Exirsitifs:

تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، قاد، ودافع عن وترجى وطلب وتأسف، ويتعلق هذا الصنف بممارسة السلطة، والقانون، والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب و الانتاجات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير.[3]

وتعرف عندنا بالأفعال الدالة على الحدث وتصنيفها منبثق عن دلالتها وتنحصر في الفعلين الماضي و المضارع، أما الأمر فهو إنشائي طلبي.

*-التمثيل لأفعال الممارسة من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

1- الإعلان: (وأعلنت) (بلاغ)(أعلنت مصادر) (أعلن رئيس النادي الإفريقي ...) (أفادت).

2- الإعلام: (تعلم مصادر).[4]

وهذه الأمثلة نجدها بكثرة في الهيئات و الإدارات والوثائق الواسطة بين المدنيين وهيئات الدولة ومؤسساتها.

---

[1] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، جامعة السانيا وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة وآدابها، 2012، ص 80.

[2] – يسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين»، ص 13.

[3] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، ص 80.

[4] – يسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين»، مرجع سابق، ص 111.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ج- التكليف، (أفعال التعهد) Connissives أو الوعدية:

وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء مثل : الوعد الضمان، التعاقد، القسم، وقد يندرج في هذا الباب التصريح وإعلام النية والقصد. ويدخل التصريح والقصد في الوعد، وهناك أمور أخرى تجتمع تحت خطبة الزواج أو القواعد به، والمناصرة لرأي ومن الواضح ان هناك علاقات بين القرارات التشريعية والممارسات التشريعية.[1]

ونلحظ شيئا من التداخل بين هذا القسم والأقسام التي قبله نلمسه في الصعوبة التي نجدها إذا ما أردنا تطبيقها واقعا.

3- العرضية: (أفعال الإيضاح) Expositives أو أفعال الإيضاح:

وتستخدم لإيضاح وجهة نظر أو بيان رأي، لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل الاعتراض والتشكيك وإنكار، والموافقة والتصويب، يقوم "أوستين Austin" إن هذا الصنف هو أصعب الأصناف الأخرى تعريفا، ولكنها تبين كيف أن العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ وبوجه عام، يصلح هذا الصنف لطريقة العرض، و أمثلة ذلك: أجيب، وأحج وأعارض، ولكن...، و أوضح، وأفترض، وأضع كمسلمة.[2]

*-التمثيل لأفعال العرض من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

1- الإثبات: وهو الأكثر ورودا في الخطاب الصحفي، ومن أمثلة ذلك: (توقع أن) (فعلا نحن (تتمثل في) (حرص على).

2- النهي: (لا تسعى).

3- النداء: (يا اخي)

4- التأكيد: (وقد رأينا) (أكد)

5- النفي: (نفى...) (لا نستغرب).[3]

[1] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 81.

[2] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيم، ص 81.

[3] – يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، ص 112.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

هـ- السلوكيات: (الأفعال السلوك) Behabitives

تكون رد فعل لحدث ما على نحو الاعتذار والشكر، والمواساة التهنئة، فهي تتعلق بردود فعل تجاه الآخرين، واتجاه الإحداث بهم وتختص بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، «لكنها كلها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية وأمثلتها الاعتذارات، والتهاني، والتعازي، والقسم، وأنواع السباب، والقذف، والتحدي ...»[1]

*- التمثيل لأفعال السلوك من خلال بعض البنى اللغوية الواردة في الصحف:

1- أفعال الوعد: (وعد...)، (سنكون بالمرصاد).ذ2- أفعال التعهد: (تتعهد...)، (أتعهد بشرفي...)، (يلتزم...)

أفعال القسم: (أقسم...)، (لعمري...).[2]

رغم محاولات "أوستن Austin " وسعيه لتحقيق نظرية متكاملة للأفعال الكلامية إلا أنه لم يستطع ذلك مما يؤخذ على أوستين ما يلي:

- لم يكن ما قدمه من تصور كافيا ولا قائم على أسس منهجية واضحة ومحددة فقد خلط بين مفهوم الفعل قسما من أقسام الكلام والفعل كحدث اتصالي.
- لم يقم تصنيفه للأفعال الكلامية على أساس معايير واضحة الأمر الذي أدى إلى وجود نوع من التداخل والخلط بين الفئات فيدخل في الفئة ما ليس منها.
- لم يصنف الأفعال الإنجازية وإنما قام بتصنيف أسماء هذه الأفعال.

إلا أنه على الرغم من ذلك كان أول من وضع المبادئ والمفاهيم المركزية في النظرية.[3]

وعليه، يمكننا القول أن هذه النتائج الأولية التي توصل إليها أوستن austin في الخمسينيات خضعت لدراسات نقدية مكثفة شار فيها فلاسفة اللغة، مثل "ستراوسن Strauson" و "كوهن Cohen" بالإضافة إلى "سيرل J.SEarl" الذي آخذت النظرية على يده شكلها القياسي النموذجي[4] وذلك بان وضع يده على الصعوبات الجمة التي اعترضت تصنيف أستاذة أوستن، فجعلها ستا" بهذا الترتيب التصاعدي لأهميتها:

---

[1] – باجي بن عودة، المرجع نفسه، ص نفسها.

[2] – يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مرجع سابق، ص 112.

[3] – محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71.

[4] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، ص 82.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- هناك ارتباك مستمر بين الأفعال (Verbes) والأفعال (ACTS)
- لست كل الأفعال (Verbes) أفعالا (Verbes) غرضية.
- يوجد تداخل كبير أكثر مما ينبغي بين فئة الأفعال.
- كثير من الأفعال المدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المعطى للفئة.
- لا يوجد مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف، إذ بين التسمية والتوظيف لا توجد الدقة.

وكانت هذه الأسباب دافعا (لـ سورل Searl) الذي اجتهد في وضع معايير أخرى لتصنيف أفعال الكلام لتفادي النقائص التي وقع فيها أستاذه أوستين (Austin)،وإن كنا لا نجحد هذا الفضل الكبير لهذا الأخير في وضعه الأساس الذي قامت عليه النظرية وانبنت عليه باقي التصحيحات و التعديلات والأفكار القادمة.

2- مرحلة النضج والضبط المنهجي:

يحتل "جول سيرل" Johan Searle موقع الصدارة بين اتباع أوستين، ذلك لأنه صاحب الفضل في إعادة بناء نظرية أوستين وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضعات، فقد وضع أسس منهجية جديدة، أعاد بها النظر في تصنيف أوستين، فارتكزت إعادته للتصانيف على عدد من المعايير

أولها: أن الفعل الإنجازي هو أصغر وحدة في الاتصال اللغوي وأن القوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية.

- ميز بين الفعل الإنجازي المباشر، حيث بين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة، النبر، التنغيم، وعلامات الترقيم.
- كما أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي.[1]

بمعنى أن الغرض الأساسي للتواصل عنده هو الفعل الإنجازي وأثناء نطقنا بجملة ما فإننا ننجز فعلا في الوقت ذاته، وهذا الفعل إما أن يكون طلب

أو دعاءا، أو أمرا، مما يعني أن الفعل الإنجازي له الفضل في تحديد نوع الفعل الذي نؤديه.

[1] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في حطب الشيخ البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص نفسها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

كما ألح على ضرورة انقسام فعل الكلام إلى فعل مباشر وآخر غير مباشر.[1] ولاحظ أن أهم البواعث إلى استخدام الأفعال الغير مباشرة هو التأدب في الحديث، ثم اختار التوجيهات المباشرة نموذجا، فقسمها إلى مجموعات بحسب قدرة السامع على أداء الفعل ورغبته فيهن والبواعث إليهن ورغبة المتكلم أن يؤدي السامع فعلا ما واستجابة السامع له، فالكلام من وجهة نظر سيرل محكوم بقواعد مقصدية.

ومما قدمه "سيرل" هو تعديل التقسيم الذي وضعه "أوستن" للفعل الكلامي على أساس التمييز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه وهي أفعال كلام مباشر.[2]

- فعل القول Acte d'énonciation
- فعل الإسناد Acte propositionnel
- فعل الإنشاء Acte performatif
- وفعل التأثير Acte perlocutif.[3]

***فعل القول أو التلفظ (الصوتي والتركيبي):** هو المتألف من أصوات لغوية ضمن تركيب نحوي صحيح ينتج عنه المعنى الأصلي.

***فعل الإسناد (القضوي):** وهو الذي يقوم بربط الصلة بين المتكلم والمكلم أي بين المرسل والمرسل إليه.

***فعل الإنشاء:** هو القصد المعبر عنه في القول، وقد يكون هذا القول نصيحة أو إشعار أو تحذير أو تهديد أو وعد أو أمر.

***فعل التأثير:** يكمن في محاولة المتكلم التأثير على السامع ولكن دون إغفال دور المستمع الذي يريد الوصول إلى مقاصد المتكلم باعتماده على جميع العناصر المفضية للتواصل.[4]

ونلحظ من خلال هذه التقسيمات أن سورل أضاف فعلا رابعا هو فعل الإسناد وهذا ما لم نجده عند أوستن قبله.

---

[1] – سناء صحراوي، أفعال الكلام في رواية الأسود يليق بك، ص 33.

[2] – جميلة روقاب، «نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستين و سورل أنموذجا »، ص 12.

[3] – جميلة روقاب: «نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستين و سورل أنموذجا»، مرجع سابق، ص نفسها.

[4] – سناء صحراوي، أفعال الكلام في رواية الأسود يليق بك، مرجع سابق، ص 34.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وقد عزم سورل على ربط الفعل الكلامي بالأعراف الاجتماعية واللغوية في ذات الوقت ولا يتم حصره فقط في مقاصد المتكلم، ومثالا على ذلك قول العربي: "أثلجت صدري" وهذا تعبيرا عن فرحه، وأما الأجنبي إذا عبر عن فرحه فيقول "Réchauffé mon coeur" وبطبيعة الحال فالعربي يعيش في بيئة حارة، والأجنبي في بيئة باردة، مما يعني أن البيئة تساهم في تغير المعنى.[1] فقد قام سورل بتوسيع السياق والخروج إلى المؤسسة الاجتماعية فلا تكفي قصدية المتكلم لتحقيق فهم المخاطب و التأثير فيه.

وطور شروط الملائمة التي تحدث عنها "أوستن" وجعلها أربعة شروط وطبقها على الفعل الإنجازي تطبيقا محكما وهذه الشروط هي:

1- شروط المحتوى القضوي:

ويتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي و القضوي نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع ومتحدث به أو خبر، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، ويتحقق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلا إذا كان دالا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه، فهو فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب.[2]

2- الشرط التمهيدي:

ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

3- شرط الإخلاص:

ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.

4- الشرط الأساسي:

ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.[3] فوحدها الشروط من يحقق للرؤية وجودها ويصنع قالبها.

ولم يقف سورل عند هذه الشروط فقط، بل قام بإضافة مجموعة من المعايير، بلغت إثنتا عشر معيارا يختلف فيها كل فعل إنجازي عن الآخر، وهي:

---

[1] – حدادي صباح وبوعنداس سوسن، أفعال الكلام في سورة مريم، ص 42.

[2] – العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، ص 61.

[3] – العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل ،مرجع سابق، ص 61.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

*- الاختلافات في الهدف من الفعل الكلامي، فيحدد الهدف من الأمر على أنه محاولة جعل المرسل إليه يفعل شيئا، والهدف من الوصف هو تمثيل الشيء (سواء كان صادقا أم كاذبا، دقيقا أم غير دقيق)، و الهدف من الوعد هو تعهد المرسل بإلزام نفسه أن يفعل شيئا، ونعني بالهدف الإنجازي وهو جزء من القوة الإنجازية، ولكنه ليس مطابقا لها فالقوة الإنجازية هي نتيجة لعدد من العناصر، في حين يكون الهدف الإنجازي واحد فقط، ولذلك فإنني أعتقد أنه الأكثر أهمية. [1] فالهدف الغرضي للاستفهام في هذه الجملة" هل تساعدني على تحضير حفلة عيد ميلاد أمي" هو طلب المساعدة.

*- الاختلاف في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، إنه يتعلق بالهدف الإنجازي لبعض الإنجازيات بإرجاع الكلمات (أكثر دقة محتواها القضوي) متلائم مع العالم بينما الآخرون لهم هدف إنجازي بإرجاع العالم متلائم مع الكلمات[2] فقولنا: المطر ينزل يجب أن يكون مماثلا للعالم الخارجي.

*- الاختلاف في الحالة النفسية المعبر عنها وبها يشرح أو يخبر أو يثبت أو يطالب Pretend, Affirme, Assert , Explique .

*- الاختلاف في القوة أو النبر أو التنغيم في تقديم الهدف الإنجازي وقد تختلف من شدة إلى شدة وكلما احترم النبر والتنغيم ازداد الفعل الإنجازي قوة.

*- الاختلاف في وضع أو شرط المتكلم والمستمع عندما يحددان القوة الإنجازية للتلفظ، مثل اقترح تغيير وقت الامتحان وأصرح على تغيير وقت الامتحان.

*- الاختلاف في الطريقة التي ترتبط فيها الملفوظية بالمصالح الخاصة للمتكلم والمستمع.

*- الاختلاف المأخوذ إلى ما تبقى من الخطاب حيث تسعى بعض العبارات الأدائية إلى وضع الملفوظية بارتباط مع الباقي من الخطاب "و أيضا مع السياق المجاور".

*- اختلاف المحتوى القضوي المحدد بمؤشر القوة الإنجازية.

*- الاختلاف فيما بين الأفعال يجب أن تكون أفعال كلامية وأفعال يمكنها أن تكون منجزة كالأفعال الكلامية، لكنها ليست بالضرورة كذلك.

*- الاختلافات بين الأفعال عندما يتطلب انتماؤها مؤسسة فوق لغوية وتلك التي لا يتطلب إتمامها ذلك.

[1] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، ص 86.

[2] – باجي بن عودة، المرجع السابق، ص نفسها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

*- الاختلاف فيما بين الأفعال التي فعلها القواعدي الإنجازي Verbe Illocutoire المتوافق مع الاستعمال الأدائي والأفعال التي فعلها القواعدي الإنجازي Verbe Illocutoire ليس لها استعمال أدائي اختلاف الأسلوب في إتمام الفعل الإنجازي.[1] وبذلك يمكننا القول أن سورل J.Searle قد قدم تصنيفا بديلا عن تصنيف أوستن Austin.

كما فرق سورل Searle بين " الأفعال الكلامية المباشرة" و "الأفعال الكلامية غير المباشرة"، وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:

1- التأكيدات (التقريريات Assertifs):

هدفها « تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأن شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما»، وتهدف إلى جعل الكلمات تطابق العالم.

2- التوجيهات Directifs:

هدفها دفع المرسل إلى فعل شيء ما، ويحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح او النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء، وتسمى كذلك (الأوامر)، وهدفها جعل العالم بطابق الكلمات.

3- الالتزامات Commissifs:

هدفها التزام المرسل بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل (التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند " أوستين".[2]

4- التعبيريات Expressifs:

والهدف منها هو "التعبير عن حالة سيكولوجية محددة" وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النية والصدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم و "بأداء الفعل المعبر لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم يماثل الكلمات لتماثل العالم"، والملاحظ ان التعبيريات توافق إجمالا السلوكيات في تصنيف "أوستين Austin"

---

[1] – باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، 87.

[2] - خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 27.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

5- التصريحات Declaration:

وتسمى كذلك الإدلاءات هدفها جعل العالم بطابق الخطاب والخطاب بطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح...[1]

ويمكننا أن نلخص تصنيف "سيرل Searle" مما ذكرنا كما يلي: «لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياء، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد».[2] فإنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود ... أو غير ذلك.

الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:

قد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا لذلك ميز "سيرل Searle" بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها، غاية القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية... وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة لـ "غرايس Grice"، ثم يرى أن الأفعال المباشرة هي: «التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة عل قصده بنص الخطاب» [3]

فالفعل المباشر يكون إذا تطابق الفعل ونوع الجملة (حكمه) مع الإنشاء أو الإنجاز، أي عندما يصبح التطابق بين معنى الجملة ومعنى الفعل تاما، بيد أن سورل (Searle) يرى أنه بالإمكان أن ينجز المرسل الفعل اللغوي دون التصريح بإنجازه.[4] وبذلك يتفق مع أوستين (Austin) على أن هذه هي الطريقة الطبيعية، فالمرسل يستعمل الخطابات التي لا تتضمن الفعل الإنجازي نصا أكثر من الخطابات التي تتضمنه، وذلك عائد إلى تقارب طرفي الخطاب، والاكتفاء بتوظيف المعرفة المشتركة في كثير من السياق وحقائقها.

---

[1] – خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 28.

[2] – المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] – المرجع نفسه، ص 29.

[4] – جميلة روقاب، «نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستين و سورل أنموذجا»، ص 12.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

بعد الحديث عن الفعل المباشر هناك ما يسمى بالفعل غير المباشر، فما هي خصائصه، وفيم تتجلى؟

عندما يستخدم المتخاطبون فيما بينهم عبارات مجازية، فهي تتضمن أقوالا استعارية ،وذلك بدل استعمالهم معان حقيقية، يتمكن هؤلاء من التخاطب مع مستمعيهم بالاستعارات دون الافصاح عما يريدون، هذا ما يحتم على من يستمع لهذا الخطاب الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده ذلك المتكلم إلى كلامه، ففي عبارة : "هذه المرأة حرباء"، نجد معنيين مباشر وغير مباشر، لذا يؤول مستمع العبارة الفعل غير المباشر بوصفه مباشرا و العكس بالعكس، إذ القصد كفيل بإجراء هذا التحول الدلالي.[1]وبذلك يأخذ الفعل غير المباشر بعدا آخر مع سورل ويتقاطع مع الأدب في الخطاب التخييلي و انزياح اللغة عن الواقع.

وفي هذا المعنى نلفي تيون فان دايك (T.v.Diyk) يستشهد هو الآخر بجمل يميز من خلالها «بين الفعل المنجز ودائم الإنجاز، وفي مثل هذا النوع من التصنيف يكون دايك (Diyk) بصدد الحديث في العادة عن غرض الفعل، فإذا كانت العلاقة وثيقة بين القصد والغرض تصبح أفعالا إنجازية دائمة، أما إذا غاب معيار القصد والغرض، فتكون الأفعال إنجازية»، ومن أمثلة ذلك قولك: "ضع القلم" فصيغة الأمر تشير لدى المخاطب إن هو فهم قصد المتكلم رد فعل ، ومن ثم يقوم المخاطب بوضع قلمه.[2]

وعليه يمكن أن يكون ذلك الفعل إنجازيا، له تأثير كامل إذا وفقط إذا تطابق الأثر النهائي، أي النتيجة النهائية مع الغرض المنشود، ونعني به نيل الفعل المراد، لكن مفهوم التأثير الكامل ليس ضرورة حتمية لكل الأفعال الكلامية، فقد يكون المخاطب ناويا وضع القلم منجزا بعض الحركات، وذلك بدون الحصول على المراد ليصبح بهذا تصرفا لا فعلا منجزا، لأن التأثير يحقق أثرا واحدا حال إنجاز الفعل.

فالفعل المباشر عند دايك (T.V.Diyk) هو ما تطابق فيه معنى الفعل، والمعنى الذي يقصده المتكلم، وما يفهمه المخاطب مستمع الخطاب، أما الفعل غير المباشر فهو فعل إنجازي ثانوي

[1] – المرجع السابق، ص نفسها.

[2] – جميلة روقاب، «نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستين و سورل أنموذجا»، مرجع سابق، ص 12.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

على حد تعبيره.[1] ومن هنا يربط فان دايك التداولية بالأفعال الكلامية لأنها تمثل الجزء الناطق والحيوي من اللغة، وهذه الأفعال اللغوية تفتح بابا وسعا للتأويلات السيميائية.

وقد وضَّح سورل قضية التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة عن طريق المثال الآتي:

«إذا قال رجل لرفيق له على المائدة: [هل تناولني الملح]. فهذا فعل إنجازي غير مباشر إن قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بديل الاستفهام" هل" لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: [ناولني الملح]. ووفقا لوجهة النظر هذه فإن: [هل تناولني الملح؟] هي جملة استفهامية في معناها الدلالي، ولكنها توجيهية في قوتها»[2] فإن كان أوستن قد ربط أفعاله الكلامية بالدلالة في تقسيمه لها فإن سورل قد تجاوزها إلى القوة الإنجازية للأفعال في التصنيف.

وخلاصة القول أن نظرية الأفعال الكلامية التي تعد أهم ما في الدرس التداولي- لم تعرف كنظرية لها أسسها الفلسفية وضوابطها المنهجية إلا على يد أوستين وتلميذه سورل فهما اللذان أعطيا هذه النظرية بعدها الفلسفي والعلمي حين درسا فلسفة اللغة العادية أو اللغة المستعملة محللين الظواهر اللغوية والصيغ الكلامية التي ينشأ عنها الحدث الكلامي أو الفعل الكلامي.

3- الفعل الكلامي من الجملة إلى النص:

وتداولية أفعال الكلام دورها مهم في التوجيه للدلالة على النصوص والكشف عن مقاصدها وتأويلها، ولا ينصب الاهتمام في هذا الإطار فقط على الأفعال الكلامية الجزئية، بل كذلك مع ألفاظ كلامية مركبة ومقاطع كبرى، «فالاهتمام لا ينصب فقط على الملفوظات المنعزلة، ولا يمكن أن نقتصر على الاشتغال بواسطة الأفعال اللغوية الأولية... وإنما تتعامل التداولية النصية مع مقاطع طويلة... والتي تمكن من أحداث قيمة تلفظية شاملة في مستوى عال، وهي الأفعال اللغوية الكبرى...، والتي تسهم في بناء مقاصد النص من خلال فعل القراءة.»[3] وبهذا يكون "فان دايك Van diyk" قد توسع في نظرية الأفعال الكلامية، وتجلى عمله كما أسلفنا الكلام في استثمار

---

[1] – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] – نعيمة طهراوي: «تداولية أفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف»، الصوتيات، دولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2- لونيسي علي- الجزائر، العدد الثامن عشر، ص 122.

[3] – ليندة حمودي وذهبية حمو الحاج، «الحدث الكلامي والاتجاه النصي التداولي»، ص 137.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

مقولات "الفعل الكلامي" في تحليل النص ضمن ما سماه بالنص كفعل كلامي، لذلك حاول أن يجذب الانتباه إلى السمات التداولية الخاصة بالنصوص، وليس بالجمل فحسب، فأثمرت تلك الدراسات عن تدقيق في المفاهيم الأساسية المتصلة بالحدث اللغوي« وإنَّ النصوص هي الأدوات التي تحدد التصرف التواصلي، وإنها نعاقب من الأحداث اللغوية الجزئية متصلة بعضها ببعض».[1]

ويرتبط الحدث اللغوي بدوره «بالتفاعل بين الأطراف المتخاطبة، والذي يفضي إلى الكشف عن الأفعال الأخرى في إنشائه» ولا شك في أن السلسلة التتابعية من الأفعال تحتاج إلى تماسك نسبي ما بين الجمل، ولما كان النص عبارة عن جمل متوالية تتواشج فيما بينها لتنجز فعلا معينا، كان ذلك الفعل هو الفعل المستخلص أو المقصود من النص، وهو ذلك الفعل الذي يعبر عن الهدف الجوهري الذي يعطي دور المقصود من السلسلة بأكملها، بينما تُنسب إلى بقية الأفعال وظيفة مساعدة، فهي تعمل على مساعدة الإنجاز المسيطر في النصوص.

ثم حاول أن يركز على مدى ملائمتها لغاية القيام بإنجاز متواليات قوى أفعال الكلام، منها.

- تقسيمه لأفعال الكلام إلى "أفعال مركبة"، أفعال كلام بسيطة"، ف "أفعال الكلام المركبة" ما تركبت وتوالت فيها مجموعة من الأفعال البسيطة، ذات القصد الواحد، والفعل الإنجازي البسيط هو ما أنتج وحقق أثرا واحد الحال إنجاز واحدة، ونتائج الأفعال البسيطة ههنا تدخل تحت مجال قصد كلي واحد مما يحققه حصول الفعل المركب في شموليته، فـ«بناء منزل ما هو فعل مركب، إذ يتكون من جملة أفعال كل واحد منها يمكن أن ينجز بنجاح ، أو قد يفشل، إلا أنها أفعال مقصود بها كل جزء من أجزاء تحقق الخطة أو التصميم، فالفعل المركب يكون ناجحا إذا تحقق تصميمه».[2] معنى هذا أن بناء الفعل المركب مرهون بالتخطيط العام الذي ينبني عليهن مما يستدعي تصميما ما وفق علاقات مضبوطة، يضمن إنجازيته المقصودة.

- تقديمه لمصطلح "الأفعال الإضافية المساعدة"، الفعل المساعد هو فعل تقصد نتيجته كشرط كاف لنجاح فعل رئيسي (أصلي)، وكل فعل مركب مما تكون بعض أجزائه أفعالا مساعدة يسمى بالفعل المعقد، وأجزاء الأفعال المتعلقة بالأفعال المركبة يجوز أيضا أن تكون شروطا لما يعقب من أفعال، ليطرح أيضا تمييزا أخر بين "الفعل الجزئي الرئيسي" و"الفعل المساعد"، باعتبار أن هذا الأخير

[1] – منارس طالب كاظم وعايد جدوع حنون، «الفعل الإجمالي (النصي) المفهوم والتأجيل في الموروث العربي»، ص 08.

[2] – ينظر: منارس طالب كاظم وعايد جدوع حنون، «الفعل الإجمالي (النصي) المفهوم والتأجيل في الموروث العربي»، مرجع سابق، ص 130.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

هو ما يجعل جزء الفعل وحده ناجحا وضروريا، بينما "الفعل المساعد" يأتي ليسهم في إنجاح الفعل الرئيسي، ولذا قد يؤدي بواسطة شخص آخر (المساعد) غير الشخص الأصلي، ومثال ذلك، بناء الجدار في المنزل الذي يعد فعلا جزئيا بسيطا، ولكن خليط الاسمنت فعل مساعد باعتبار أنه يجوز استعمال الحجارة كأسس، أو أن تكون الجدران خشبية، ويعني هذا أن بناء الجدار جزء رئيسي من الفعل المركب (المنزل)، ويجب أن يظهر كل ذلك في التصميم.[1] وهي ما أسماه فيما بعد بالبنى التداولية الصغرى.

- تأكيد "فان دايك Van diyk" أن تحقيق النجاح في الأفعال الكلامية مرهون بشروط معينة ترتبط بخصائص العالم التي يتحرك فيها الفاعل، وتتيح "المعرفة والاعتقادات" المعطيات الأساسية التي تبين للفاعل كيفيات التعامل مع العالم ، أي كما ينبغي أن يكون عليه ا وان يصير إليهن وقد شرح هنا العلاقة بين الفعل كمعتقد والفعل كحدث واقعي، أي الرغبات، والإرادات.

- شرحه لمنطق إنجاز الفعل والقائم في جوهره على تكييف الفعل الكلامي، وبمثل هذا التكييف يمكن أن تحدد مسلمات منطق إنجاز الفعل وقواعد اشتقاقه حتى تتمكن من الاستدلال على مبرهنات تتعلق ببنية إنجاز الفعل ومتواليته.[2]وبذلك يربط الفعل بالمتكلم وقصديته.

- السياق التداولي عنده هو الدينامية المحركة لمتوالية الأفعال الكلامية باعتبار أن كل متوالية من أفعال الكلام إنما تتأسس على حالة ابتدائية، ثم أحوالا متنامية وحالة نهائية، ويجب أن نضيف هنا حال التكلم، وحال المخاطب في هذه الدينامية. وهو إذن كما أسلفنا مفهوم فاعل فهو لا يضم كل عناصر الموقف الاتصالي بل تلك فقط التي يكون لها تأثير في النص بوجه من الوجوه.

- ليست مسألة توزيع المعلومات في الخطاب مسألة دلالية فقط، بل هي قضية تداولية أيضا تتوالى وتتنامى انطلاقا من عملية إنجاز الفعل المشترك للإيقاع التواصلي، وتتوقف هذه التراتبية على ما نعرفه وما نصدقه، وعلى اعتقاداتنا الخاصة، وبمعرفة شركائنا في التحاور.[3]وهذا ربط صريح للخطاب بالواقع الحقيقي.

---

[1] – ينظر: منارس طالب كاظم وعايد جدوع حنون، «الفعل الإجمالي (النصي) المفهوم والتأجيل في الموروث العربي»، مرجع سابق، ص 131.

[2] – ينظر: فان دايك، النص والسياق، ص 248.

[3] – ينظر: فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق، ص 276.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- لأدوات الربط المختلفة الدور الكبير في خلق العاقات التداولية بين متواليات الأفعال الكلامية كالروابط العلّية والاستنتاجية والوصلية من نحو "من أجل ذلك" و "لأن" و "بما أن" و "إذن" و "لغاية أن"، و "ألواو"، فالاستعمال الغالب لحرف الوصل يتوسط الجمل مما يجعله رابطا دلاليات عل وجه الحصر، وفي هذه الأحوال ينبغي أن يكون ترتيب القضية يوازي ضروب الترتيب الزمانية والعلية آو الشرطية للأحداث، وهذا ما نلاحظه مثلا في قولنا: «لا إني لا أحتاج إلى الكتاب الأكثر رواجا في هذا الشهر وأيضا أرجو ألا تكلمني في التلفون في الشهر القادم».[1]حيث استعملت "الواو" لوصل وربط أفعال الكلام المختلفة من القبول والرفض.

وفي كل ذلك إشارة إلى طبيعة الأفعال الكلامية وتراتبيتها، والتي تنظمها أدوات الربط في انطلاقا من إنجازيتها المخصوصة وفق الشروط الدلالية والشروط التداولية باعتبار أن فعل كلامي في الخطاب اللغوي المضبوط يهي وجود شرط الفعل الكلامي التالي له انطلاقا من الحال الذي تعبر عنه من جهة، ومن الغرض الكلي لها من جهة اخرى.

أما التفريق بين الاستعمال الدلالي للروابط والاستعمال التداولي، فالأول يشير إلى العلاقات بين الوقائع، والثاني إلى العلاقات بين الأفعال الكلامية، ويميز الروابط التداولية أنها بالنسبة للسياق الاتصالي تستخدم بشكل نمطي عندما يكون للفعل الكلامي أهمية خاصة بالنسبة للموقف الفعلي.[2] بالإضافة إلى علماء آخرين كان لهم الدور الكبير في تطوير هذه النظرية من مثل أعمال "ريكاناتي F.Récanati" في كتابه "الملفوظات الإنشائية (1981)" فـ: "انطلاقا من اكتشاف "أوستين" للقوة اللاقولية الماثلة في كل ملفوظ يميز "ريكاناتي" الملفوظات ذات القوة اللاقولية الصريحة (مثل "أخرج") الذي يمكن أن يكون في حد ذاته أمرا أو نصيحة أو التماسا) عن الملفوظات ذات القوة اللاقولية الصريحة مثل (آمرك بالخروج" ... هذا الصنف الثاني من الملفوظات حيث يصرح الفعل بالقوة اللاقولية هو من صنف الملفوظات التي يسميها "ريكاناتي "إنشائية"، أما سائر الملفوظات غير المحتوية على فعل نحو الشتائم في العادة ("أخرق!") فليست إنشائية لان قوتها اللاقولية تظل ضمنية". وكل ذلك فتح الآفاق أكثر من أجل ضبط طبيعة القوة الإنجازية التي قد تبسط في الفعل الكلامي في السياق المعين.[3]

---

[1] – سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص 131، 132.

[2] – المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] – المرجع السابق، ص 132.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ونخلص من هذا أن رؤية "فان ديك" الشاملة لنظرية الأفعال الكلامية كانت مكملة لما أبداه أوستين وسورل، فقد عمل على نقل تحليل الأفعال الكلامية من حدود الجملة المفردة إلى حدود الجمل المتعددة داخل فيما بينها، لتنجز فعلا كلاميا- سواء كان ضمنيا أو مصرح به ويكون نجاح هذا الإنجاز الكلي مرتبطا بالدور الذي تؤديه الأفعال الأخرى الموجودة في النص.

وعطفا على ما سبق، فقد كان للأفعال الكلامية حضور قوي في تراثنا اللغوي القديم وإن اختلفت عند البلاغيين عن مثيلتها عند النحاة،و قد كان لكثير من النحاة العرب اهتمام بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصلية، فجعلوها أساسا معرفيا لتحليلهم النحوي، وتعود الإرهاصات الأولى لملاحظة هذا المنحى التداولي إلى زمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه، ولكن المتأخرين كانوا أكثر اهتماما بذلك نحو: الجرجاني والرضي الاستراباذي هذا في تراثنا العربي. فالنحاة ينطلقون من الأشكال للوصول إلى الدلالات المتضمنة فيها، أما البلاغيون فيدرسون دلالات تلك الأشكال باعتبارها أفعال كلام مستقلة عن الأشكال التي تردفها[1].

- ماهية الفعل الكلامي وطبيعة:

قبل الحديث عن ماهية (الفعل الكلامي النصي) نشير إلى أن مصطلح (الفعل الكلامي) يرتبط بـ (أوستن)، وقد حدد بتعريفات مختلفة ويعود السر في ذلك إلى المرجعيات المتنوعة التي انطلق منها ، الدارسون فقد عرفه (أوستينAustin) «بأنه الفعل المؤسس من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة »[2] فالفعل الكلامي هو الملفوظ المتحقق من قبل متكلم محدد ،' وفي سياق محدد ، والذي لا تكون اللغة معه مجرد أداة تواصلية، بل فعلا اجتماعيا أو سلوكا فرديا أو مؤسساتيا.

وقد دقق أكثر أوستين Austin في مصطلح "الفعل Ade" الذي تقوم عليه هذه النظرية فقال:«ونحننتصور " الفعل " على أنه " حدث ما فيزيائي نقوم بإنجاز ، ونعتبره متمايزا عن ضروب التواضع والتواطؤ في كيفية الوقوع

ومتمايزا أيضا عن أثاره ونتائجه».[3]فجوهر الفعل الكلامي " هو الانجاز" الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ، ومنه نلاحظ الطبيعة العملية الإنجازية التي تطبع الفعل الكلامي ، والتي تجعله يتجاوز حدود البنية اللغوية التي توقفت عندها النظرية اللسانية النبوية.

---

[1] - ينظر: بابا جيدة سمية، وباقومة كلثوم، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، ص24.

[2] - مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي،ص83.

3 - سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص137.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وعرفه "مانغونو-DMainguemeu" بقوله: «والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر ،طلب ، تصريح، وعد) غايته تغيير حال المخاطبين إن المتلفظ المشارك" Co énonciateur" لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ»[1]

أما " فان دايكv dyk" فقد ربط حد " الفعل الكلامي " بـ " الحدث" الذي يعني في أساسه " التغيير". ولا تكمن طبيعته الفعلية أو" الحديثة" هذه في كونه إنجازا أو ممارسة فيزيولوجية فقط ، بل لأنه فضلا عن ذلك سلوك لغوي ، أو ممارسة يستطيع المتكلم تجسيدها عبر العملية التواصلية، فلا تختلف الفعل اللغوي عن باقي الأفعال غير اللغوية يقول "فان دايكv dyke " :« وما نعنيه بقولنا إننا نفعل أشياء مامتى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي : كأن نعد وعدا ما ، ونطلب وننصح ، وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه "أفعال" الكلام" ، ويطلق عليه على نحو أخص " قوة فعل الكلام" ومن الواضح علاوة على ذلك أنه يوجد بون شاسع بين حال إصدار بعض الأصوات من ناحية أولى ، وبين القيام بإنجاز فعل مجتمعي معقد من ناحية ثانية».[2]ومنه نرى أن "الفعل الكلامي" لا يقف عند حدود النطق الكلامي؛ بل يتعداه إلى النمط الإنجازي الذي يبتغيه المتكلم من المتلقي.

وقد أبرز أكثر هذا المفهوم فقال : «غالبا مايؤخذ مفهوم الفعل الإنجازي في علاقته الوثيقة مع مفهوم " الحدث". وقد يكشف تعريف موجز بديهي للفظ هذه العلاقة : فالفعل هو كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني ... ومقتضى المفهوم الأساسي في تعريف معنى الحدث هو التغير، ويجوز أن ينظر إلى هذا التغيير كعلاقة بين ، أو عملية جارية حول العوامل الممكنة؛ أي في حالة أوشأن من الشؤون وبوجه خاص فإن كل تغيير يستلزم اختلافا بين العوالم/الأحوال أو بين المواقف».[3]وبذلك يصبح الفعل الكلامي مرتبطا بالمتكلم عن قصدية تغيير مخاطبه.

ويجب أن نبرز هنا هذه الطبيعة "الحدثية" التي يقوم عليها مفهوم " الفعل الكلامي " حيث يقوم مفهوم " السياق التداولي" من استعارة الوجهة الزمنية ليدقق ذلك، نوضح هذا الأمر أكثر من فان دايك أيضا حينما يذكر أن مصطلح "حادثة" ينسحب على "التغيير" ، أي التغيير من "حال" إلى أخرى، ويطلق عليهما "حال المدخل" و "حال المخرج"، و«من البديهي أن التغير للحال هو وظيفة

1 - عبد الحليم بن عيسى ، الفعل الكلامي النصي ، ص 319.

2 - ينظر: فان دايك ، النص والسياق ، ص 263.

3 - فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق ،ص 228.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

خاصة بالزمن، فالحال المخرج لحدث ماتقع أبعد من حال المدخل. ويمكن أن تتم تغيرات "الحال" على مراحل متتالية مختلفة ، أي عبر عدد من الأحوال الوسطى التي تستمر فترة زمنية محددة.وأما إذا ما أريد أن يشار إلى تلك السلسلة المتصلة من تغيرات "الحال" بوجه خاص دون أن يراعى المدخل أو حال المخرج المعنية فإنه يتحدث عن عمليات.ولذا"فإن تمطر" نمط محدد عملية بينما "شرعت في أن تمطر" أو "توقفت عن أن تمطر"حدث»[1].

"فحدثية" الفعل الكلامي مرهونة هذه التراتبية والانتقال من حال المدخل إلى حال المخرج، انطلاقا من مقصد و عمل معينين وتعد فكرة " الحدثية" الأساس الذي قام عليه مفهوم " الإنشاء" في البلاغة العربية، لأن الصيغة لا يقصد بها حكاية شيء؛ بل المقصود بها إحداث مدلولاتها وهو طلب الضرب في "اضربوا"وايجاده بذلك اللفظ بحيث لا يحصل ذلك المعنى بدون اللفظ .

ومن الضروري أن نشير إلى البنية الإنجازية العميقة للفعل الكلامي ، فنحن بتحقيقه ننصح بالإحالة إلى حدث ما ، (أمر، وعد ، اعتذار...) يتم ذلك بالتعبير بالجملة عن سلسلة فونيتيكية، صرفية ونحوية ودلالية ، لتحقق بعد ذلك " إنجازية" الفعل الكلامي لربط العبارة اللغوية بحدث ذي غاية معينة. وفي هذا الإطار يتخذ الكلام - كما يرى " أوستينAustin و" سيرلSearle"- مجرى آخر ينقله من الظواهر الصوتية التي لا أثر لها في العالم الخارجي، إلى الظواهر الفاعلة والمؤثرة في الواقع ، وبهذا يبرز الوجه الأخر للغة، وهو الوجه " الإنشائي performatif ، بعد أن كان الوجه الإخباري constatif مسيطرا على الدراسات الفلسفية واللسانية [1].

ومنه تتجلى النقلة النوعية في اللسانيات التداولية التي تجاوزت في دراسة الإنتاج اللغوي ، البنية الصوتية والنحوية والدلالية إلى البحث في الآثار الاجتماعية والإنجازية للغة ، والتي أصبحت في ظل هذا التحول فضاء الانجاز والممارسة الفعل، حيث الأمر والنهي والاستفهام والتهديد والوعد وغيرها مما يمثل إنجازيه لغوية، لذا فـ« نظرية أفعال اللغة تعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها ، ويتعلق الامر بمعرفة ما يقوم به مستعملو التأويل ، وأي فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات».[3]

[1] - سامية بن يامنة ، سياق الحال في الفعل الكلامي ، ص 138.

[1] – سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي ،مرجع سابق ، ص 139

[3] – المرجع نفسه، ص نفسها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أما (الفعل الكلامي النصي) فقد نؤصله انطلاقا من الدعوة الصريحة التي دعا خلالها (فان دايك) استثمار مقولات (الفعل الكلامي) في تحليل النص ضمن ماسماه (النص كفعل كلامي) لذلك حاول أن يلفت الانتباه إلى السمات التداولية الخاصة بالنصوص وليس الجمل نحسب ، ويرى في رحاب في هذا المسألة أنه لايمكن أن ندرس النص من جهة بنياتها فحسب أن نطرقها من جهة وظيفتها أيضا ، باعتبار اننا لا نسعى إلى معرفة (الإشكال والمحتويات) التي قد يختص (نص) ماحسب ، بل نروم أيضا معرفة الوظائف المحتملة التي يمكن أن ينجزها هذا النص بفضل الشكل والمحتوى الخاص اللذين يتمتع بهما.

عناصر السياق التداولي ومكونات :

تعد الأفعال اللغوية أفعال إرادية،إذ يقصد المرسل إنجازها، ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد.ويمكن أن يضاف الشرط التفاعلي،لتصبح أفعال الآخرين اللغوية التي يشاركون بها في السياق التواصلي. ويقتضي السياق«عناصر مختلفة أولا: عنصر ذاتي الذي يعبر من معتقدات المتكلم فكل متكلم له معتقدات وأيضا مقاصد المتكلم فهو حين يتكلم يقصد شيئا ، وكذلك اهتماماته ، فقد تكون له أهداف فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهر اللغوية ، ثم ينبغي أيضا أن نراعي في هذا العصر رغبات المتكلم ، فإذن هناك الاهتمامات والرغبات والمقاصد كلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق ثم العنصر الثاني واسمه عنصرا موضوعيا فهو الواقع الخارجية التي تم فيها القول يعني الظروف الزمانية والمكانية ، يعني أن هذه العوامل أيضا تدخل في تحديد ' ثم العنصر الذوات يعني مابين ذوات المتخاطبين وأقصده المعرفة المشتركة بين المتخاطبين (....) فهذه المعرفة المشتركة هي معرفة معقدة التركيب ».[1]

وانطلاق من هذا الطرح ويمكننا تمثل السياق في كل ما يحتضن إنتاج الخطاب، من ظروف وملابسات. وأهم عناصره العنصر الشخصي و المتمثل في طرفي الخطاب المرسل و المرسل إليه، وما بينهما من علاقة، نضيف إليهما مكان التلفظ وزمانه،وما فيه من شخوص و أشياء، وما يحيط بهما من عوامل حياتية: اجتماعية أو سياسية، أو ثقافية، وأثر التبادر الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى. ويمكن توضيح هذه العناصر كالآتي:

[1] - محمد سالم ولد الأمين:«مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة»، عالم الفكر، الكويت، المجلد 28،العدد3،يناير/مارس2000م، ص 53-97.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أ- المتكلم :

وهو العنصر الأساسي في الموقف الكلامي : كونه المفعلللسياق وأدواته وإجراءاته ، قد يتبدى ذلك انطلاق من شخصيته وثقافته وملامحه وصفاته وجنسه إن كان ذكرا أو أنثى ، ونبرة صوته باعتبار أن لكل متلفظ صوتيا خاصا يميزه عن غيره ومكانية الاجتماعية[1]،فاستعمالات اللغة تختلف باختلاف متحدثيها فقد تكون الكلمة دلالاتها الخاصة عند شخص معين ، ومختلفة في بعدها المقصدي عن غيره.

ويدعو " فوندرليشwumderlich" لأن تكون لدى كل متواصل قدرات من النوع التالي :

- يجب أن يكون لديه مفهوم عن "الواقع" وعن العوامل الممكنة التي يمكن استنباطها منه حتى يحصر مايريد أن يتواصل حوله.
- يجب أن ينشر اتصالا ، وأن يستطيع حصره
- يجب أن يستطيع الادراك وأن يمتلك ذاكرة وقدرة على التوقع أيضا بالنسبة لسياق الكلام وسياق الموقف المستمرين
- يجب أن يستطيع الخوض في أدوات اجتماعية اتجاه الآخرين
- يجب أن يستطيع إعادة إنشاء شروط اجتماعية
- يجب أن يستطيع أن يتواصل عبر التواصل المعين
- يجب أن ينطق أبنية صوتية مناسبة وأن يقول من ذلك صيف لغوية جيدة البناء، ويمكن التعبير عن مركب للفعل الكلامي، مكون من مضمون وقوة تواصلية.ولابد كذلك أن يدرك الأبنية الصوتية، وأن يستطيع فهمها باعتبارها تحقيقا لصيغ لغوية و تعبيرا عن مركب للفعل الكلامي. ويجب أن يستطيع استخدام الوسائل اللغوية المصاحبة ، والوسائل غير اللغوية استخداما مناسبا وفهما فهما ملائما.[2]

[1] - سامية بن يامنة ، سياق الحال في الفعل الكلامي ،مرجع سابق، ص 30.

[2] - المرجع السابق، ص 31.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وإنما سنت كل هده الشروط لتحقيق الخطاب فعاليته وأهدافه ومقاصده المنشودة.

ب- المتلقي :

وهو الطرف الثاني الذي يسهم مع المتكلم في تشكيل الفعل الاتصالي ، فهو الذي يتلقي الخطاب اللغوي ويؤثر له وكونه مخاطب لا يعني انه ليس له اثر او دور في بناء الكلام بل حضور وأخذه بعين الاعتبار لدى المخاطب يجعل هذا الأخير يعتبر بما بلائمه فيستجيب لتعبيره.[1]

وعلي هذا الأساس لابد للمتلقي أن يتفاعل مع بالإنتاج اللغوي، فيبذل جهده ليطلع على معناه ، ويقطن لمواضع الحسن فيه فتمام الكلام من تمام إصغائه وتأويله.

ج- ملابسات الكلام:

والمقصود بها مختلف المعطيات السياقية التي يقوم عليها الكلام الاجتماعية والثقافية النفسية وغيرها الملابسات التي تتحكم في صياغة القول وتأويله ، وقد تبلورت عند البلاغيين عندما صنفوا الكلام بحسب مقاماته وبين وأن أشكال القول تختلف بحسب المعطيات الخارجية طبيعة المتكلم ونوعية المتلقي وجنس الخطاب وغير ذلك من الملابسات التي تؤثر تداعياتها في إنتاج الكلام وتأويله وبالتالي نجاحه.[2]وقد أشرنا في سطورنا السابقة على أن السياق هو دليل المرسل في اختيار استراتيجية الخطاب، فقد يتوسع مرة ويضيق مرة أخرى.

د- الزمان والمكان :

قد يبقي مفهوم السياق غير محمد من غير تقيده بزمان ومكان معيين فقد توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع احدنا ان يكون له فيها أوضاع مخصوصة؛ أعني حالة سياق واقعي. ويتحدد السياق الواقعي بفترة من الزمان والمكان بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من المتكلم والمخاطب والتي تستوفي خواص " الآن" والـ " هنا" من الوجهة المنطقية والفيزيائية المعرفية ، والسياق قد يتغير من لحظة إلى أخرى ويجب أن يؤثر هذا المتغير أو أن يحدث أثره على الموضوعات في الأحوال المتعاقبة من السياق ، وأبرزها هو حال الحصول في الوجود.[3]إد عي السياق الدافع لإنتاج الخطاب اللاحق.

---

[1] - المرجع السابق ، ص 32

[2] - المرجع نفسه. ، ص 33

[3] - المرجع نفسه، ص 34

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

التداولية والخطاب الأدبي:

أصبح واضحا أن سمة الخطاب الأدبي تكمن في كونه خطابا منزاحا عن معناه الحرفي إلى مستوى آخر تتعد فيه الاحتمالات، وقد أكد سورل هذا المعنى في قوله: «نقول بصورة واضحة بان كل كلمة (حرفي) في تعبير المعنى الحرفي للجملة) يكون مجرد لغو، ذلك لأن الأنماط الأخرى للمعنى والتي تتجسد في المعنى الساخر والمعنى الاستعاري والأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزامات الحوارية، ليست على نحو متكافئ تابعة الجمل، ولكن هي تابعة لتلفظ الجمل من قبل المتكلم».[1]وعلى وفق ذلك يمكن أن يكون المتكلم هو الفاعل بتلفظه عددا كبيرا من الملفوظات في سياقات مختلفة.

ومن هنا شددت التداولية على سمة الآداب الاتصالية منطلقة من أن الاتصال لا يتحقق ما لم يدرس الآداب في السياق الذي أنتجه، فترتب على ذلك أن أصبح الاتصال وظيفة أخرى ينهض بها الأدب، ولهذا لم يعد الأدب من وجهة النظر التداولية نصا مغلقا أو بنية شكلية معزولة عن سياقها، وإنما هو نص يقوم على تقنيات (الإيحاء و الافتراض المسبق والإقناع)، وتسعى التداولية إلى ربط هذه التقنيات بالعالم الخارجي للكاتب والقارئ .[2]ومن ثم تمد التداولية الناقد التداولي الذي تعامل مع النص الأدبي بوصفه خطابا بأدوات إجرائية ومنهجية تُعينه على أن يسير أغوار النص فينفذ إلى أعماق البنية الإبداعية عند المبدع، ومتابعة الخطاب في أثناء أدائه الوظيفية التواصلية.

لقد تناول "سيرل" اللغة غير العادية في كتبه: الأفعال الكلامية، والتعبير والمعنى والقصدية، وميز في جميع أعماله بين اللغة العادية التي تحيل على الواقع، وأشكال الخطاب الأدبي كالرواية والمسرح فاللغة العادية/ المحادثة العادية « هي ما تحتوي على أفعال بالكلام خاضعة لقواعد معنوية وتداولية»، أم لغة الأدب فهي التي تخرق تلك القواعد، مسببة انزياحا تداوليا يضفي على النص صفته الأدبية، ومن هنا يصبح الأدب عند "سيرل" فعلا لغويا غير مباشر، تتجاوز دلالته الملفوظ ذاته و «ترتكز

[1] – ينظر: ريمة يحي، تداولية النص الشعري في ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل لعبد الله البردوني، دراسة تطبيقية، ص 02.

[2] – ريمة يحي، تداولية النص الشعري في ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل لعبد الله البردوني، دراسة تطبيقية،مرجع سابق، ص نفسها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

على مواضعات مضمرة خاصة، وعلى واقع بين الكاتب والقارئ، إنها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة».[1]

ويذكر جونثان كولر* أن التداولية، ساعدت على تمييز خصائص الخطاب الأدبي، وبين في حديثه عن مفهوم المنطوقاتالأدائية«وجوه الشبه بين الأدائية واللغة الأدبية، وكيف تكون اللغة الأدبية لغة أدائية، وكيف تساعدنا الأدائية على أن نفكر في الأدب بوصفه فعلا أو حدثا، [...] فالأدب ليس مقولات زائفة وتافهة، ولكنه يأخذ موقعه بين أفعال اللغة التي تحول العالم» .

وبهذه الرؤية أخذت تداولية أفعال الكلام موقعها في منجية التأويل وفلسفته العامة، في ما يسمى بـ(تداولية التأويل) حتى التقت جذور التداولية بنظرية الاستقبال الألمانية عند "ياوسوآيرز" تلك النظرية التي تعاملت مع موضوع التأويل الأدبي، وفهمت التأويل داخل نموذج اتصالي تداولي، ولمت بمرجعيات تشارلز موريس [...] وهو من جعل للتداولية معناها المعروف والتي سلمت بتحليلات جون أوستن.

وفي هذا السياق دعا فرناند هالين إلى تداولية أدبية تسعى لصياغة نظرية للأفعال الأدبية انطلاقا من تقسيم أوستن الثلاثي لأفعال الكلام، وتوسيع هذا التقسيم ليشمل الأدب، ومن ثم، القول بوجود أفعال أدبية مركزية مرتبطة بطبيعة النص الأدبي وهي[2]

1- فعل القول الأدبي:

تتدخل فيه قواعد إضافية كالوزن الشعري، أو الاختلافات اللغوية مقارنة بالاستعمال الدارج، وتكون أهميتها مضاعفة، فهي من جهة تسهم في توضيح أنموذج فعل القول خارج أية وظيفة، ومن جهة أخرى تسهم بعملية التشكيل الأدبي.[3]

---

*- جوناثان كولر: ناقد أدبي، هو أستاذ الأدب المقارن والأدب الإنجليزي في فئة 1916 في جامعة كورنيل، أعماله المنشودة هي في مجالات البنيوية والنظرية الادبية، والنقد.

1– ريمة يحي، تداولية النص الشعري في ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل لعبد الله البردوني، دراسة تطبيقية ،مرجع سابق، ص 02.

2- المرجع السابق ص 03.

3 – المرجع نفسه، ص 03.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

2- فعل الإنجاز الأدبي:

وهو ملفوظ متحرر من القيود الزمانية والمكانية تكمن قوته في إنتاج بنيات تقول هذه الصيغ الإنجازية (التوكيد، الوعد، الطلب، إلخ)، أو اقتراح نماذج لما يمكن أن يفعل (يحتفظ، يلمح، ينوي، ... إلخ) والتعدد المفتوح للسياقات التي ستنتج فيها، وفي طريقة تقديمه الخاصة.

3- فعل التأثير الأدبي:

وينفتح هذا الفعل على غايات تأثيرية متعددة، كالتظهير والتحفيز إلى أنواع مختلفة من الاستجابات.

ويرى فرناند هالين أن التداولية الأدبية تصب اهتمامها على فعلى الإنجاز الأدبي والتأثير الأدبي أما فعل القول الأدبي فقد انشغلت بصيغ بنائه مناهج وتقنيات عديدة كالبلاغة والأسلوبية والسيميائيات والسرديات.[1]

ولأفعال التشكيل الأدبي هذه عند فرناند هالين أهميته خاصة لكونها باعتقاده واحدة من خصائص العلامات الأيقونية التي تمتاز بها العلامة الأدبية [...] ينطلق في محاولته هذه من منظور التعامل مع الفعل الأدبي بوصفه موضوعا لذاته وليس غاية للاتصال فحسب، بمعنى أن أهمية الفعل الأدبي تكمن في ذاته، لكونه لا يستهدف«إحداث تغيير مباشر في العلاقات الاجتماعية بين المرسل والمتلقين»، وبذلك تصبح العلامة الأدبية بديلا عن موضوعها، فينتج عن ذلك – بحسب ما يرى جونثانكلر- عدم قدرة مقصد المؤلف على تقرير المعنى، أما إذا «وضعت العلامة في إطار الغاية التواصلية فإن وظيفة التشكيل الأدبي سمح النماذج التي تنتجها قيمة معيارية بوصفها مثالا تحتذى أو يجتنب على صعيد الفعل».[2]

السياق التداولي في الخطاب الشعري:

بقدر ما يهمنا في هذا الشق الإجرائي تطبيق آلياتها على الخطاب الشعري الذي وسمه "أوستين" " بكونه ملفوظا غير جاد، لهذا المعطى أقصى "أوستين " وتلميذه "سيرل" من مجال الأعمال المتضمنة في القول الجمل الواردة في خطاب غير نزيه الخطاب التخيلي إلي نعته "أوستن" بالعمل الطفيلي[3] والواقع أن "سيرل" يقدم الخطاب التخييلي بوصفه عملا لغويا غير مباشر، باعتبار

---

[1] – المرجع نفسه، ص 03، 04.

[2] – المرجع السابق، ص

[3] – آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أن الأعمال الأدبية: «ضرب من الاستعارة القصوى، فدلالته تتجاوز الملفوظ ذاته، وترتكز على مواضعات مضمرة خاصة، وعلى عقد واقع بين الكاتب والقارئ، إنها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة»[1] هذه العلامة، أي اللغة لا تكمن غايتها في إيصال المعلومات، بل تتعداها إلى تحديد العلاقات بين المخاطبين، وتعمل على تغيير معتقداتهم،[2]فاللغة لم تعد أقوالا فحسب، وإنما أصبحت أفعالا تؤثر في الأفراد، وتعمل على تغيير العالم، من خلال تحقق عنصر التفاعل بين المتكلم والسامع.

إذ تكاد نظرية الأفعال تغطي على المفاهيم التداولية الأخرى، وأخذ الدارسون يطبقونها على النصوص كافة، ومن تلك النصوص الشعر، وفي هذا الوقت أثيرت مسألة تطبيقها على الشعر العربي، واختلف الباحثون بين رافد ومؤيد، والذين رفضوا احتجوا بالمقارنة بين مفهوم اللغة ووظيفتها ومفهوم اللغة الشعرية ووظيفتها.

وقد عني "فان دايك" بالتفاعل بين النص والسياق، فرأى ضرورة دراسة متوالية أفعال الكلام والسياق وعلاقتها ببنية الخطاب- فاستثمرت التداولية هذه الرؤية النقدية لتحليل النصوص الأدبية، مع مراعاة أهمية ات تسعى لاكتشاف أربعة جوانب أساسية.

1- معرفة العالم الذي تؤول فيه العبارة.

2- معرفة المقامات المتنوعة للسياق.

3- معرفة قواعد اللغة في الاستعمالات الممكنة.

4- معرفة أنساق أخرى لضروب مواضعة الفعل المشترك الإنجازي.[3]

وقد تابع "ميشيل دوفورنيه" في هذا الاتجاه فان دايك، ودرس الإيقاع الشعري بواسطة التداولية، وقدم مقترحات تشير إلى اقتناعه «بان التداولية هي المؤهلة لدراسة الشعر بكيفية فعالة، لأنها تأخذ على عاتقها علاقات النص بالمقال (التلفظ) والتفاعل بين المتكلم والمخاطب، على أن فورنيه لا يفرق بين الخطاب الشعري وغيره بخصائص معينة».

---

[1] – فيلب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 194.

[2] – طارق خلايفية، تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي، في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني" مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الآداب واللغة، قسم الآداب واللغة العربية، 2015، ص 108.

[3] – ينظر: ريمة يحي ،التداولية النص الشعري في ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل لعبد الله البردوني- دراسة تطبيقية، ص 06.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وعلى الرغم من تباين الآراء في مقاربة النص الأدبي، ومنه الشعر حاول د. محمد مفتاح التوفيق بينها مستخلصا مبادئ أكثر تجريدا تنطبق على اللغة العادية واللغة الأدبية منها« أن اللغة العلمية مملوءة بالتعابير الذاتية، ومعنى هذا أن الشعر هو مستودع الذاتية كيفما كان نوعه، على أنها ليست مقتصرة على التعبير عن الذات في انغلاق على النفس، وإنما هي ذاتية معدية موجهة للتأثير في فرد أو جماعة».[1]

فالشعر - بحسب هذه الرؤية- تذوات تواصلي فعال وناجع والنص الشعري كأنه جملة واحدة آمره او ناهية أو متوجعة، وهذا يعني ان النص بمثابة أفعال كلامية، ووجود أشعار إخبارية لا يدحض هذه الفكرة، لأن تلك الأشعار الإخبارية تكون محكومة بذاتية مقدرة.[2]

وتأسيسا على ذلك بالغ الدكتور محمد مفتاح فوصف الشعر بأنه«أكثر تداولية من اللغة العادية، وله قوانين خاصة، إلى جانب القوانين العامة للغة الطبيعية لأنه لغة فرعية منها»، ومن ثم اختزل الأفعال الكلامية لدى سيرل إلى نوعين رئيسيين:

- أفعال كلامية ذاتية إنجازية صراحة أو تقديرا وتضم الإخباريات والتعبيريات والإلزاميات والتصريحات.

- أفعال كلامية أمرية صراحة ضمنها تحتوي على الأمر والنهي بأنواعها.

وعله وفق هذه النوعين من الأفعال الكلامية«إما أن يقصد الشاعر حث المتلقي على فعل شيء أو تركه، وإما أن يهدف إلى إظهار عواطفه له، ونواياه تجاهه والتزاماته نحوه».

وعلى هذا النحو، فإن جوهر الخطاب الشعري الذاتية والتفاعل: الذاتية بما يتعلق بذات الشاعر لأنها موجهة إليها كالتوجع والتأوه والصراخ، والتفاعل بما يتعلق بالآخر، إلا ان الآخر في الكلام العادي «يكون حاضرا مشاهدا مواجها لمخاطبه في غالب الأحيان، ولكنه في النص الشعري يكون حاضرا حينا وغائبا أحيانا أخرى».[3]وفي حضور الآخر المتلقي، قد تكون للشاعر عليه سلطة مادية او معنوية، وقد يكون الشاعر خاضعا له، ولهذا فإن كلام الشاعر بحسب السياق- يصبح إنجاز، أفعال كلامية في حالات كثيرة.

---

[1] – ريمة يحي ،التداولية النص الشعري في ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل لعبد الله البردوني- دراسة تطبيقية، مرجع سابق، ص 06

[2] – ينظر: ريمة يحي، المرجع السابق، ص 06.

[3] – ينظر: المرجع السابق، ص 06، 07.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وإذا كان الشعر بطبيعته ليس سرديا دائما، فهذا لا يعني أن الشعر التصويري يخلو من أفعال الكلام، فعلى الرغم من أن القصيدة التصويرية تبدو منغلقة على نفسها« فإنها تتضمن بداخلها مؤلفها وقارئا، ولا أحد يستطيع التظاهر بأنه فهم القصيدة ما لم يضع نفسه في داخل ذلك القارئ الضمني بطريقة ما»، إذ يفترض من وجود قارئ متعاون ونموذجي قادر على استكشاف ومحاصرة النصوص نسقا وسياقا، ومثل هذا الافتراض إجرائي تداولي، وذلك لأجل فهم الخطاب ووضعه في سياق معين من أجل أن يكون له معنى فعلى من يتصدى لتحليل الخطاب أن يأخذ بالحسبان «السياق الذي يرد فيه جزء من خطاب، إذ هناك بعض الحدود اللغوية تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل، ولأجل فهم دقيق لهذه العاصر التي ترد في الخطاب وتأويل ناجح لها لابد من معرفة من يتكلم ولمن يوجه الخطاب ومعرفة زمان إنتاج الخطاب ومكانه».[1]

خطوات تحليل الفعل الكلامي النصي في ظل السياق التداولي.

يشير "محمد العبد" إلى أنه قد أتاحت تداولية أفعال الكلام لتحليل الخطاب بهذا الطرح منهجية لسانية جديدة، من حيث أنها نظرت إلى الكلام الأدبي وغير الأدبي بوصفه (فعلا كلاميا) أكبر يدل عليه قصد المتكلم، ثم إنها برهنت على أن إدراك المعاني الحقيقية للمنطوقات اللغوية إنما يتحقق في سياقات الاتصال الفعلية،[2] وقد أدى هذا الطرح إلى فسح المجال واسعا للتعريف بتداولية أفعال الكلام وتكييف بعض مفاهيمها لأهداف التحليل النصي والتي رأتها ضرورية لاكتمال دائرة فهم المنطوقات والنصوص المرتبطة بوظائفها وسياقاتها الحقيقية.

وأكد (فان دايك) في رحاب هذا الطرح أنه من الممكن تحليل (النص) على انه متوالية من أفعال الكلام، مثلما تحلل على أنه (متوالية من الجمل)، وأنه يمكن إدخال (أبنية كبرى) تداولية لأفعال الكلام كما أدخلت أبنية كبرى لمضمون النص، بل يمكن النظر إلى النص عنده على أنه (فعل كلامي إجمالي) أو (فعل لغوي كبير) من أفعال الكلام.[3]

ولشرح هذا التصور أكثر فقد قدم مجموعة من الطروحات التي تبين طبيعة الفعل الكلامي النصي وتأويله وشروطه و إنجازيته وتنوعه وأصنافه وعلاقاته، نركز في هذه المناسبة على ما يلي:

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص 09.

[2] – محمد العيد، النص والخطاب و الاتصال، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب، الجامعي، القاهرة، 2005، ص 228.

[3] – محمد بصل وفراس سعيد: "الفعل الكلامي في اللسانيات الحديثة، تحليل الخطاب عند فان دايك أنموذجا"، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40)، العدد (5)، 2018، ص 241.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- للسياق دور كبير في تشكيل النص وتأويله بوصفه متوالية من أفعال الكلام، ثم أن (بنية النص) ضمن سياق الاتصال لا تتأثر فقط (بمعرفة الفرد أو مقاصده أو بوظائف النص في تأثيرها في مواقف أفراد آخرين وسلوكهم، فإن جماعات ومؤسسات وطبقات تتواصل أيضا تواصلا جماعيا أو عبر أفرادها من خلال إنتاج النص، ويبرز كذلك مكان الفرد ودوره ووظيفته في هذه الأبنية الاجتماعية من خلال سلوكه اللغوي، وقد رأينا أن الفرد يجب أن يتصرف من خلال سلطة أو وظيفة محددة أيضا لإنجاز أحداث لغوية معينة مثل القاضي أو الراهب أو المدير)، وفي كل ذلك إشارة دقيقة إلى تنوع معطيات السياق التي يتشكل فيها الفعل الكلامي النصي، والتي تضفي عليه صبغة خاصة تسهم في تحديد إنجازيته.[1]

- يتكون السياق التداولي الذي ينتج فيه النص من مجمل العوامل الاجتماعية والنفسية التي نحدد بدقة مناسبة أفعال الكلام ومن بينها المعرفة والرغبات أو الإرادة ، والأسبقيات المعتبرة عند مستعملي اللغة وأحكامهم من جهة وعلاقاتهم الاجتماعية من جهة أخرى كعلاقات الصداقة أو السلطة أو غير ذلك، وفي إطار هذه المعطيات تتحدد القوى الإنجازية المقصودة للنص.[2]

و السياق بهذا الطرح هو الديناميكية أو المسرح الذي تتمظهر وتتوالي من خلاله أفعال الكلام، إنه الاتجاه الذي تتنامى من خلال مجرى الأحداث، ابتداء من حالات ابتدائية، ثم حالات وسطى إلى الحالة النهائية، وهذا الاتجاه هو الذي ينظم التمثل الذهني للقضايا المعبر عنها.[3] فالأحداث اللغوية هي السياق الدافع لانتاج الخطاب القادم.

- تؤول متوالية الأفعال الكلامية كفعل واحد إذ صح تعيين الغرض أو الهدف الكلي العام الذي تقوم عليه.

- يتأسس الفعل الكلامي النصي على سمات خاصة تقوم على الترابط والاتساق وتوزيع المعلومات والجمل، وترتيب متواليتها بما يخلق ملائمة تلك الخصائص لغاية القيام بإنجاز متواليات قوى أفعال الكلام، وهي خصائص لا تكتفي بما تقتضيها العلاقات الدلالية باعتبار أن (مسألة توزيع المعلومات في الخطاب ليست مسألة دلالية فقط، إذ في ضروب عملية إنجاز الفعل المشترك الإيقاع التواصلي يتوقف هذا الترتيب على ما نعرفه ونصدقه وعلى اعتقاداتنا الخاصة بمعرفة شركائنا في

[1] – عبد الحليم عيسى، الفعل الكلامي النصي، ص 322.

[2] – محمد بصل وفراس سعيد، الفعل الكلامي في اللسانيات الحديثة، ص 241.

[3] – المرجع نفسه، ص 243.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

التحاور، وكذلك وبالمثال فإن المعلومات المركبة هي من شان أمانينا ومقاصد إنجاز فعلنا، وبضروب التخمين المتعلق بأولئك المخاطبين).[1]وفي ذلك توضيح لطبيعة الأفعال الكلامية المركبة التي تختلف في تأليفها تحسب تداعيات السياق سواء في تركيبها أو في ترتيبها.

وقد بين (فان دايك) ان التراتبية التي تقوم عليها الأفعال الكلامية تستعي طريقة معينة في تأليفها ورابط قضاياها، وحتى في اقتضاءاتها التعبيرية، فالعلاقات بين الأفعال القولية ليست دلالية فحسب، بل هي علاقات تداولية تؤديها مجموعة الروابط السمات المميزة، والتي تستمد فعاليتها من معطيات السياق الذي تتعالق به، مثل أدوات الربط العلية والاستنتاجية من مثل (من أجل ذلك، لان بما أن، إذن، ولغاية أن) ومنه يفرق بين (الاستعمال الدلالي) للروابط، و(الاستعمال التداولي) لها، فالأول يشير إلى العلاقات بين الوقائع، أما الثاني فيتصل بتلك العلاقات التي تتم بين الأفعال الكلامية ذات صلة بالسياق الاتصالي.[2]

كما أوضح أن كل صنف من الأفعال الكلامية يقتضي متواليات معينة، فالحكم يلبث مثلا (الإثبات والتقرير) قد يتبعه تفسير أو إضافة معنى زائد، كما يتبع الإثبات تصحيحا أو خيارا بديلا، أو قد يعقبه حكم مثبت، إنكارا أو تناقضا، قد نمثل لذلك بقول تميم البرغوثي:

من للغريب إذا ضاق الزمان به وطاردته جنود الدهر فانفردا

حيث يتحسر الشاعر من خلال هذا الفعل الإنشائي الذي يسعى به لتحقيق رد فعل محسوس (من للغريب إذا ضاق الزمان به) وهو استعطاف لنيل النوال والمراد. الدي هو طلب الغوث والنجدة لأنك:

(يا مثلنا كنت مطرودا ومغتربا) (يا مثلنا كنت مظلوما ومضطهدا)

وبالفعل الثاني ينشأ عنه رد فعل حسي كالنداء الذي يطلب منه فعل محدد وهو التضرع

أدرك بنيك فإنا لا مجير لنا إلا بجاهك نعو القادر الصمدا

ثم الطلب (أدرك بنيك فإنا لا مجير لنا) الذي يرجى منه فإن الملفوظ يرجى منه أن يحدث تغييرا في الواقع من خلال رد فعل المخاطب والمميز لهذا النوع أن رد الفعل مرجو ليس إلا، قد يتحقق وقد لا يتحقق وهنا التحقق وارد مجزوم به إذ[3]

---

[1] – عبد الحليم بن عيسى، الفعل الكلامي النص ، ص 323.

[2] – المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] – ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجع السابق، ص 324. ورزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ص 174.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

حرف النداء اسمك الأصلي يا سندا للمستغيثين لم يخذلهم أبدا

يؤكد الشاعر من خلال هذا الفعل القولي أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المغيث والسند إذ أنه لا يخذل أمته أبدا.ويذكر الكثير من أفعاله وملفوظاته التي تؤكد هذا الزعم.

وسنأتي إلى فرك حبات رمانتها مع باقي ما سيتقدم من تحليل.

والذي يفيدنا مما تقدم أن الشاعر لجأ إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم طلبا للغوث حين تقطعت به كل السبل سيرا على خطى من سبقه ممن استجار فيه فأجاره واستغاث به فأنجده (البوصيري وشوقي وغيرهما من المسلمين كثير)، ثم قومه أثناء محنتهم فهو العضد والسند.

يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي أَقَمتُ بِاسمك لي في غُربتي بلَدا.[1]

- يقوم الترابط الذي تقتضيه متوالية الأفعال الكلامية على ضرورة تهيئ العلاقات بين كل فعل كلامي وما يمكن أن يتعلق به انطلاقا من شروط معينة؛ فكوني

(شاعرا بالبرد) - مثلا- هو شرط صريح لصياغة الفعل الكلامي الأمري

في نحو: (إنّ الطقس بارد هنا ومن فضلك أغلق الباب)،ومنه قول تميم البرغوثي:

وإنَّ موؤدةً أَنْقَذْتــها ولَـــــدتْ ولْدانَ يعيى بها المحصي وإنْ جهـدا

صاروا كثيراً كما تهوى فَباه بِـهم واستصْلحِ الجمع واطْرح منْه ما فَسدا

أَقُولُ باه لأَنَّ الدَّهر عذَّبـــــهم حتَّى تمنَّى الفَتــى لَو أَنَّـــــــه وئدا

ولَم يزِلْ ممسكاً بِالدِّينِ جمرتــه حتَّى يموت علَى ما اختـــار واعتقَدا

ولَو يقَالُ لَه سر فَوقَ جمرِ غَضَى مشَى علَيْه بسيم الوجـــــــه متَّئدا[2]

فالبيت الأول والثاني إثبات حكم للنبي أنّه أنقذ أمته من طغيان الجاهلية وجهل الوئد فكثرهم، فشكل شرطا الأفعال الأمرية التي وردت بعد ذلك في مجمل الأقوال التي تلتها.

والنتيجة التي نستخلصها من هذه الأمثلة هي أنّ قوى أفعال الكلام قد تتولى وتنسجم بحسب سلم الانجازيات التي تتعلق بها، تجسدها ههنا عبارات (باه بهم)، ثم (استصلح) و(اطرح)، ويؤكدها الرابط التداولي (الواو)[3].

---

[1] – قصيدة البردة لتميم البرغوثي عن: حديث البردة قصيدة تميم البرغوثي الجديدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

[2] -: قصيدة البردة لتميم البرغوثي.

[3] - ينظر: فانديك، النص والسياق، ص283، 239.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

-و من المهم بالنسبة للتداولية النصية أن تحدّد الشروط التي يمكن أن تأتلف من خلالها أفعال الكلام لتكون متواليات محدّدة من جهة، وتوضّح الكيفية التي تتعالق فيما بينها من جهة أخرى، فاتضّح لـ(فاندايك) أن الشروط ليس مقصورة على خواص محيط الأفعال؛ كالتأثير على الأشياء، ولا على المقاصد والأغراض، وإنما أيضا على الخواص الأولى الأشياء، والمحيط وعلى قدرات الفاعل واستعداداته وتقرو لديه أنّ إحدى العلاقات الأساسية تحكم متوالية أفعال الكلام النصية هي (علاقة تعليل وتفسير)، أي كل فعل يعلل ويعطي الأحقية لتحقيق الآخر ضمن متواليات أفعال كلامية كلية، وبالتالي النجاح الكامل للفعل الكلامي النمي[1].

وهذا ما نلحظه مثلا – في قصيدة البردة، التي يقوم الفعل الكلامي النصي على متوالية كلامية غايتها التأكيد أنّ الوطن العربي عايش كل المحن والمصائب منذ فجر تاريخه، ولا أمل إلا فيما تجود به السيماء ولا واسطة لنا سوى الالتصاق ببردة النبي (المرجو في كل هول من الأهوال مقتحم). (من للغريب إذا ضاق الزمان به ؟!ولهذا لا يمكن أن يكون هناك سبيل للنجاة من غير الاعتصام بالله، ومن ذلك قوله:

من للغريبِ إذا ضَاقَ الزَّمانُ بِـه ... وطَاردتْه جنُود الدَّهرِ فَانْـــــفَردا
والدَّهرِ ذُو ضَرباتٍ لَيْس يسأَمها ... فَقَدْ عجبْتُ لهذَا الدِّينِ كم صمـدا
محمَّدُ بنُ سعيدٍ حاكَ بردتـــه ... بِخيْرِ ما أَنْشَدَ المولَى وما نَشَـــدا
وأَحمدُ بنُ عليٍّ جـــاء متَّبِعـــاً ... حتَّى شَفَى غُلَّةً منْها وبلَّ صـــدى
رأَى الفرنْجة تغْزُو المسلمين كلا ... ن فَاستنْجدَا المختار وارتفـــــدا
رأَى الخلافَة في بغْداد أَوَّلُهـــم ... ثمحى وحقْلِ كرامٍ بيع فَاحتصـــدِا
رأَى ...

إنَّ الزَّمانَيْنِ رغْم البعد بيْنَهـــما ... تطَابقًا في الرَّزايا لُحمةً وســـدى
والجرح في زَمني ما كانَ منْدملاً ... حتَّى أَقُولَ اسْتجدَّ الجرح أو فُصدا
يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَـدي ... هذا العراقُ وهذا الشَّام قَدْ فُقـــدا
يا جابِرِ الكسرِ منَّا عنْد عثْـــرتنَا ... وإنْ رأَيت القَنا من حولنا قصـــدا[2].

[1] - ينظر: فاندايك، النص والسياق، ص276.

[2] - تميم البرغوثي، البردة.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

يا مثلَنا كُنت مطْروداً ومغْتـــــرِباً يا مثلَنا كُنت مظْلُوماً ومضْطَهـــدا

أَدرِكْ بنيك فَإِنَّا لا مجير لَنـــــا إلا بِجاهك نَدْعو القادر الصَّمــدا

فتنامي الأفعال الكلامية لهذه القصيدة غايته تأكيد الفعل الإنجازي الكلي الذي يقوم عليه وهو اللجوء إلى جار المستجرين لأن فعل الغوث (قومه) الذي دام طويلا لم يأت بأي نتيجة، وهذا ما ظل يؤكد عليه في مناسبات متنوعة، منها قوله:

منْ للغَرِيبِ إذا ضَاقَ الزَّمانُ بِه وطَاردتْه جنُود الدَّهرِ فَانْفَردا

ومن اللازم إدخال بنيات تداولية كبرى لتأويل النص للكشف عن الوظيفة الإجمالية له، ولذا يمكن أن ترتبط متوالية الأفعال الكلامية المبسوطة فيه بفعل كلامي كبير، ولهذا إذا كان التحليل النصي من هذا المنظور يتجه إلى الفعل الكلامي الكامل أو الأكبر للنص فليس معناه إغفال الأفعال الكلامية البسيطة التي تسهم في إنتاجه وتحقيقه،[1] ولهذا لا يمكن التغافل عن أهميتها وقيمتها غير أن هذا التحليل يقتضي الكشف عن هذا التعالق الذي يكون بين هذه الأفعال.

- يقوم النص على (أفعال كلامية مركبة) ما تركبت وتوالت فيها مجموعة من الأفعال البسيطة، ذات القصد الكلي الواحد، والفعل الإنجازي البسيط هو ما أنتج وحقق أثرا واحدا لحال إنجاز واحدة، ونتائج الأفعال البسيطة هنا تدخل تحت مجال قصد كلي واحد مما يحققه حصول الفعل المركب في شمولية، فـ(بناء منزل ما هو إلا فعل مركب، إذ يتكون من جملة أفعال، كل واحد منها يمكن أن ينجز بنجاح، أو قد يفشل، إلا أنها أفعال مقصود بها كل جزء من أجزاء تحقق الخطة أو التصميم، فالفعل المركب يكون ناجحا إذا تحقق تصميمه)، معنى هذا أن بناء الفعل المركب مرهون بالتخطيط العام الذي يبني عليه مما يستدعي تصميما ما وفق علاقات مضبوطة، يضمن إنجازيته المقصودة لتبقى غاية التحليل هي تركيب أفعال الكلام مع الكشف عن الفعل الإنجازي المشترك.[2] وقد لاحظ (فان دايك) التعقيدات التي قد تظهر في ذلك.

- ومن المفيد ههنا إدخال (الأفعال الكلامية الإضافية المساعدة) في تنامي القول الإنجازية الكبرى التي يقوم عليها النص، و (الفعل المساعد هو كل فعل تقصد نتيجته كشرط كاف لنجاح فعل

[1] – ينظر: فان دايك: النص والسياق، ص 239.

[2] – فان دايك، المرجع السابق، ص 232.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

رئيسي (أصلي)، وكل فعل مركب مما تكون بعض أجزائه أفعالا مساعدة يسمى بالفعل المعقد، وأجزاء الأفعال المتعلقة بالأفعال المركبة يجون أيضا أن تكون شروط لما يعقب من أفعال.[1]

وقد لاحظنا من خلال هذه المعطيات أن الهدف الذي يبتغيه (فان دايك) هو اقتراح كيفية معينة في الكشف عن بنية أفعال الكلام النصية، وهي قائمة في جوهره على (التصنيف والتمييز) (الفعل الكلامي المركب، الفعل الكلامي المساعد) و (الاختزال والحذف)، فالأفعال الكلامية التمهيدية والمساعدة يمكن أن تختزل، كيف تحذف تلك الأفعال الجزئية المكونة التي إن أخذت مجتمعة تعرف العنصر الجوهري مما تنتجه الأفعال الكلامية الشاملة، و (التعميم)، أي نتيجة تأويل متواليات الأفعال الكلامية، أو الفعل المشترك الإنجازي بوجه عام، وكل ذلك من أجل تحديد الفعل الإنجازي الكلي الذي يقوم عليه الفعل الكلامي النصي المحدد، ولذلك اقترح هذه الأطروحات من أجل تحقيق ذلك، ولكن رغم ذلك أحس بالصعوبة التي تكتنف هذا الأمر، ولذا صرح وقال: «إن التأويل التداولي الإجمالي لنص ما، أي تحديد الأفعال الكبرى اعتمادا على متتاليات من الأفعال اللغوية مهم في الإعداد المعرفي (البرمجة) لمتتاليات أفعال اللغة وتنفيذها وتوجيهها وتأويلها ... ليس لدى لحد الآن أكثر من إستراتيجية إجمالية».[2]

ونعتقد أنه ليس من السهل الوقوف على الفعل الإنجازي الكلي الذي قد يقوم عليه الخطاب المعين، ومن المؤكد- في لوقت نفسه- أن الأخذ بالطروحات التي قدمها (فان دايك) بعين الاعتبار سيسهم في الكشف عن ذلك.

السياق التداولي في قصيدة "البردة" لتميم البرغوثي:

إذا كان مفهوم السياق متسعا متعدد القراءات وزوايا النظر (لغوية، دلالية، عرفانية، نفسية، اجتماعية...) فإننا سنتجه في هذه المداخلة إلى دراسته من منظور تداولي لا يرى فيه مقاما يحيط بالخطاب، أو مكونا يجيء مكملا له بقدر ما يراه فعل انبناء ترسمه عملية التلفظ ومقوماتها والعوامل المؤثرة في إنجازها على نحو مخصوص صياغة ودلالة كما تبرزه السابقة (con) التي تحيلنا على معنى المشاركة والتفاعل في نسج العلاقة القائمة بين النص والسياق فالسياق يتشكل عبر بناء الخطاب، بل يعاد بناؤه بفعل التواصل والتأويل الذي يسمح بتبين مقاصد المتكلم ومعاني خطابه الظاهرة أو

[1] – المرجع نفسه، ص 240.

[2] – محمد بصل وفراس سعيد: " الفعل الكلامي في اللسانيات الحديثة، ص 242.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

المخفية، وأيا كان السياق قوليا (le texte) أو مقاميا (contexte)، إن له أثرا في بناء العلاقة وتماسكها وإنتاج المعنى ورسم استراتيجية القول.

وتحوي النصوص الإبداعية على لذة تداولية فريدة من نوعها، من خلال الجانب المخفي في البناء الفني إلى حد ما يختبر الفضول التأويلي لدى القارئ التداولي انطلاقا من توفير المعلومات وما توفره الذاكرة من مخزون ثقافي وذهني تعالجه الذاكرة بتفاعلها مع معطيات ومعارف المخاطب ، وهذا لا يتم إلا من خلال معرفة السياق إذ يتفاعل السياق الداخلي للنص مع السياق الخارجي مؤديا إلى الإسهام في تأويل الملفوظ.

وآثرنا اختيار قصيدة من الشعر لما فيه من متعة إبحار من جهة ومن جهة أخرى لما يحويه الشعر من ميزات تسمح له أن يكون مسرحا خصبا لتجسد وتجل للأفعال الكلامية الكبرى، أو الفعل الكلامي النصي أو الشامل كالذي أضافه فانديك من خلال دراساته للسياق التداولي وليس لنا حجة في ذلك إلا قصة طريفة من القصص التي يزخر بها أدبنا العربي في عصوره الذهبية السالفة التي تاجها العصر العباسي ورغم أن القصة قيل فيها الكثير ممن جعلها محض افتراء واختلاق خيال وحكايا مسها الكثير من الزيف والتغليط إلا أن فحواها يعتبر حجة لنا في هذا الصدد.

القصة دارت بين الشاعر الماجن المعروف بحبه للخمر والسكر والعربدة أبي نواس والخليفة العباسي المشهور هارون الرشيد.

"غضب يوما هارون الرشيد على أبي نواس فطلب إحضاره إلى ديوانه وأمر بقتله فلما حضر ورأى الديوان مكتظا بالعلماء والأعيان وسمع بحكم الرشيد عليه بالقتل" قال: يا أمير المؤمنين، أذلك شهوة بقتلي؟ قال: لا، بل باستحقاق، فقال أو نواس: إن الله يحاسب فيعفو، أو يعاقب .ففيم استحققت القتل؟ قال بقولك:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر

ولا تسقي سرا إذا أمكن الجهر.

قال: يا أمير المؤمنين، أعلمت أنه سقاني؟ قال لا ولكن أظن ذلك.

قال: وتقتلني بالظن، وبع الظن إثم، قال: ولكنك: قلت أيضا ما يستحق القتل، وهو قولك في التعطيل.

ما جاءنا أحد يخبر أنه

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

في جنة من مات أو في نار.

قال: أفجاءنا أحد؟، قال لا، قال فتقتلني على الصدق؟، قال أولست القائل

يا أحمد لمرتي كل نائبة

قم سيدي ننعص جبار السموات

قال: يا أمير المؤمنين أو صار القول فعلا؟ قال: لا أعلم، قال: وتقتلني عل ما لا تعلم؟ قال: دع عنك هذا كله فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بما يوجب القتل ذلك كالزنا والفجور فقال أو نواس:

قد علم الله هذا من قبل علم أمير المؤمنين، وأخبر أني أقول ما لا أفعل، قال الله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون ولأم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون".

فقال الرشيد: دعوه يذهب وشأنه قطع الله لسانه.[1]

وما يهمنا من هذا كله هو أمران الأول: حكم الخليفة على الشاعر لفعل قاله في شعره، والثانية الآية.

والتي يظهر فيها حكم صريح على تضمن قصائد الشعراء أفعالا إنجازية- رغم عدم تحقق القيام واقعا-، ولكن سياق القصيدة يقول غير ذلك.

وكلا الملاحظتين يوضح حضورا كبيرا للأفعال الكلامية في القصيدة الشعرية،وما لها من دور في تغيير لغة السياق،وما للسياق من تأثير في عرض القول بتعديله.خاصة في قصيدة مدحية كالتي بين أيدينا والحديث عن كل هذا وذاك آت في سطورنا التالية.

ولذلك قمنا باختيار لقصيدة مناسبة ارتبط بسياقها الكثير خارجيا وداخليا.

البردة للشاعر الفلسطيني الشاب تميم البرغوثي وهي قصيدة تمتد للمائتي بيت في مدح خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وسنرى من خلال الأفعال الكلامية فيها سياقها التداولي.

عبر أولا:

- **التعرف على المدونة وصاحبها:**

إذا ما افترضنا أن اللغة فضاء بلا نهايات وأن الشعر عالم من المعاني ودالات، وكون عظيم من الإشارات والكنايات لم يحط ببحورها ذاهب ولن يحيط بها آت، سنعلم عندها أن القوافي خيل وأن

[1] – نسيم الحلو، ديوان الأدب في نوادر شعراء العرب،ط2،دار الفضيلة للنشر و التوزيع،لبنان،2017،ص44.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الشعر حلبة رهان مشرعة في كل حين وأوان، يمتطي فيها الشعراء صهوة معانيهم ويطلق فيها فرسانها خيل أشعارهم والسبق فيها ليس للزمان ولا المكان بل السبق فيها لصاحب السبق ممن يأتي بجديد ابتكار في مضمار تقطعت فيه ظهور خيل الشعر فمنهم من وصل ومنهم من صر منهم من تاه ومنهم من أعجزه السبق أدرج غبارهم ... ومنهم من هاله الممدوح فأقعده عن المنافسة.

ومن المتأخرين الذين دخلوا حلبة المنافسة الشاعر هو تميم البرغوثي والذي عارض البردة و"نهجها" في قصيدة بلغت المائتي بيتا.

1- ما البردة:

لغة: البردة هي كساء أسود من صوف يلتحف به. أما اصطلاحا فلعلنا لن نعرف أبدا على وجه التحديد السبب الرئيس لتسمية بعض قصائد مدح النبي بالبردة فالبعض، يرجع التسمية إلى أن كعب بن زهير الشاعر الذي هجا النبي فأهدر دمه فكتب قصيدته اللامية الشهيرة والتي مطلعها "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول" وقراءتها على النبي تقبلها منه وألبسه عباءته أي "بردته" الخضراء يفرج بها بين صحابته دون أ يمسه أحد فمن هنا جاءت تسمية القصيدة بالبردة، ولكن مع تعاقب الأجيال والأزمنة والشعراء اختلف على تسمية قصيدة كعب وهل هي بردة أم لامية.[1]

ولم يقصد كعب بهذه القصيدة مدح النبي فقط بل كانت رواية لمحنته الشخصية بعد إهدار دمه والتجاء منه إلى النبي وهكذا سار من نظموا البردة على دربه فلم تكن مدحا وحسب، بل كانت تأريخا هاما لمعاناة المسلمين بعد ذلك على اختلاف أزمنتهم ووجود المعتدين عليهم.

حتى جاء الإمام البوصيري بقصيدة قيل فيها أنها أجمل ما كتب في مدح النبي والتي مطلعها:

"أمن تذكر جيران بذي سلم *** مزجت دمعا جرى من مقله بدم"

وقيل إنه ألفها لما أصيب بالفالج "أي الشلل" فرأى النبي في المنام ووضع عليه بردته فقام من نومه سليما معافى، فأنشأ هذه القصيدة التي صار عوام المسلمين يتبركون بها ويعلقونها في المساجد ويقرؤونها على مرضاهم.

أصبحت قصيدة البوصيري إذا أشهر قصيدة سميت بالبردة وتسمى أيضا "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، لكنها تعدت بعد ذلك كونها مجرد قصيدة تقال أو أبيات يتبرك بها بل

[1] – ينظر: مصطفى السيد: "يا رسول الله أغثنا"، كيف روت البردة محنة المسلمين عبر التاريخ؟ فبراير، 2018/20، موقع ساسه http://www.sasapost.com/0sas ، 11-04-2020.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

كانت وسيلة للشعراء السابقين واللاحقين لسرد التاريخ وذكر المصائب والمحن التي ألمت بأقوامهم والاستغاثة بالنبي والالتجاء إليه حنينا وتبركا لرفع الغيوم عن سماء دولتهم.[1]

يا أكرم الرُّسل مالي من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي.

إذا الكريم تجلى باسم منتقـم

بعد سنوات من تلك الاستغاثة سيشهد الشيخ الكبير في العمر انكسار شوكة المغول وهزيمتهم في معركة "عين جالوت" وسيطول عمره حتى يشهد اندثارهم تماما من بلاء المسلمين ويموت الشيخ وقد تحقق له ما أراد تاركا بردته الشهيرة رجاء أن يتم شفاؤهم، لكن مكانة البردة لم تتوقف بين عامة لناس وما اعتقدوه فيها، بل وصلت آفاقا أخرى، إذ حاول الشعراء معارضتها فيما بعد.[2]

المعارضة:

والمعارضة هي أن ينظم الشاعر قصيدة يحاكي فيها قصيدة شاعر آخر مستعملا نفس البحر ونفس القافية وذلك لإعجابه بها، مع حرصه على أن يفوق نظمه القصيدة النموذج براعة وجمالا.[3]

وكان من أبرز من عارض بردة الإمام رجل يقال عنه أنه من أشهر شعراء العربية أحمد بن علي بن شوقي.

شهد أحمد شوقي الاحتلال وعاصر ما عاناه المصريون على يديه، في الوقت الذي كانت شمس الخلافة العثمانية تبدأ بالأقوال وتلفظ أنفاسها الأخيرة بعد معاناة من التفكك والانحلال في تسعينات القرن التاسع عشر بعد أن تمكن الإنجليز من إحكام سيطرتهم على البلاد بدأ أحمد بن علي بن أحمد بن شوقي نظم قصيدته الشهيرة "نهج البردة" معارضا فيها بردة الإمام محمد بن سعيد البوصيري.[4]

---

[1] – المرجع السابق.

[2] – مصطفى السيد: المرجع السابق.

[3] – باخوش محمد: "التناص والإبداع، فن المعارضة نموذجا" Balletim d'etudes orientales, Tone LX/44،21،2012 http://hournals,openedition.org/beo/578,DOI 20 أفريل 2020.

[4] – مصطفى السيد، المرجع السابق.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ابتدأ شوقي قصيدته الغزل كما بدأ البوصيري قصيدته فأتى بمطلع بردته:

ريم على القاع بين البان والعلم * * * أحل سفك دمي في الأشهر الحرم.

وبعد أن انتهى من الغزل ومدح النبي استغاث شوقي بمكانته عند الله فقال:

رأى قضاؤك فينا رأي حكمته * * * أكرم بوجهك من قاضي ومنتقم

فالطف لأجل رسول العالمين بنا * * * ولا تزد قومه خسفا لا تسم

يا رب أحسنت يد المسلمين به * * * فتم الفضل وامنح حسن مختتم.

لم يشهد شوقي جلاء الإنجليز عن مصر كما شهد مقدمهم، ولن يعرف شيئا عن إسرائيل التي ستغزو مصر بعد الإنجليز وستخرج منها كما خرجوا هم، لن خروجها من مصر هذه المرة سيشهد شاعر جرؤ على معارضة البوصيري وشوقي.[1]

*** تميم نواف البرغوثي:**

هو حالة فريدة في زماننا هذا لابد من التوقف عندها كثيرا، هو الشاعر المجيد في عمودي الشعر وحره، ومدرس العلوم السياسية بإحدى أرقى جامعات الولايات المتحدة، وشُخصية تجمع بين حالمية الشاعر وشجونه، وتحليقاته، وواقيته السياسي وخلوده إلى الأرض.

1- اسمه ونشأته:

تميم نواف البرغوثي شاعر فلسطيني معاصر، تعود أصوله إلى قرية دير غسانة في فلسطين ولد بالقاهرة بتاريخ 13 يونيو 1977.[2] وهو إبن وحيد لوالده الشاعر الكبير مريد البرغوثي، وأمه المصرية الأصل الكاتبة المبدعة رضوى عاشور، من عائلة جمعها الحب والشعر والأدب، عمه الشاعر نجيب البرغوثي.[3]

[1] – مصطفى السيد: المرجع نفسه.

[2] –أسامة محمد مصطفى القطاوي، الصورة الشعرية عند تميم البرغوثي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب، قسم لغة عربية، أدب ونقد، الجامعة الإسلامية، بغزة، 2017، ص 0.

[3] – عزوز سفيان، دلالات التكرار في شعر تميم البرغوثي "ديوان مقام العراق أنموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017، ص 05.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

عاش والده في القاهرة، وذلك في فترة حكم الرئيس أنور السادات.[1] ولقد ولد تميم وفي فمه صرخة مقاوم ومسكون بوطنه الذي ما ولد فيه، أحبه من خلال أبيه الشاعر المناضل، وعروبية والدته الكاتبة النافذة، ففي بيت ثقافة وعلم وأدب ترعرع هذا الشاعر ورضع حب العربية وحب الأدب الجميل، ليخرج إلينا شاعرا مكتملا يمتلك أدواه اللغوية الفنية، ليضعها جملا شعرية تدخل القلوب بلا استئذان، فهو تجربة شعرية جديدة، نسجت نفسها من نفسها.[2]

كتب تميم البرغوثي أول لحن له، وأسماه "قصيدة" في سن السادسة وأول نص شعري مضمن في كتاب له كان في سن الثامنة.[3]

حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامع القاهرة، والماجستير في العلاقات الدولية والنظرية السياسية من الجامعة الأمريكية في القاهرة، ثم شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية.[4]

في عام "1998" تمكن البرغوثي من العودة إلى فلسطين للمرة الأولى وأقام أول أمسية شعرية له في فلسطين في ساحة قريبة من قريته دير غسانه، فضاء رام الله في الضفة الغربية، وفي رام الله في الضفة العربية، وفي رام الله كتب أول مجموعة شعرية أسماها "ميجنا" باللهجة الفلسطينية العامية، وصدرت عن بيت الشعر الفلسطيني عام 1999، في العام التالي صدرت مجموعته الشعرية الثانية "المنظر" باللهجة المصرية العامية عن دار الشروق في القاهرة، وكان أول ظهور جماهيري له في مصر في معرض القاهرة الدولي للكتاب في ذلك العام.[5]

اشتهر تميم بأعماله التي تتناول قضايا الأمة، «وكان أول ظهور له على شاشة قناة أبو ظبي في برنامج أمير الشعراء، وألقى خلاله قصيدة في القدس حيث حازت على إعجاب الكثيرين، والقصيدة هو اسم أول عمل أدبي كتبه تميم البرغوثي عندما كان في السادسة من عمره...»[6]

---

[1] – أماني عبد المعطي محمد غيث، التناص في شعر تميم البرغوثي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، كلية الأداب في الجامعة الإسلامية، غزة، ص 06.

[2] – عزوز سفيان، المرجع السابق، ص 05.

[3] – عبد اللطيف جليل وذياب خالد، المرجع نفسه، ص 42

[4] – عبد اللطيف خليل وذياب خالد، المرجع نفسه، ص 42.

[5] – ينظر: أماني المعطي محمد غيث، التناص في شعر تميم البرغوثي، ص 06.

[6] – أماني ع المعطي محمد غيث، المرجع نفسه،ص 06.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

لقد عرف تميم البرغوثي الوقائع السياسية في العالم العربي ومدى تأثيرها على الحياة الشخصية منذ سنوات عمره الأولى يقول:

«حين كان عمري عاما واحدا اجتاحت إسرائيل لبنان، واجتاحته مرة أخرى، وارتكبت مذبحة صبرا وشتيلا في حق الفلسطينيين عام 1982م، حين كنت في الخامسة، وفي عام 1991، حين كنت في الرابعة عشرة غزا الأمريكيون العراق للمرة الأولى، وقتلوا مائة وخمسة وثمانين ألف نفس من الراقيين، وفرضوا عليهم حصارا استمر اثني عشر عاما وربما كان أول حصار شامل في التاريخ، ما بسببه أكثر من مليون شخص أكثرهم من الأطفال والنساء الشيوخ حسب تقديرات منضمة الأمم المتحدة للطفولة»[1]

فلما انقضت أعوام الحصار اجتاحت الولايات المتحدة العراق عام 2003م، مما كلف العراقيين حربا أهلية قتل فيها مليون شخص آخرين، وبينما كان الرئيس المصري محمد حسني مبارك يرحب بحاملات الطائرات الأمريكية المارة من قناة السويس، كان رجال أمنه يخبروني أني غير مرحب بي في القاهرة، وكانت إسرائيل قد أعادت اجتياح الضفة الغربية لنهر الأردن قبلها بعام، وكذلك رام الله بلد أبي، قد اجتيحت وحوصر فيها بعض أهلي، إلا أنه لم يكن ثمة شيء يشبه ما جرى في العراق، ثم دخل حسني مبارك في حلف عسكري مع اسرائيل ضد شعب غزة عام 2008م، وحاصرهم ليقتلهم الغزاة، وبعد ثلاث سنوات وكنت لا أزال في منفاي، وبعد سقوطه بسنة وتسعة أشهر انتصر شعب الأطفال في غزة على غزاتهم.[2]

2- حياته العلمية:

حصل البرغوثي على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.

* كما حصل على الماجستير في العلاقات الدولية والنظرية السياسية من الجامعة الأمريكية في القاهرة. وحصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة عام 2004م.

* عمل أستاذا مساعدا للعلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

* محاضرا بجامعة برلين الحرة بألمانيا.

---

[1] – المرجع السابق.

[2] –أسامة محمد مصطفى القطاوي، الصورة الشعرية عند تميم البرغوثي، ص 02، 03.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

* عمل بقسم الشؤون السياسية بالأمانة العامة للأمم المتحدة بنيويورك (لجنة الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني).

* عمل في بعثة الأمم المتحدة بالسودان.

*باحثا في العلوم السياسية بمعهد برلين للدراسات المتقدمة عمل أستاذا مساعدا للعلم السياسية في جامعة جورجياتون، حتى عام 2011م.

* وبين عامي 2011 و 2014، عمل تميم البرغوثي استشاريا للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، وقاد مجموعة بحثية لإصدار تقرير عن مستقبل العالم العربي في عام 2013م.[1]

التحق البرغوثي بالعمل الدبلوماسي الدائم في لجنة الأمم المتحدة مساعدا للأمين التنفيذي ووكيلا للأمين العام للأمم المتحدة في عام 2015م.

- وللبرغوثي كتابات في العلوم السياسية: الأول باللغة العربية بعنوان الوطنية الأليفة: الوفد وبناء الدولة الوطنية في ظل الاستعمار.

والثاني باللغة الإنجليزية عن مفهومي الأمة والدولة في العالم العربي.

3 - دواوينه المطبوعة:

لتميم ست دواوين مطبوعة هي:

1- ميجنا، عن بيت الشعر الفلسطيني برام الله عام 1999، ديوان باللهجة الفلسطينية.

2- المنظر، عن دار الشرق بالقاهرة عام 2002، وهو ديوان منشور باللهجة المصرية.

3- قالولي بتحب مصر قلت مش عارف، عن دار الشروق بالقاهرة، عام 2005، وهو ديوان منشورات باللهجة المصرية.

4- مقام عراق، عن دار أطلس للنشر بالقاهرة عام 2005 و هو ديوان بالعربية الفصحى.

5- في القدس، عن دار الشروق بالقاهر عام 2009، وهو ديوان منشورات بالعربية الفصحى.

6- يا مصر هانت، عن دار الشروق بالقاهرة عام 2012 بالعامية المصرية.[2]

[1] – أسامة محمد مصطفى القطاوي: المرجع نفسه، ص 03.

[2] – عزوز سفيان: دلالات التكرار في شعر غيم البرغوثي، ص 14.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

*** مشاركته في برنامج أمير الشعراء:**

ازدادت شهرته إثر اشتراكه في برنامج أمير الشعراء الذي أذيع على تلفزيون أبو ظبي مؤخرا، عرف بحضور القدس الدائم في شعره وانتصاره لقضية شعبه، ومن قصائده التي اشتهرت بشكل واسع قصيدة "في القدس" إضافة إلى عدد من القصائد الأخرى منها فقد نشر قصائده في عدد من الصحف والمجلات العربية كأخبار الأدب، والدستور، والعربي والقاهريات، السفير اللبنانية، والرأي الأردنية والأيام والحياة الجديدة الفلسطينيين.

- من أشهر قصائده:
- قفي ساعة.
- تخميس "على قدر أهل العزم".
- في القدس.[1]
- أمر طبيعي.
- الموت فينا وفيهم الفزع (إلى المقاومة في غزة).
- حط على القبر المؤقت، (مهداة للرئيس الراحل ياسر عرفات).
- الجليل/- جداتنا.
- أنا لي ساء كالسماء "نثر موزون، وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة".
- معين الدّمع (معارضة معلقة عمرو بن كلثوم).
- مقام عراق.
- البردة من مائتي بيت" في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"[2]

***- بردته في مدح خير البرية:**

1- سياق نظمها:

إذا نظرنا إلى النصوص الشعرية العربية القديمة، وخاصة في المؤلفات التي تتخذ لها الشعر موضوعا وجدنا أنها لا تروي النص معزلا عن محيط إنتاجه بل تصنع كل نص، مقطوعة كان أم قصيدة، في سياقه حتى إن النصوص تبدو أحداثا تؤرخ لأحداث (...)، تقدم النصوص الشعرية،

[1] – عزوز سفيان: المرجع نفسه، ص 15.

[2] – المرجع السابق، ص 15

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

كمسببات حركتها أسباب مختلفة (...)، الشخص الذي يروي القصيدة يقيدها بزمان ومكان محددين وحدت وشخصيات معلومة (موثوقة)، يضع لكل قصيدة ملفا يساعد على فهم الشعر القديم، ويمكن إعادة تركيب سياقه اعتمادا على معلومات خارجية يوفرها راويه أو شارحه.[1]

فحين همّ تميم بإلقاء قصيدته استهلها بمقدمة نثرية طويلة غاية في الجمال معنى ومبنى وثق من خلالها سياق نظم بردته زمانا ومكانا وأحداثا حيث قال: «كتبت هذه البردة أعارض بها أنا تميم بن مريد بن الظاهر البرغوثي العمري الكناني، العربي الشامي الأصل المصري الدار بردة الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي المغربي الأصل، المصري الدار، ثم قصيدة أحمد بن علي بن أحمد، المعروف بأحمد شوقي، الكردي الأصل المصري الدار، على ما للشيخين من فضل السبق»[2]

وما أعجب ما يعيد التاريخ نفسه. كتب البوصيري بردته مادحا مستنجدا بخير الأنام بينما خيول المغول تسحق بغداد، والعشرات من عواصمنا قبلها وبعدها، والإسبان يحاصرون أندلسنا في جيب غرناطة الصغير، عدوها من أمامها، والبحر من خلفها والصليبيون يأخذون القدس صلحا من " الكامل الأيوبي" ملك مصر بعد أن حررها جده العظيم، وما زال سلطانهم في سواحل شامنا المريض، يتلاعبون بحكامنا السفهاء ويستنصر هؤلاء بهم على بعضهم، وكتب أحمد شوقي على نهجها في زمن الاحتلال الشامل لكامل أراضينا من مستعمري الشرق والغرب، وذبول آخر رموز الوحدة بإعلان وفاة رجل الخلافة العثماني المريض.[3]

هنا، يلقي تميم البرغوثي بردته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بينما أمته مقبلة على ربيع منتظر لم يلبث أن تحول إلى ضيف محرق ومن وهن إلى وهن، ومن تمزق إلى تشذرم وتفتت، ومن دول وأشباه دول إلى دويلات متصارعة، وتفترض الدول الكبرى أجسادها ودماءها في حلبة صراعها على المصالح والنقود والإيديولوجيا.[4]

---

[1] – محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 298، 299.

[2] - تميم البرغوثي: "البردة... قصيدة جديدة لتميم البرغوثي" بوابة الشروق 18 يناير 2013 http://www.shoruknwes.com/mobile/2020-04-11

[3] – محمد صلاح قاسم: "بردة تميم البرغوثي": محنتنا بين رسول الله

[4] – المرجع نفسه.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ففي السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام 2008 شنت إسرائيل واحدة من أعنف موجات عدوانها على قطاع غزة في عملية اسمتها بـ الرصاص المصبوب، وبينما كان الفوسفور الأبيض يصب على رؤوس أطفال القطاع المحاصر كان تميم في المنفى يرى ما يحدث لأبناء وطنه من عدوان غاشم وما أسماه هو بنفسه "تواطؤاً من الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك ضد أطفال القطاع" أثر هذا العدوان الذي خلف وراءه آلاف القتلى المصابين في نفس تميم أيما تأثير، وبعد عامين من هذا العدوان وبينما كان تميم يجلس على أحد المقاهي في بلاد المهجر يتفكر فيما آل إليه حاله وحال أسرته فاجأته سيدة شقراء وقالت له: ألا تتفق معي أن العرب والمسلمين أوباش كريهون. ؟ [1]

لم يرد تميم على السيدة وقام من مكانه يهيم في الشارع وتتداعى أمامه كل النكبات التي مر بها في حياته فبعد مولده بعام واحد اجتاحت إسرائيل لبنان عام 1978 وبعدها بأربعة أعوام وقعت مذبحة "صابرا وشتيلا" في حق أبناء بلده الذين ذبحوا على الطرقات، مرت السنن وفرضت أمريكا حصارها على العراق بينما كان تميم في ريعان شبابه وسقطت بغداد في يد جنودها فتحول ربيع عمره إلى خريف اكتمل أفول أزهاره بنفيه خارج مصر بعد منعه من العمل فيها رفض الحكومة المصري آنذاك منحه الجنسية المصرية رغ مصرية والدته "رضوى عاشور". [2]

خرج تميم مشتتا بين بلدان العالم، يحمل هما بداخله على أسرته وخاطرا يشغله دائما على أبناء وطنه، وكانت أحلك هذه الهموم حين اعتدت جماعة من "البلطجية" عام 2010، إلى وقفة احتجاجية لأساتذة جامعة عين شمس وكان بينهم والدته "رضوى عاشور" أستاذة الأدب الإنجليزي لم يستطع تميم زيارة والدته في المستشفى والوقوف بجانبها في أشد لحظات احتياجها له، كان عليه في البداية أن يقف طابورا طويلا على أبواب السفارات المصرية كي يحصل على "التأشيرة" كل هذه المشاهد تداعت على رأسه في طريق عودته من المقهى إلى البيت، فأخذ يرنم. [3]

"**مولاي صل وسلم دائما أبدا ***على حبيبك خير الخلق كلهم**" وبدأ إنشاء بردته مستغيثا بالنبي صلى الله عليه وسلم وراجيا من الله أن يفك الكرب ويفرج الهم عن عائله الصغيرة وعن وطنه الكبير [4]

---

[1] – مصطفى السيد: "يا رسول الله أغثنا": كيف روت البردة محنة المسلمين عبر التاريخ.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – مصطفى السيد، المرجع السابق.

[4] – المرجع نفسه.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فيقول: «كتبت هذه القصيدة استنجادا بالروح على الجسد، والأهل على الغربة، وبالأنس على الوحشة، وقررت نشرها، حين رأيت انتصار الأطفال المحاصرين في بلدي على غزاتهم في هذه الحرب الأخيرة ووقفت معهم تحت القصف في ساحة مستشفى الشفاء ورأيتهم حين سقطت قذيفة بجوار المستشفى يركضون متجهين إليها لا هاربين منها، وتبسم لي طفل جريح اسمه أنس فرأيت المعجز في يومي كما أن شروق الشمس معجزة يومية وأحببت أن أصلي على النبي وأنشرها».[1]

هنا يرفع تميم شكوانا إلى المصطفى، نحن المنفيون في أراضينا، والغريبون في أوطاننا، دماؤنا تفيض هدرا من صميم قلبنا في العراق والشام.

ولا نملك في أكثر الأحوال إلا عجزنا ودموعنا، فلا بأس أن نستنجد بحزن هذه الأمة، محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أقامنا الله به من العدم، وأودع في وحيه إليه سر حياتنا ووجدانها.[2]

2- قيمتها الفنية:

المعارضة من الفنون الشعرية شديدة التقليدية، ومعارضة بردة البوصيري مرحلة شبه ثابتة في النمو الأولى لمعظم المراحل المتأخرة عن زماننا؟

لكن من فنون الإبداع، أن تأتي بالجديد مما اعتاد الناس فيه التقليد ومن هنا فرادة هذه البردة التميمية.[3]

تتبعا واختلافا صغت قافيتي * * * مولاي صل وسلم دائما أبد"

وليس معذرةٌ في الاتباع سوى * * * أني وجدت من التَّضنان ما وجدا

وليس معذرةٌ في الاختلاف سوى * * * أنَّني أردت حديثا يثبت السَّندا.[4]

---

[1] – تميم البرغوثي، البردة قصيدة تميم البرغوثي الجديدة في مدح رسول الله، حديث العرب http://talkarabs.blogspot.com/2013/01/blog-post-1755.html/m=1. 2020-04-11.

[2] – محمد لاح قاسم، "بردة تميم البرغوثي": محنتنا ين يدي رسول الله.

[3] – محمد صلاح قاسم: "بردة تميم البرغوثي": محنتنا بين يدي رسول الله، إضاءات، 2016-10-02 http://www.ida2at.com/barada-leona-our-orfeal.in-the-hands- of-the-prophet/ . 2020-04-19.

[4] – تميم البرغوثي، البردة.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

تعد المعارضة تحية من اللاحق للسابق، وهي حتى بعد الاعتراف بالفضل للمتقدم تبقى عملا فيه قدر من المخاطرة ، لأنها شبيهة مما سماه أحمد شوقي نفسه "تجاوزا" "للقدر، ولأنها نص يعتمد في جزء من معناه على الأقل، على نص سابق له، فلا يكتمل إلاّ لمعرفة القارئ للنص الأول، ثم هي مخاطرة لأن كتابتها، في زمننا هذا ربما تشكل تحديا لمنهجين سائدين في الثقافة العربية، تكون عند أولهما تمردا على الحداثة، وعند الثاني تجرؤا على التراث لذلك (ربما احتجت في كتابتها إلى توضيح السياق)[1]

لا يجد تميم فضاضة من الاعتراف بتقليدية ما فعل، لكن يشير إلى أنه لم يكتف بمحاولة التجديد في المضامين والأفكار، بل حتى في البناء الشكلي لقصيدة ،«إنَّني في هذه القصيدة أخرج خروجا صريحا" على مدرسة في الشعر العربي ترى التراث عبثا عليها بدلا من أن يكون سندا لها، وهي مدرسة تقابل في الآداب الدولة الحديثة التي بناها الاستعمار في السياسة، وإن تقنيات المعارضة والتخميس والتشطير وغيرها من الفنن التي وسمها بعض الحداثيين بفنون عصر الانحدار، تتيح للمرء من أساليب المحاورة والصدى ما شاء لذلك فقد قررت الالتزام بكل قواعد المعارضة التراثية، دون أ تكون القصيدة نفسها تقليدا للتراث، ولا أجد حرجا في هذه المقدمة من الكلام عن بعض التقنيات كعده الأبيات أو اختيار القافية مثلا، فالشكل عندي كلمة في جملة المضمون لا يستقيم دونه».[2]

ولما كان من أعراف المعارضة زيادة الشاعر اللاحق في عدد الأبيات عن الشاعر السابق، ولما كانت أبيات البوصيري مائه وستين، وزاد شوقي أبيات النهج إلى مائة وتسعين، فإنَّني أتممتها مائتين، وغيرت القافية من الميم إلى الدال، لأن في معنى القصيدة بعض الانقلاب عن معاني سابقتيها، فأحببت أن يرادف ذلك انقلاب في الشكل، فيكون صدر بيت القصيدة الأشهر:

"مولاي صل وسلم دائما أبدا * * * على حبيبك خير الخلق كلَّهم".

وهو عجز البيت الذي يبدأ به المديح في هذه القصيدة.[3]

"على النبي وآل البيت الشهدا * * * مولاي صل وسلم دائما أبدا"

ومن هنا جاءت قافية القصيدة بالدال بدلا من الميم.[4]

---

[1] - محمد صلاح قاسم، المرجع نفسه.

[2] – تميم البرغوثي : "البردة قصيدة تميم البرغوثي الجديدة في مدح رسول الله".

[3] – محمد صلاح قاسم: المرجع السابق.

[4] – تميم البرغوثي: "البردة" قصيدة جديدة لتميم البرغوثي، بوابة الشروق.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وبذلك كان تميم ذكيا في بناء قصيدته بأمرين:

- **الأول:** حين أبقى على بحر البسيط وغير الرؤى في معارضته

من قافية الميم إلى الدال لينأى بنفسه عن تكرار المعاني، المعاني التي تنطوي عليها كلمات القوافي، المعاني التي شرب صرفها الإمام البوصيري في بردة ثم أتي على ثمالتها أحمد شوقي في قصيدته "نهج البردة"، وقد أشار البرغوثي إلى الشاعرين في القصيدة وسبقهما له في المدح النبوي بقوله:

محمد بن سعيد حاك بردته * * * بخير ما أنشد المولى وما نشدا

وأحمد بن علي جاء متبعا * * * حتى شفى عُلَّه منها وبلَّ صدى.

ومحمد ابن سعيد هو اسم الإمام البوصيري كما هو معلوم وأحمد إبن علي هو اسم أحمد شوقي.

- **والثاني:** أنه لم يذهب بعيدا عن القصيدة الأصل في اختياره للروي في قافية الدال حين استله من صدر بين منسوب للبردة.[1]

لم يكتف تميم أيضا في: قصيدته بالخروج عن الوزن المعروف لبردة البوصيري وشوقي بل خرج فيها عن المعنى أيضا، فبرغم من تشابه بردته في مدح النبي إلاّ أنه استحدث فيها ما يمكن وصفه بالثورة الشعرية على الحكام المتآمرين كما أسماهم هو، فتضمنت قصيدته هجاء ورثاء واستعانة ورجاء ومدحا وحباً.[2]

مضمونها:

بدأ تميم قصيدته بالحب كما فعل سابقوه، فجاء مطلعها:

مالي أخصُّ لم ألقهم أبدا

ويملكون عليّ الرُّوح والجسدا.

ثم انتقل إلى مدح النبي فأضاف له لونا جديدا، إن لم يقم بمدح النبي على صفاته، أو معجزاته، بل على بشريته، وعلى شجاعته، وإنسانيته.[3]

ولست أمدحه مدح الملوك فقد

راح الملوك إذا قيسوا به بددا

ولن أقول قوي أو سخي يد

---

[1] - حسان الحديثي: "حديث الخميس: بردة البرغوثي" الحدث وكالة الحدث الإخبارية.

[2] – مصطفى السيد: "يا رسول الله أغثنا" كيف روت البردة محنة المسلمين عبر التاريخ.

[3] – المرجع السابق.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

من يمدح البحر لا يذكر له الزبدا

ولا الخوارق عندي ما يميزه

فالله أهداه منها ما قضى وهدى لكن بما بات في عينيه من عب

أراد إخفاءه من قومه فبدا.[1]

ثم انتقل بعد ذلك إلى هجاء قاس للحكم وذكر ما حل بالبلاء في عهدهم من خراب ودمار:

لنا ملوكٌ بلا دين إذا عبروا * * * في جنَّةٍ أصبحت من شؤمهم جردا

أنيابهم ذوي الأرحام ناشبة * * * وللأعادي ابتسام يظهر الدّردا

وفي الختام طمأن تميم كل لاجئ وكل مظلوم، كل مهجَّر وكل منفي، وكل عزيب عن قومه، وبعيد عن وطنه، فه بنفسه الذي نفاه نظام مبارك ومنعه من العمل هو والده في مصر، قد شهد سقوط هذا النظام على يد المصريين في ثورة الخامس والعشرين من يناير وهو الذي شهد خروج الأمريكيين من العراق بعد احتلال وحصار، وشهد صمود أطفال القطاع في وجه الاحتلال.[2]

دار الزمان وتبدلت الأيام بين انكسار و انتصار، ومنحته ومحنته، وحتم تميم بردته متمنيا أن ينشد بردة أخرى على نصر وطنه، واستعادة لبيت مقدمه، والتئام لجرح أمته.

وراجيا من إلهي أن يتيح لنا * * * يوما على ظفر أن ننشد البردا

وصلِ يا رب ما غنَّا مطوقةٌ * * * تعلم الغصن من إطرابها الميدا

على محمد الهادي محمدنا * * * نبينا شيخنا مهما الزمان عدا

وهذه بردته أخرى قد اختتمت * * * أبياتها مائتان استكملت عددا.[3]

يا رب وأجعل من الختم البداية واُ * * * صرنا وهي لنا من أمرنا رشدا.

وقد كتب الشاعر البرغوثي في مفتتح قصيدته التي نحن بصددها، كتب نثرا جميلا اتخذت منه خاتمة لحديثي هذا حيث يقول:

هذا وبقي أن يعتذر المرء من الرَّسول عليه الصلاة والسلام نفسه.

إن مادحك يا أبا القاسم لا يمدحك وحده: فإن كتب يقول:

ريم على القاع بين البان والعلم * * * أجلَّ سفك دمي في الأشهر الحرم

---

[1] – المرجع السابق.

[2] – مصطفى السيد: المرجع السابق.

[3] – المرجع السابق.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أو قال:

أمن تذكر جيران بذي سلم * * * مزجت دمعا جرى من مقلته بدم أو قال:

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول * * * متيم إثرها لم يفد مكبولُ

فإنما كتب المطلع، ولو بلغ عدد أبياته المئتين، فإن الشعر يمكن أيضا فيما أضافه الناس لكلامنا، هم قالوا إنَّ البردة لو وضعت على عيني كفيف أبصر، وعلى عيني أرمد شُفي، وعلى رأس محموم أبل، و على بطن حبلى وضعت ولدا صحيحا يعيش، وهم جعلوا هذه القصائد أحجية وأحرازا، ونقشوها على أسبلة المساجد وأسيجة البيوت، وهذا شعر كتبوه هم لا نحن، إن سامعك يشارك في مدحك، ويكمل القصيدة.

إنك يا أبا القاسم حين تمدح فإن الشعر لا ينتهي بانتهاء الإنشاد، وذلك لأنك من أنفسنا ولأنه كان "عزيزا عليك ماعنتنا" ولأنّك كنت "حريصا" علينا" ولأنك فأل هذه الأمُة الحسن، فكنت متعبا" مثلنا، ومظلوما مثلنا، ومنفيا مثلنا، ومكذبا مكذوبا عليك مثلنا، ثم انتصرت.[1]

- تجليات السياق التداولي في المدونة:

نحاول في هذا العنصر تحليل قصيدة (البردة) للشاعر الفلسطيني الشاب،تميم البرغوثي بغية الكشف عن التصور السابق حول الفعل الكلامي النصي، وسنكشف أولا عن الفعل الانجازي المهيمن فيها، ثم نضبط علاقاته مع بقية الأفعال الإنجازية الأخرى والتي تخدمه، ونبين عن الأفعال الكلامية المساعدة، ونحدّد أيضا (دور الروابط التداولية) في تحقيق (الاتساق) في بنية القصيدة، ثم نضبط السياق التداولي للقصيدة.

وبداية كنّا قد تحدثنا عن المناسبة التي أنتجت فيها هذه القصيدة، فقد نظمها الشاعر بين شهري نوفمبر وديسمبر سنة 2010م معارضة لكل قصيدة البوصيري وأحمد شوقي (الكواكب الدرية في مدح خير البرية ونهج البردة). قصيدتان في مدح " سيدنا محمد " رسول الله صلى الله عليه وسلّم ،بينما أمته مقبلة على ربيع منتظر لم يلبث أن تحول إلى صيف محرق ومن وهن إلى وهن ومن تمزق إلى تشرذم وتفتت ومن دول وأشباه دول إلى دويلات متصارعة تفترش الدول الكبرى أجسادها ودماءها في حلبة صراعها على المصالح والنفوذ والأيديولوجيا. ويظهر في قوله:

[1] – حسان الحديثي: "حديث الخميس، بردة البرغوثي" الحدث.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وقَسَّمونا كما شاؤوا فَلَو دخلُوا ما بيْن شقِّي نَواة التَّمرِ ما اتَّحدا
هي الطُّلولُ وإنْ أَسمَيْتها دولاً هي القُبورِ وإنْ أَثَّثْتها مهـــدا
هي الخرابُ وإنْ رفَّتْ بيارقُها ونَمَّقُوا دونَها الأَعتابَ والسُّدَدا

ويرى الشاعر أن ما يحدث في الأمة اليوم فهو التاريخ الدي يعيد نفسه فما أشبه الليلة بالبارحة فالمأساة واحدة، فلا جديد تحت الشمس.

حتَّى أَقُولَ اسْتَجدَّ الجرح أو فُصدا تطَابقًا في الرَّزَايا لُحمةً وسدى
والجرح في زَمني ما كانَ مُنْدملاً إنَّ الزَّمانَيْنِ رغْم البُعد بيْنَهما

فكتب هذه القصيدة بينما كان في المهجر يفكر في شأنه وأهله وناسه أحيائهم وأمواتهم وكان جالسا على مقهى فاستفاق على صوت امرأة شقراء أو صابغة شعرها تقول له: « ألا توافقني على أن العرب والمسلمين أوباش كرهون؟ » قمت من المقهى وعدت إلى منزلي أرسم " مولاي صل وسلم دائما أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم" ونوى أن يكتب في مديح سيد الغرباء والمهاجرين محمد بن عبد الله .

هذا سياقها المكاني والزماني ومناسبتها، ومن الضروري أيضا أن نذكر عناصر السياق التواصلي ككل، لأنها تسهم في ضبط وظيفة النص؛ فالمتكلم هو الشاعر (تميم البرغوثي) والذي تكلم في بعض الأحيان على لسان أمته التي أثقلتها المحن والخطوب، فصوته هو صوت كل متعب أو غريب أو لاجئ، ومظلوم .

أما المخاطَب فهو الرسول صلى الله عليه وسلّم بالقدر الأكبر والأوفر وهذا المصرح به " إنك يا أبا القاسم حين تمدح فإن الشعر لا ينتهي بانتهاء الإنشاد"(يا رسول الله يا سندي...) ،وإن خاطب في بعض أبياته بشكل مصرح أو مكني أحيانا الله،صحب رسول الله وأهله، ذاته ،أهله ،أمته والعدو... مما تقتضيه موضوعات قصيدته وأفكارها.

ونلاحظ أن معرفة هذه المعطيات تساعد في تلقي النص وتحليله أما فيما يخص شخصية المتكلم وتكوينها الثقافي، وشخصيات من شهد الحدث الكلامي، والعوامل الاجتماعية والتاريخية وحتى الفنية، ذات العلاقة باللغة كالمكان... فقد تم توضيحه في بداية هذا العنصر والتفصيل فيه.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

تعدد الأغراض والفعل الإنجازي الواحد:

تعددت سنن التأثير والاستجابة في قصائد المديح وتكونت منظومة من المعايير حددتها المدونة النقدية العربية، وترى " د.شيتر رحيمة" وجوب تجاوز الطرح القائل بتعددية أغراض القصيدة وتقسيمها إلى لوحات أو أجزاء أو أقسام، وعدّ القصيدة حدثا كلاميا يتشكل من فعل كلامي نواة أو بؤرة يتم إنجاز هذه البؤرة عن طريق إنجاز أفعال كلامية أخرى تربطها علاقة ما به، وسنتناول نموذجا صرح في ملفه السياقي بالفعل البؤرة.

قال تميم مادحا سيد البرية.

ما لي أَحنُّ لمن لَم أَلْقَهم أَبدا ويملكُونَ علَيَّ الرُّوح والجسدا

إني لأعرِفُهم من قَبْلِ رؤيتهم والماء يعرِفُه الظَّامي وما وردا

يبدأ النص بتوجيه الخطاب من ذات المتكلم الشاعر (أنا) إلى ذات غير محدّدة يشير إليها بالضمير (هم) ضمير الجمع الغائب الذي وإن كانت دائرته واسعة الغموض في بداية القصيدة إلاّ أنّها تذهب نحو التحديد شيئا فشيئا حتى نصل إلى البيت السابع والعشرين حين يصرح الشاعر بهذا المخاطب الذي يعنيه وماهيئته بالنسبة له.

فيبدو أنّ مخاطبه شخص واحد لاسيما أنّه يتحدث عن قضية تخص اثنين حيث يذهب المتلقي إلى اعتبار هذا المخاطب (حبيبا) (الشاعر يتغزل) وبمعنى ثان أنّ قصد المتكلم في سياقه التداولي هو أن يسير على نهج أقرانه من الشعراء القدامى في بدأ قصيدته بالحب كما فعل سابقوه - وهذا أجمل القول - (وإني لأجد البرغوثي قد أحسن في مستهل قصيدته بهذين البيتين أيما إحسان وأجاد أيما إجادة)، وقد تنقل البرغوثي في الجزء الأول من القصيدة المتكون من سبعة وعشرين بيتا كشأن سالفيه البوصيري وشوقي تنقل بين الغزل والحكمة والحنين واللوعة بين النظم تارة والإبداع تارة أخرى بأبيات عالية البناء قوية السبك، حتى ختمها بقوله:

علَى النَّبيِّ وآل البيت والشُّهدا مولاي صلِّ وسلِّم دائماً أَبدا

إذ أنّ الشاعر قد اتبع التمويه في خطابه غير أنّ هذا التمويه يختفي بنهاية المقطع إذ يتضح أنّ الشاعر ما كان يتغزل ولا يخاطب محبوبه (المرأة المعشوقة) بل إن مخاطبه هو النبي وآله الأكرمين.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وتعد لعبة إخفاء الأطراف المتخاطبة داخل النص بهذا الشكل هو أول فعل كلامي غير مباشر نقف عنده فلماذا أوهمنا الشاعر في بداية النص أنّه يخاطب حبيبته؟ أيهفو لانجاز فعل بهذا السلوك؟ وما هي القوة الإنجازية لهذا الفعل السلوكي؟

إنّ بنية الفعل السلوكي تتشكل كما يلي:

*أوهمك أني أخاطب محبوبة — أنا لم أوهمك
*موضوع الخطاب مشترك بينهما — الموضوع المشترك
*أن لا أخاطب محبوبة بل أخاطب نبيا — هو الذي أوهمك

إن الموضوع المشترك (أحن ، يملكون علي الروح والجسدا، إن لأعرفهم، الأحباب ،أزداد شوقا إليه...)

وسنَّةُ الله في الاحبابِ انَّ لَهم // // // وجها يزِيدُ وضُوحا كُلَّما أبتعدا

كانَّهم وعدُوني في الهوي صلَة // // // والحرُّ حتِّي اذا ما لم يعدْ وعدا

وقَدْ رضيتُ بِهم لَو يسفكُونَ دمي // // // لكن اَعوذُ بِهم انْ يسفكُوه سدي

يفْتي الفَتي في حبيبٍ لَو دنا ونَاي // // // فَكَيفَ انْ كانَ ينْاي قَبلِ ان يفدا

بل بعدُه قُربه لا فَرقَ بيْنَهما // // // ازْداد شَوقا اليه غَاب اَو شَهدا

اَمات نفسي واَحياها ليقْتلَها // // // من بعد احيائها لَهوا بها وددا...

وهو الذي أدى إلى ظهور احتمال عدم تحديد المخاطب، وأنجز من خلاله فعلا كلاميا غير مباشر يحمل قوة إنجازية إخبارية، مفادها الرسول مثله معنى بالخطاب وتحقق هذا الفعل عبر طريقة بناء النص التي قدمت السؤال وأخفت الأطراف المتخاطبة.

بعد هذا الفعل الكلامي غير المباشر نجد أن الشاعر قد صاغ المقدمة في سلسلة من الأفعال التقريرية الانجازية استهلها باستفهام وهو سلوك آخر يحتاج إلى تأويل.

يشكل أول تساؤل في النص **(ما لي أَحنُّ لمن لَم أَلْقَهم أَبدا ويملكُـونَ علَـيَّ الـرُّوح والجسـدا)** فعـلا كلاميا غير مباشر فواضح أنّنا لا ننتظر جوابا عن ذلك الاستفهام وبالتالي خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لأداء أغراض بلاغية أخرى.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ويفضي التساؤل السابق إلى مجموعة أخرى من الأسئلة نفترض أنّها احتمالات جواب لذلك السؤال (ألا تعرفهم؟!، أم لا تحتاج أن تعرفهم لتحبهم؟!...).

تتضافر هذه الاحتمالات لتبني مرة أخرى فعلا كلاميا تقريريا غير مباشر، فالسامع يفهم من هذا السؤال المطروح والأفعال التقريرية تباعا أن هؤلاء معروفون كأنهم مسلمات ونحن نحبهم مثله كمسلمات حتى إنّنا لا نجد إلا أن نحبهم لأننا نعرفهم كمعرفتنا للماء، ولا يحتاج الماء إلى تعريف ولا دلالة ولا وصف إننا نعرفهم كالماء لأن الماء حياة ولا حياة بلا ماء.

فقد بنيت الاحتمالات التي قدمها هذا الاستفهام وما تلاه من تقريريات توكيدية بشكل حجاجي، يقدم السبب المحتمل للمعرفة فالحنين في شكل استفهام يلغيه إثبات آخر كما في قوله:

(ما لي أَحنُّ لمن لَم أَلْقهم أَبدا) - (إني لأعرفُهم من قَبلِ رؤيتهم)

وقد ولدت طريقة طرحه لهذا السؤال ايقاعا يعمق الحيرة التي خلفها سؤاله. فتجلت صوتيا من خلال التصريع، بوصفه بعدا من أبعاد الموسيقى الداخلية يخلقه تكرار إيقاعيا بين لفظتي(أبدا – الجسدا) وتمددت صورة التأكيد إيقاعيا

(الإثبات) على الخطاب، لكن وفق المحور العمودي كما هو واضح في (الجسدا، وردا، ابتعدا، وعدا...)والذي من المفروض أن يتولّد عنه عند الشاعر فعلا تأثيريا وهو (التشويق) سنعرضه سيرا بأفعال كلامية إنجازية.

إن المستوى الإيقاعي الذي صنعه السؤال مع سلسلة التقريريات سار بوتيرة أفضت إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر نبأ بانقضاء هذه الأفعال التقريرية وقد تحقق هذا على مستويين مستوى أفقي ومستوى عمودي.

مالي أحنّ	إني لأعرفهم	والماء يعرفه الظامي	وما وردا
↓	↓	↓	↓
احتمال جواب	إلغاء الاحتمال السابق	التقدم بالاحتمال	الرجوع بالاحتمال
	↖	↖	↓
	غير كاف	استوعب الزمن الحاضر والمستقبل	إلى زمن الماضي

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فقد تشكلت البنية السابقة من فعل قولي أنتج فعلا كلاميا إنجازيا إخباريا أخذ شكل الاستفهام وتضمن قوة إنجازية إخبارية مفادها حبه لهؤلاء الأشخاص وفناءه في خدمتهم والوفاء لهم.

إن الفعل الانجازي الإخباري والذي تم عن طريق الاستفهام و التقريريات الإثباتية (التوكيدية)، يحمل قيمتين إنجازيتين، القيمة الاستفهامية المتحققة من الشكل، والقيمة الإخبارية المتحققة من التضمين.

إنّ القيمة الاستفهامية تعود للظهور بانتهاء البنية السابقة (المقدمة) بالإجابة عن الأسئلة السابقة:

يفْتى الفَتى في حبيبٍ لَو دنا ونأَى فَكَيفَ إنْ كانَ ينْأَى قَبْلَ أن يفدا
بل بعدُه قُربه لا فَرقَ بينَهما أزْداد شَوقاً إليه غَاب أَو شَهدا
يا لائمي هل أَطَاع الصَّبُّ لائمه قَبْلي فَأَقْبَل منْك اللَّوم واللَّددا
قُل للقُدامى عيونُ الظَّبْيِ تأْسرهم ما زالَ يفْعل فينا الظَّبْي ما عهدا

إنّ الجواب الذي قدمه الشاعر يحمل قيمة إخبارية «**بل بعده قربه لا فرق بينها**» تثبت بموجبها القيمة الإنجازية الإخبارية السابقة (هذه المحبة التي شغفت قلبه وملئت كيانه وتركته صبا هائما أسيرا).إذ يوعز هذه المحبة لهؤلاء في الأسئلة زمن ماضي.إذ القيمة الانجازية الأولى والقيمة الانجازية الثانية تتولد عنهما قيمة تأثيرية وهي قيمة تسويقية تأخذ حضورا استفهاميا في ذهن القارئ مفاده (من هذا المخاطب الذي يستحق كل هذه المحبة دون شروط أن حدود، ثم لماذا هذا الحب لم يتغير من الماضي إلى الحاضر.)

فتنتهي المحطة الأولى وقد أنجز الشاعر من خلالها فعلا تأثيرا تشويقيا يحث على العبث عن إجابة للأسئلة المطروحة، والتي جاءت إجابتها بختام المقطع في قوله:

علَى النَّبيّ وآل البيْت والشُّهدا مولاي صلِّ وسلِّم دائماً أَبدا

ويشكل هذا البيت محطة فاصلة، وهذه النقلة تفضي إلى إنجاز قصد تواصلي هو حسن التخلص من الغزل إلى المديح ومن الغائب إلى الشاهد ومن المجهول إلى المعلوم وهذا مرتبط بالسياق الخارجي للخطاب. إذ اقتضت سلطة التقييم الفني في القصيدة وسيرا على منوال أصحاب البردات السابقة من كعب حتى شرقي، فقد استهلوا القصيدة بالغزل، ثم المدح لتأتي هذه النقلة السريعة تماشيا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ومتطلبات التحول والتغيير التي تقتضيها بناء القصيدة العربية العمودية القديمة، ومن ثم يشكل هذا الفعل الإنجازي جزئية ترفد الحدث الكلامي وتعززه دلالة وتأويلا في سياقه التداولي الخاص. وفي سياق متصل يعد الإعلان عن هوية مخاطبه بنية الخروج أو التخلص والانقطاع، بوصفه قسما من أقسام قصيدة المديح (البردة). ومع انتهاء بيت الغزل يبدأ قسم المدح، وأول ما يميز هذا القسم هو الانفصال الذي يبدو وبينها وبين المحطة السابقة، إذ حشد الشاعر فيضا من المشاعر الإنسانية التي تنبض بالحنين والمحبة والسمو والإخلاص، ويصور تجليات النفس الإنسانية فيرصد أطيافها من سمو ونبل وجمال. ويحث على منظومة من القيم الأخلاقية والاجتماعية، لهذا أشاعت في هذا المرحلة الأفعال الكلامية الإنشائية والطلبية من أمر ونهى ونداء والتي أفادت النصح والإرشاد بهدف تطهير النفس من شوائبها، ولكن ما العلاقة بين الأفعال الكلامية المتتالية التي تشكل مجمعها وحدة أو قسم الغزل وبين بيت المدح؟،

وقبل ذلك كله لنقرأ قول تميم في قسم المدح:

إنِّي لأَرجو بِمدْحي أَنْ أَنَالَ غَـــــــدَاً ... منْه الشَّجاعة يوم الخوف والمددا

أَرجو الشَّجاعة من قَبْلِ الشَّفَاعة إذْ ... بِهذه اليوم أَرجو نَيْل تلْك غَـــــدَا

ولَسْتُ أَمدحه مدْح الملُوك فَقَـــدْ ... راح الملُوكُ إذَا قيسوا به بـــــــددا

ولَنْ أَقُولَ قَوِيٌّ أَو سخيٌّ يـــــــــــد ... من يمدحِ البحر لا يذْكُر لَه الزَّبـدا

ولا الخوارقُ عنْدي ما يميِّـــــــــــزُه ... فَالله أَهدَاه منْها ما قَضَى وهـــدى

لكنْ بِما بانَ في عيْنَيْه من تعبٍ ... أَرادَ إخْفَاءه عنْ قَومه فَبـــــــدَا

وما بِكَفِّيه يوم الحرِّ من عـــــرق ... وفي خُطَاه إذا ما مالَ فَاْستَندَا...

ولا شك في أن قسم المدح هذا والذي يمتد من البيت (28-64) يشكل متتالية أفعال الكلام فيه بنية صغرى، وترتبط هذه الأخيرة مع البنيات الأخرى في الخطاب بعلاقات معينة تؤول إلى حدث كلامي أو بنية تداولية كبرى بوصفها دراسة التنظيم الكلي للتفاعل الاتصالي أي التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلامية والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب.

ولعل ما يشد الانتباه بين لوحتي التغزل والمديح هو فكرة الالتفات من من ضمير المتكلم (أنا) في خطاب الذات الانسانية مموها الخطاب وتوجيهه من خلالها إلى ضمير الغائب (هو) والذي التفت به من متتاليات الأفعال الانشائية الطلبية من أمر ونهي ونداء إلى متتالية من التقريريات

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الاخبارية وفيما يلي توضيح لها: **(مالي أحن لمن لم ألقهم أبدا- فكيف إن كان ينأى قبل أن يفدا- يا ليته لم يجدد منه ما نفذا- يا لائمي هل أطاع الصب لائمه- قل القدامى عندما تدعوك أن تجلي - لتفرحي عندما تدعوك أن تجدي ولتعلمي... ولا تكوني عن الظلام راضية...)**

وحين بدأ في قسم المديح:

(بما تحيّر في أمرين أمته- بما تحمل في دنياه من وجع- تلك التي امتحن الله الخليل بها- بخوفه عن قليل حين أبصره- بما تذكر يوم الفتح آمنة...)

هذه الاختلافات تساعدنا في البحث في الفعل الكلامي المنجز من خلال التصوير القائم على الوصف والقص، إذ يبدأ في قسم المديح تأشيرية دالة على المكان وهي قوله " **بما أتى بيته في الليل مرتعدا**" وتأشيرية الزمان أيضا وحتى وصف الهيئة والحالة... وكشف الأفعال (**بما في عينيه من تعب، بما تحيّر في أمر أمته، بما أتى بيته في الليل مرتعدا، بما رأى من عذاب المؤمنين به، بما بكى يوم إبراهيم مقتصدا، يخفى عن الناس دمعا ليس يرسله...)** عن لون جديد إذ لم يقم بمدح النبي على صفاته أو معجزاته، بل على بشريته وعلى شجاعته، وإنسانيته فكّر من هذا القسم الأكبر من بردته في مدح الانسان النبي قبل النبي الانسان فقد كشف الفعل التقريري التوكيدي في مستهل هذا المقطع عن قصيدته والذي يعتبر فعلا تأثيريا ناتجا عن إنجازية مدحه للرسول صلى الله عليه وسلّم وهو سبيل الشجاعة ثم الشفاعة وهو طموح دنياوي وأخروي في الوقت نفسه.

إنّي لأَرجو بِمدْحي أَنْ أَنالَ غَدَاً مِنْه الشَّجاعة يوم الخوف والمدَدا

أَرجو الشَّجاعة من قَبْلِ الشَّفَاعة إذْ بِهذه اليوم أَرجو نَيْل تلْك غَدَا

ولعل ما ما يشد الانتباه هو أنه عاد بقوة وثبات شعري ملفت للنظر ومستحق للاعجاب ليخبر بكل روعة أن مدح النبي ليس كمدح الآخرين ممن علا شأنهم وسار ذكرهم من العظماء والأمراء والملوك وهذا تحسب له وتشير إلى أنه ذكي الفهم متقد البصيرة وقد يجنح ويزل الشاعر – غير الفطن – إلى مدح النبي كمدح الملوك ويعد ذلك مثلبة على الشاعر ومنقصة في فطنته ونباهته ولله در " الأعشى" حين فطن إلى ذلك بقوله:

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فنزه النبي صلى الله عليه وسلّم عن رؤية البشر كل البشر ملوكها وعظمائها وعباقرتها بقوله " يرى مالا ترون" فجعله في مرتبة لا تدانيها مراتبهم ولعله أشار إلى أن النبي مؤيد من الله من حيث أنّه" لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وكذلك فعل البرغوثي حين قال:

ولَست أَمدحه مدْح الملُوك فَقَدْ راح الملُوكُ إذَا قيسوا بِه بدَدا

وتظهر قصدية الشاعر هنا من خلال هذه الأفعال الكلامية في إحرازه لفعل تأثيري في الملتقى نعم النبي آخر صلة الوحي بين الأرض والسماء، لكنه كان معنا في هذه الأرض، وتحيط بروحه الكريمة نفس اللحم والدم رسول الله خير البشر، الذي حمل همنا من قبل أن نوجد، بل شاركنا فيه وكان مخاض الدعوة عسيرا عليه، منذ أول ضمة لجبريل في حراء وهو يقرئه أول آي القرآن.

بما أَتى بيْته في الليْلِ مرتعداً ولَم يكُن من عظيمِ الخطْبِ مرتعدا

وقَدْ تدثَّر لا يدْري رأَى ملَكاً من السَّماء دنا أَم طَرْفُه شَـــــــردا

فالقصد التواصلي للمنتج هو دفع السامع إلى التوحد شعوريا مع النبي الكريم في مراحل الشدة والجهد إنه فعل تأثيري واضح من تميم إلى هذا المتلقي (الأمة العربية المنكوبة)، أن تحملوا واصبروا وصابرو مهما ضاقت علينا الدنيا والتاريخ بما رحبوا، فحتى المبعوث من رب العالمين ليكون خاتم الأنبياء وآخر عنقود الوحي الرباني، كان بشرا تضيق به الدنيا وتميد ولولا أن ثبته الله لكان في الأمور أمور فكانت بشرية المصطفى هي أميز ما يريدنا تميم أن نلتفت إليه في أيامنا هذه.

وقد سار في قضياه على نهج استراتيجي يفعل بها المتلقي ويجعل منه مشاركا وجدانيا وذهنيا معه عن طريق تراتبية منظمة من البناء تقوم على إثبات قضية ثم نفيها بأخرى أو أخر ومثال ذلك ما أورده في مطلع المقطع الثاني من القصيدة:

ولا الحوارقُ عنْدي ما يميِّزُه	**فَالله أَهداه منْها ما قَضَى وهدى**
↓	↓
القضية	**إثباتها**
لكنْ بِما بانَ في عيْنَيْه من تعبٍ	**أَراد إخْفَاءه عن قَومه فَبدَا**
↓	
إلغاء القضية	

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فقد أثبت قضية مفادها أن الفعل الإنجازي المدح لن تساعده في ذلك تقريريات تقوم على إثبات وتوكيد أفعال النبي الخارقة وبما امتلك من كرامات خصه الله بها دون غيره بل فقط بإنسانيته التي ملك بها عقول العالمين وقلوبهم ماضيا وحاضرا ومستقبلا. فتتابعت التقريريات في ذلك

وما يكفِّيه يوم الحرّ من عرق وفي خطَاه إذا ما مالَ فاستندا

وقْفٌ علَى أيّ أَمرٍ منهما اعتمدا بما تحمَّل في دنْياه من وجعٍ

وجهد كفِّيه فَلْيحمدْه من حمدا بما تحيَّر في أَمرين أُمَّته

بما رأَى ياسراً والسَّوطُ يأْخذُه يقُولُ أَنْت إمامي كُلَّما جلدا

واستشعر قلقه -عليه الصلاة و السلام - على ابن عمه علي الذي افتداه بجسده ونام في سريره ليلة تربص به أعداء السماء والضياء والإنسان وقد استحق علي الذكر الخالد لشجاعته وفدائه وإخلاصه ، ونعم القدرة الحسنة لنا هو ومن على دربه:

بما تردَّد في ضلْعيْه من قَلَقٍ علَى الصَّبيّ الذي في فَوشه رقَـدا

هذَا عليٌّ يقُولُ الله دعه وقَدْ بات العدُوُّ لَه في بابِه رصـــــدا

بدْرٌ وضيٌّ رضيٌّ من جراءته لنومه تحت أَسْياف العدى حلَدا

كما يرتبط تأويل هذا المقطع في طبقة من طبقاته بالسياق الخارجي للقصيدة وقد أنجر بذلك فعلا كلاميا غير مباشر، فقد التف حوله صحب قال فيهم سبحانه ((أشداء على الكفار رحماء بينهم)) نصروه وناصروه وكانوا عزوته و"علي" أحد صحبه وأبو بكر كذلك وكان لكل منهم صنيع يجهله من المبشرين بالجنة.

ويمكن أن تسفر على هذه الأفعال فعل تأثيري قصد إليه شاعرنا من خلال ضرب الأمثال فرجل الدولة كان حوله رجال من خيرة البشر رجال ضحوا بأنفسهم في سبيل أن ينصروا سيدهم، إنه-تميم البرغوثي- يعلم متلقيه بأفعال غير مباشرة وينير لهم سبل رشادهم ورشاد أمتهم.

ومن ثمة أصبح صحبه في ثنايا مدحه وسيلة لإنجاز فعل مساعد لانجاز الفعل الأكبر والشامل .ولا يمكن بأي حال من الأحوال غض الطرف عن فعل يبدو لأول وهلة فعلا ثانويا أو مغمورا؛ لكن التأمل وإعمال النظر في القصيدة تقضيان إلى الكشف عن أهميته، ولقد جرت عادة الشعراء في قصائدهم التوجه إلى أقرب الأشياء والأشخاص وحتى الأماكن إلى قلب الممدوح والمتوجه إليه بها لإعلاء شأن الممدوح وتعظيمه من جهة ولنيل الرضى والحظوى ونيل المطالب من جهة ثانية ،لتشكل

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ضمنا فعلا كلاميا غير مباشر يدل على مكانة الممدوح ومنزلته في قضاء الحوائج لكن ما تقرأه هنا يلفت نظر السامع أو القارئ لأن الشاعر أسبغ صفات الممدوح على صحبه ورفاقه فهو القلق عليهم في حين هم البدر والضياء و...،إذ يجعل من ممدوحه صاحب الأفعال الإنجازية فهو المنتج لها.

وهذا الخرق لأفق القارئ ينسجم مع دلالة فعل التغيير و التجديد التي لطالما راح يجسدها الشاعر لأجل -كما ذكر في سياق خارجي عن القصيدة- أنه يبغي بمعارضته هذه التفرد والتميز طمعا في ألّا يكون واقعا في التقليد والركاكة ثم لإثبات مقدرته الابداعية كشاعر يسعى إلى إثبات وجوده وشاعريته كتميمة للشعر العربي المعاصر.

فشاهد ثباته مصورا في غار (النبي) ، وتثبيته لرفيق هجرته وليس بينهما وبين أنصال المشركين إلا أوهن البيوت وحمامتين!

بِما أنْتحى لأبي بكْرٍ يطَمئنُه وحولَ غَارهما حتَّى الرِّمالُ عدى

يقُولُ يا صاحِ لا تحزنْ ودونَهما علا لأَنْفَاسِ خيْلِ المشْرِكين صدى

وفي هذا السياق يضرب الشاعر في صميم ما يريد ويتحقق بذلك إنجازية أفعاله ويكشف عن مقصده بجلاء يفصح أن جوهر رسالة المصطفي - صل الله عليه وسلم- هي تكسير كل القيود على القلوب ،والعقول والأجساد ،وتثبيت حرية الناس ،مهما كلفتهم هذا الغاية النبيلة من جهد وصبر... وهو القصد المركزي في بردة تميم رغم تعديد المقاصد فيما أنجزه من أفعال صغرى ومساعدة وسيكون هذا القصد هو أساس الجزء القادم من رحلتنا من البردة وتصلح أن تكون هي عنوانها الفكري الأبرز.

صرنا أقرب إلى الفعل الشامل والمنجز من خطابنا هذا ، وحين ولوجنا إلى المقطع القادم من البردة (65-85) تكشف الأفعال الكلامية الأولى والتي استهلها بـ :

لنا نَبيٌّ بنَى بيْتاً لكُلِّ فَتى منَّا وكُـــــلَّ رضـــيعٍ لَفـــــَّه بردا

وكُلَّ عرسٍ أَتاه للعروسِ أَباً يلْقي التَّحيَّة للأَضْيـــــاف والوسدا

وكُلَّ حربٍ أَتاها للورى أَنَساً واسْتعرضَ الجنْد قَبْلَ الصَّفِّ والعددا

ونلاحظ تواصل فعل المدح في هذا المقطع والتركيز على الممدوح بشكل استثنائي ولكننا نقف على تأثيرية أفعاله حيث يظهر مع بداية هذا المقطع العلاقة بين النبي " ونحن" بـ(لنا ،منا...) إنه يعدد فضائل هذا النبي الكريم علينا على " أمته" إنه يصل الماضي بالحاضر وفي هذا إماءة إلى قصده

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

من خلال جعل فعل النبي متواصل القوة الإنجازية و التأثيرية حتى اليوم إن ما فعله النبي بالأمس مازال يفعله حتى اليوم. إن أخلاقه أخلاق نبوة سامي فيها رتبة الكمال الإنساني إنه تحيط وتحتوي حياة أمته في معاملته للمسلمين في تفاصيل الحياة اليومية عبر سلسلة من متتاليات الأفعال الكلامية التقريرية وإن اعتراضها فعلين طلبين تخللا المقطع بقصد إثارة انتباه المتلقي وجعله يتفاعل وجدانيا والخطاب.

يا داعياً لم تزلْ تشْقَى الملُوكُ به والعبْدُ لَو رُزِقَه في حلْمه سعدَا

يا مثْلَه لاجئاً يا مثْلَه تعباً كُنْ مثْلَه فَارِساً كُنْ مثْلَه نَجدَا

وهنا ينتظر المرسل من المرسل إليه نتيجة ،ورد فعل لإتمام انجازية الفعل وهي إمكانية أن يصبح كل منا نبيا مثله، إن فينا نبيا مثله، كل فرد منا يوجد فيه نبي .

ثم تتوالى إنجازيه الأفعال التي يقوم بها الممدوح "النبي" من معاملات إنسانية اجتماعية ومساعدات وصنيع يؤثر مع الأعداء .فقد تضافرت هذه الأفعال التقديرية من إخباريات على مدار أكثر من ثلاثين بيتا لتنجز فعلا قوامه الوقوف على المفاصل الرئيسية للسيرة النبوية العطرة، وما رافقتها من أحداث جسام وقعت للنبي نفسه، والمحن التي عانى منها صحبه ، فالمقطع مديح نبوي وسجل تاريخي للتحديات التي مر بها النبي وأصحابه قبيل هجرتهم من مكة إلى المدينة.

متتاليات الأفعال هنا اقتضت الإفضاء إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية الإخبارية بنيت على التصوير والتشخيص .فاستهله بتبيان قصده والإفصاح عن ممدوحه والإشهار بفعله الانجازي الذي هو المدح ثم تصنيف طبيعة هذا المدح وكيفيته عبر مفاصل تاريخ النبي قبل بعثته نبيا وأثناءها وما مر عليه من محن وخطوبه والمسلمين وهم معه. بما اقتضته مراعاة المحصول على القوة التأثيرية.

إن الحبيب الذي كان وسيلة إنجاز الفعل الكلامي السابق هو وسيلة لإنجاز فعل المدح الذي تمازج مع انجاز فعل التأريخ في هذا المقطع .

وقد أحل الشاعر الممدوح مكانة جديدة لم تألفها السنن المدحية في القديم بمدحه كإنسان إذ قدم صورة عن الرعيل الأول من المسلمين كانوا نماذج في الصبر على البلاء والعذاب في سبيل اعتقادهم ، وكان النبي الكريم قدوة صبرهم على بلائهم أمام ناظريه، وهو المحب المشفق الرقيق .

بِما رأَى من عذَابِ المؤْمنين به إنْ قيل سبُّوه نَادوا واحداً أَحدَا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

يكاد يسمع صوت العظْمِ منْكسراً كأَنَّه الغُصْنُ من أَطْرافه خضدا
بما رأَى ياسراً والسَّوطُ يأْخذُه يقُولُ أَنْت إمامي كُلَّما جلدا
أَنْكرت أَرْباب قَوم من صناعتهم وربَّما صنَع الإنْسانُ ما عبدا
ورحت تكْفُر بالأصْنامِ مهتدياً من قَبْلِ أَنْ ينْزلَ الله الكتاب هدى

إلى المقطع الرابع (86-107) من الغار (المكان)الذي نزل فيه الوحي يتخذه الشاعر نقطة انطلاق لتصوير الفتوحات الإسلامية التي وصلت أوربا في قوله:

من قَبْلِ أَنْ ينْزلَ الله الكتاب هدى وكلَّ صوت كريم بالأَذَان شدا

ويظهر في المقطع ارتداء زمني حينما يصور الشاعر معجزة الإسراء المعراج ، ما تشتمل عليه من إشارات تدل على التعالق الديني بين القدس والنبوة ويدل ما تقدم أن الشاعر لم يلتزم تسلسلا زمنيا في عرض السيرة النبوية وفي المقطع الرابع

(87-187) يسهب الشارع بوصف الروح الجهادية الإسلامية ويضمر وصف البطولة الخارقة والتضحيات الشامية وأخلاق الفروسية مفارقة مؤلمة بين الدور الريادي العقائدي للجيش الإسلامي ، والواقع المثقل بالانكسار والتقاعس جيوش الأنظمة العربية:

يلْقي السِّهام ولا يلْقي لَها اثرا // // // تظُنُّ اصْواتها في درْعه البردا
كأَنَّما روحه دين يؤَرِّقُه // // // في الحربِ من قَبْلِ تذْكيرٍ به نَقَدا
تُنازِع السَّهم فيهم نَفْسه وجلا // // // والرُّمح يعسل حتَّي يسئر الزِّعدا
والسَّيفُ يشْهر لَكن وجه صاحبه // // // منبِّئ انَّه ما زالَ منْعمدا
لو امسكُوا بِقَميصِ الرِّيحِ ما برِحتْ // // // او اظْهروا برما بالتَّل ما وطَدا
وهم ارقُّ من الانْسامِ لَو عبروا // // // مشْيا علَي الماء لَم تُبْصر به جعدا
ولَو يمسُّونَ محموما ابلَّ بهم // // // و الحزْنُ جمر اذا مرُّوا به بردا

وفي المقطع الخامس (132-146) يشرع في طلب الاستغاثة والنجدة من الرسول الكريم ، وفي الاستغاثة تكمن تفاصيل المعاناة التي يختار الشاعر السكوت عنها أبلغ الذكر ، والنص المسكوت يفهم السياق .

قَالُوا محمَّدُ قُلْنا الاسم مشْتهر // // // فَربَّما كانَ غَيْر المصْطَفي قُصدا
فَحين نَادي المنادي ' يا محمَّدُ ' // // // لم يزِدْ علَيْها تجلِّي الاسم واتَّقدا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

حرفُ النِّداء أسمك الاصليُّ يا سندا // // // للمستغيثين لَم يخذلْهمو ابدا
والظَّنُّ انَّا لتكْرارِ أستغاثتنا // // // به تكرَّر فينا الاسم وأطَّردا
انْت المنادي علَي الاطْلاق و السَّنَدُ // // // المقْصود مهما دعونا غَيْره سندا
مددْت من فَوق اهْلِ الله حيْمته // // // في كُلِّ قُطْرٍ عقَدْت الحبْل والوتدا
يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سندي // // // اقَمت بِاسمك لي في غُربتي بلَدا

كما يستعرض في المقطع السادس (147-172) أبرز الأحداث السياسية التي وقعت في عصري البوصيري وأحمد شوقي بهدف المقاربة بين فضاء الأحداث السياسية والحالة النفسية بين الشعراء الثلاثة .

وهنا يظهر فعل الهجاء بوضوح لتستولي أفعاله المساعدة على المقطع ولتتوضح رؤيا الشاعر بشكل أبرز فإنجازية المدح ليست سوى سبيل للتحدث عن هذا الوضع المشين اليوم لحكامنا سليلو الخلافة المحمدية:

هي الحراب وانْ رفَّت بيارقُها // // // ونَمَّقُوا دونَها الاعْتاب والسُّددا
انَّ الزَّمانَيْنِ رغْم البعد بيْنهما // // // تطَابقًا في الرَّزايا لُحمة وسدي
و الجوح في زَمني ما كانَ منْدملا // // // حتَّي اقُولَ أسْتجدَّ الجوح او فُصدا
مالَ النَّخيلِ علَي الزَّيْتون مستمعا // // // ليكْملِ السَّود منْه كُلَّما سردا
يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سندي // // // هذا العراقُ وهذا الشَّام قَدْ فُقدا
لَو كانَ لي كتدٌ حمَّلْته ثقَلي // // // لكن بِدَينٍ فَقَدْت الظَّهر و الكتدا
يا جارِي الغَار اعْلَي الله قَدْرِكُما // // // عييت بعدَكُما ان أحصي الرِّددا
لَنا ملُوكٌ بِلا دينٍ اذا عبروا // // // في جنَّةٍ اصْبحتْ من شؤمهم جردا
انْيابهم في ذَوِي الارْحامِ ناشبةٌ // // // وللاعادي أبتسام يظْهر الدَّردا
لا يغْضَبونَ ولا يحمي لَهم حرمٌ // // // وانْ تكُن دونَهم اسْيافُهم نَصَدا
ويستلذُّونَ تعذيب الغُزاة لَهم // // // انَّ المحبَّ يري في ذُلِّه رغَدا
حمَّي الزَّمان اذا ماتوا اوِ ارْتحلُوا // // // تنَفَّس الصُّبْح في علْيائه الصُّعدا
ولا يموتونَ مثْل النَّاسِ يشْركُهم // // // ريب الزَّمان ويفْني قَبْلَهم لُبدا
ما للغَزال تُخيفُ الذِّئب نَظْرته // // // وللحمامِ يخيفُ الصَّقْر و الصُّردا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

وفي المقطع الأخير (173- 200) يقارب بين محنة الرسول الكريم ومحنة الفلسطيني ، ثم يعود مكررا الشمائل المحمدية ، والاستغاثة بالرسول الكريم.

ليكون هذا الفعل الأخير هو الفعل الذي طغى على القصيدة حتى ارتسمت به:

يا جابِرِ الكسرِ منَّا عنْدَ عثْرتنَا // // // وانْ رأيت القنَا من حولنَا قصدَا

يا مثلَنَا كُنْت مطْرودا ومغْتربا // // // يا مثلَنَا كُنْت مظْلُوما ومضْطَهدَا

يا موجع الصُّبْحِ كالمهرِ الحرون الي // // // مكانه من زمان لَيْلُه رِكدَا

ويا يدَا حولَنَا دارتْ ثُعوّذُنَا // // // من بطْنِ يثْرِب حتَّي الابعدين مدي

ادرِكْ بنيك فَانَّا لا مجير لَنَا // // // الا بِجاهك نَدْعو القادرِ الصَّمدَا

ويتضح مما سبق أن القصيدة بتنوع أغراضها وتعددها تشكل أفعالا إنجازيه جزئية يستقطبها الفعل البؤرة لتنتهي القصيدة لبناء فعل كلامي ما ،ولا يمكن لهذا الفعل أن يتحقق دون أجزائه .فالشيء الذي حقيقته الترتيب إذا زال عنه الترتيب لم يفعل فعله ، وذلك لأنه إنمايفعل فعله لأنه كل ويكون الكل شيئا محفوظا بالأجزاء .

فقد ضمت البردة حدثا نصيا واحدا وهو الفعل الإنجازي الكلي للقصيدة وهو الغوث (الاستغاثة بالنبي والالتجاء إليه حنينا وتبركا لرفع الغيم عن سماء الأمة) رغم تعدد الأفعال المساعدة فقد **تضمنت القصيدة هجاءاً ورثاء واستغاثة ورجاء ومدحاً وحبًّا.**

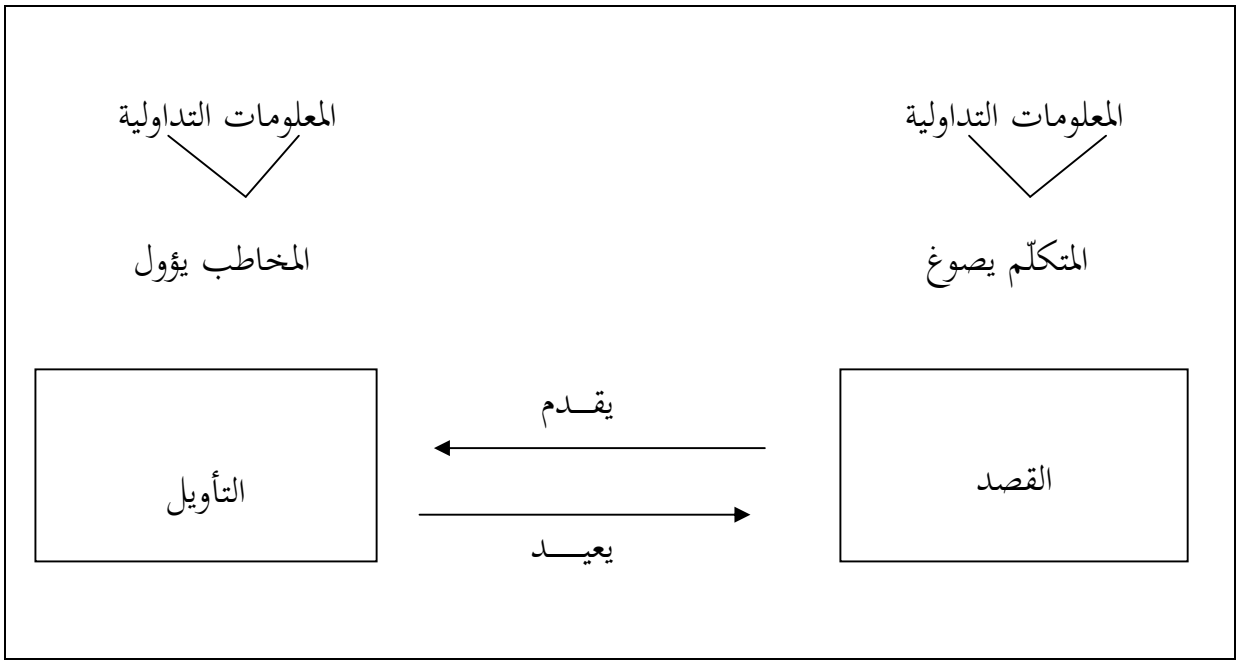

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

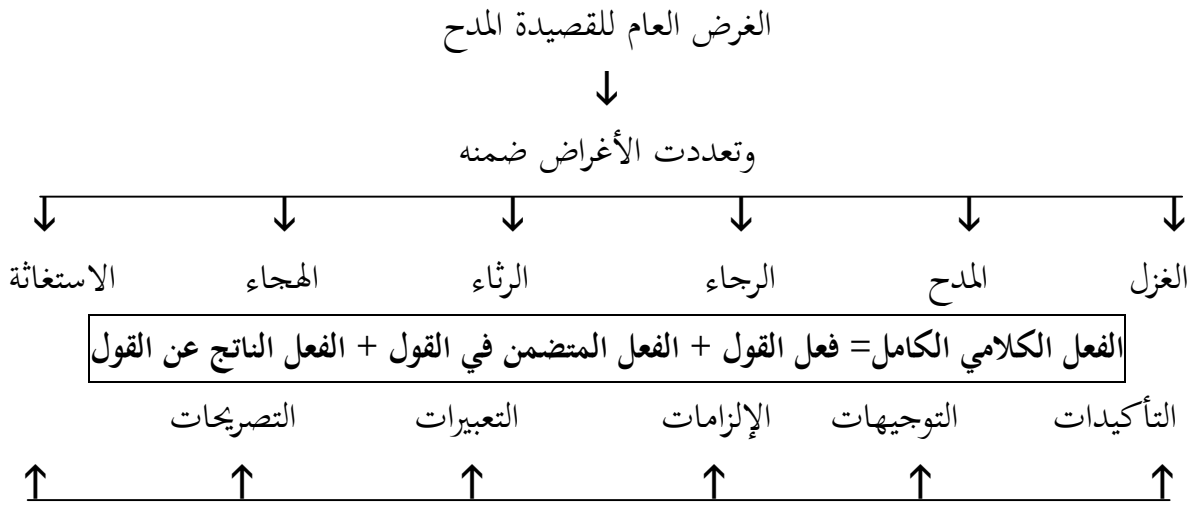

والفعل الشامل للقصيدة هو الاستغاثة –طلب المدد-

***- ونوضحه بأمثلة في الجدول الآتي:**

الفعل الإنجازي الشامل	الأغراض المساعدة	الأمثلة
أدركْ بنيك فإنَّا لا مجيرَ لَنا // // // الا بجاهك نُدعو القادر الصَّمدا	الغزل	ما لي أحنُّ لمن لَم ألْقهم أبدا // // // ويمْلكُونَ عليّ الرُّوح و الجسِدا اني لاعرفُهم من قبلِ رؤيتهم // // // و الماء يعرفُه الظَامي وما وردا وسنَّة الله في الاحباب انَّ لهم // // // وجها يزيد وضُوحا كُلَّما ابتعدا
	الرجاء	انِّي لأوجو بمَدْحي انْ انَالَ عَدا // // // منْه الشَّجاعة يوم الخوف والمددا
	المدح	شيخ يثرب يهوانا ولَم يرنا // // // هذي هداياه فينا لَم تَزلْ جددا يُحبُّنا ويُحابينا ويرحمنا // // // ويمْنح الاضْعفين المنْصب الحتدا
	الرثاء	يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي // // هذا العراقُ وهذا الشَّام قد فُقدا هي الطُّلولُ وانْ اسْميتها دولا // // // هي القُبور وانْ أثَّثتها مهدا هي الخراب وانْ رفَّت بيارقُها // // // وتَمَّقوا دونُها الاعتاب والسُّددا
	الحكمة	والكُفْر انْجع ما تأتيه من عملٍ // // // اذا رأيت ديانات الورى فُندا تعلق المرء بالآمال تُكْذبه // // // بيع يزيد رواجا كُلَّما كسِدا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

		يا نَفْسِ كُونِي من الدُّنْيا علَي حذَرٍ // / فَقَدْ يهونُ علَي الكَذَّابِ انْ يعدا
	الهجاء	لَنا مُلُوكٌ بِلا دينٍ اذا عبروا // // // // فِي جنَّةٍ اصبحت من شؤمهم جردا انْيابهم فِي ذَوي الأوحامِ نَاشبةٌ // // // // وللاعادي ابتسام يظْهر الدَّردا لا يعْضَبونَ ولا يحمي لَهم حرم // // // // وانْ تُكُن دونَهم اسيافُهم نُضَدا
	الشكوى	من للغريبِ اذا ضاقَ الزَّمانُ بِه // // // // وطَاردته جنُود الدَّهر فانْفردا لَو كانَ لِي كتدٌ حمَّلْته ثقلي // // // // لكن بِدَينٍ فَقَدْت الظَّهر و الكتدا ' يا جارِي الغار اعلَي الله قدْرِكُما // // // // عييت بعدكُما ان أُحصي الرِّددا
	الاستعطاف	يا جابِر الكسرِ منَّا عنْد عثرتنا // // // // وانْ رأيت القَنا من حولنا قصدا يا مثلَنا كُنْت مطْرودا ومعْتربا // // // // يا مثلَنا كُنْت مظْلُوما ومضْطَهدا
	الاستغاثة	يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي // // // // اقْمت بِاسْمك لِي فِي غُربتِي بلَدا ادركْ بنيك فَانَّا لا مجير لَنا // // // // الا بجاهك نَدْعو القَادِر الصَّمدا

الفعل الإنجازي الكلي للقصيدة:

تقوم مجمل الأفعال الكلامية في قصيدة تميم البرغوثي على قوة إنجازية كلية وهي طلب المدد من الرسول صلى الله عليه وسلم فحين انقطعت به سبل الأرض رفع يديه إلى السماء مستعطفا الله بيديه صلى الله عليه وسلم وقد عكست ذلك القصيدة إن هناك علاقة وطيدة بين البنية الخطية المستقيمة والبنية المتوالية للنص وبين البنية الخطية للسياق نعني بين متواليات الجمل ومتواليات إنجاز الفعل الكلامي ولذلك كان الفعل الكلامي النصي المسيطر هو (الفعل التقريري) ويتضح ذلك من خلال مقاطع القصيدة من بدايتها حتى ختامها.

وهي كلها أفعال كلامية (تقديرية) وردت في اتساق خطابي تراتبي يخدم تنامي الأفعال الانجازية الكلية التي يريد أن يثبتها الشاعر، وهي بث الطمانينة في كل لاجئ وكل مهاجر وكل مظلوم وكل منفى وكل غريب عن قومه وبعيد عن وطنه مهما كان ما يعصف بنا، إن الرسول الكريم معنا.

ولخدمة هذه القوة الانجازية الكلي ساق مجموعة من الأفعال الكلامية المساعدة على تحقيق القوة الانجازية الشاملة للقصيدة.

منها: الأمريات: والغرض الانجازي منها هو السمو بالفضائل الإنسانية إلى مرتبة الكمال وحمل النفس على ما يزينها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ونجد هذا النوع من التصنيفات في مستهل مقاطع النص، فالقوم موجه إلى الذات الإنسانية لترتقي إلى عتبة المثالية.

ولْتقْدمي عنْدما تدْعوك أَنْ تجلي ... فَالخوفُ أَعْظَم منْ أَسْبابه نكَدا

خطَى الأكارم حتَّى يعرفُوا السَّدَدا ... فإنَّها لا تُساوِي المرء أَنْ يجدا

ولْتعلَمي أَنَّه لا بأْس لَو عثرتْ ... لْتفْرحي عنْدما تدْعوك أَنْ تجدي

وتكون الاستجابة للأمريات بالامتثال أو الامتناع والذي يقضي به فعل شيء، ما ويعد من المدعمات للفعل الانجازي، - النداء- وهذا ما نجده في قوله:

يا نَفْسِ كُوني منَ الدُّنْيا علَى حذَرٍ ... فَقَدْ يهونُ علَى الكَذَّابِ أَنْ يعدا

وفي مثل قوله:

يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي ... أَقَمتْ بِاسْمك لي في غُربتي بلَدا

يا مثْلَنا كُنْت مطْروداً ومغْتربِاً ... يا مثْلَنا كُنْت مظْلُوماً ومضْطَهدا

ونلاحظ الحالة النفسية المصاحبة لهذه الأمريات فهي تنم عن قهر وحزن مكبوت عظيم إحساسا بالذلّة والاضطهاد والظلم.

- **التقريريات، أو الإخباريات:**

والغرض الانجازي فيما نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تحمل الصدق أو الكذب.

وضمن هذا الصنف في القصيدة نجد الشاعر يخبرنا عن السيرة النبوية العطرية للرسول منذ بعثته وما عاصر من محن وأحدث وخطوب وصنيعه مع قومه وأهله وأمته ظل فينا حق اليوم:

لَنا ملُوكٌ بِلا دينٍ إذا عبروا ... في جنَّةٍ أَصْبحتْ منْ شؤمهم جردا

أَنْيابهم في ذَوِي الأَرحامِ ناشبةٌ ... وللأَعادي ابْتسامٌ يظْهِر الدَّردا

لا يغْضَبونَ ولا يحمى لَهم حرمٌ ... وإنْ تكُنْ دونَهم أَسْيافُهم نَصَدا

وغرضه من هذا الوصف الشكوى إلى الرسول من حالنا السياسي اليوم في الوطن العربي واستحال إلى جاهلية وظلم وحده القادر على تخليصهم من شؤمها.

وكلها أفعال إنجازية مساعدة تخدم وتؤكد دائما الفعل الانجازي الشامل الذي تقوم عليه القصيدة.حيث سيقت في تفاعل تواصلي ذي غرض انجازي محدد من الـ(أنا) المخاطبة وتمثل الذات

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الإنسانية المظلومة،الغريبة، اللاجئة... إلى (أنت) المخاطب، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي السلم والغوث والمدد وبالتالي تحقيق النصر.

وقد قام الفعل الكلامي النصي للقصيدة على سمات خاصة أفصحت عنها أشكال وروابط الاتساق وتوزيع أصناف الأفعال الانجازية وتواليها. ندرك ذلك من خلال تراتبية انبنت في مجمل الأفعال الكلامية، والتي ظلت مرتبطة بمقتضيات الفعل الانجازي الكلي فالشاعر منذ البداية ساق مجموعة من (الفعال الكلامية التقريرية) التي تثبت أنه ليس لهؤلاء المظلومين والمنكل بهم من منفيين ولاجئين عزل سوى عطف السماء ،وليس لنا سواه وسيلة بين الضعفاء واللاجئين عليه أزكى الصلاة والتسليم، فمنذ بعثته كان القلب الحاني على قومه، الجامع لهم الموحد صفوفهم القلق على حالهم الداعي لهم و الهادي.فقد كان مثلهم لاجئا ضعيفا مطروداً مظلوماً ثم انتصر.

ثم ساق أفعالا تقريرية أخرى أكد بها الشاعر على مدى الترابط بين حالهم اليوم وحال الأمة زمن رسولها وحالها زمن البوصيري وشوقي وربطها بالوضع السياسي لأمته وتاريخها الحافل بالمحن والخطوب.

فالشاعر من بداية القصيدة يريد أن يقدم من الشواهد والمبررات ما يعزز مدحه وواسطته وعلى هذا الأساس ظل يشرح ويوضح الحالة النفسية له، ومنه لكل غريب مثله ومظلوم والذين يشار كونه في الشعور نفسه بتوظيف أفعال كلامية مساعدة تخدم الوظيفة وتدعمها.

من للغَرِيبِ إذا ضَاقَ الزَّمانُ بِه ... وطَارِدتْه جنُود الدَّهرِ فَانْفَردا

أَنْت المنَادى علَى الإطْلاق والسَّنَدُ ... المقْصود مهما دعونَا غَيْرهُ سنَدا

يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي ... أَقَمتُ بِاسْمك لي في غُربتي بلَدا

يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي ... هذا العراقُ وهذا الشَّام قَدْ فُقدَا

يا جابِر الكسرِ منَّا عنْد عثْرتنَا ... وإنْ رأَيت القَنا من حولنَا قصدَا

يا مثْلَنا كُنْت مطْروداً ومغْتربِاً ... يا مثْلَنا كُنت مظْلُوماً ومضْطَهدا

ياربِّ وأجعلِ من الحَسْمِ البِداية ... وانْصرنَا وهيِّء لَنا من أَمرِنَا رشَدا

وفي هذه الإنشائيات والطلبيات مكمن الفعل ولأجله انبنى القصد والتأثير ومنه الانجاز والتأويل.

فالقصد التواصلي للمنتج هو التضرع والشكوى والاستعطاف بقصد إنجاز فعل الإغاثة والمدد عن طريق المدح وإظهار الضعف والذلة والبكاء.

ويمكن رصد تلك الأنماط، بالشكل التالي:

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- تتمحور أبيات هذه القصيدة كلها بوصفها حدثا كلاميا حول موضوع الإغاثة والاستنجاد.

- بمثل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه القصيدة الفعل المساعد كونه أداة أو وسيلة يستعين بها المتضرع إلى الله لانجاز فعل الغوث والمدد- وهذا ما صرح به الشاعر حين قال:

أَدرِكْ بنيك فَإِنَّا لا مجير لَنا إلا بِجاهك نَدْعو القَادر الصَّمدا

- إن المحتوى القضوى لهذا البيت هو إقرار الشاعر بفعل الغوث بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه ذو المكانة والشفاعة وحبيب الرمان، وتفيد حرف الباء في قوله بـ (جاهك) معنى الاستعانة، ولعل الدلالة القصدية للمت كلم من (القادر الصمد) أنّه وحده القادر على إغاثتهم والصمد القائم على أمرهم.

- المكون الوصفي (المدح) الواردة في أغلب أبيات القصيدة والذي يشتمل على صفاته الإنسانية وشمائله المحمدية وخلاله الكريمة. كل هذه الصفات تختزل وتصنف تحت الفعل التمهيدي ذي القيمة الإخبارية والقصد منها إبلاغ السامع أو المتلقي بأن النبي من أنفسنا ولأنه كان عزيزاً عليه ما عنتنا ولأنه كان حريصا علينا ولأنه فأل هذه الأمة الحسن، فكان متعبا مثلنا ومظلوما مثلنا، ومكذبا ومكذوبا عليه مثلنا ثم انتصر.

- يؤدي الفعل المساعد (مدح الرسول) متتالية من الأفعال الانجازية لتكون الحدث المركب "غوث النبي" بواسطة سلسلة من الأحداث التي تعقب بعضها زمانيا بالصورة الآتية: بعثته، خلاله مع قومه، محنته وأمته...

إذن شكلت هذه المتوالية من الأفعال صورة أو حدثا انجازيا أكبر هو الغوث طلب المدد من النبي.

- تصور الأشطر الأخيرة من القصيدة نهاية المدح والفعل القولي (هذه بردة أخرى قد ختمت) (يا رب واجعل الختم البداية) أنتج فعلا كلاميا إنشائيا وتضمن دلالة قصدية مفادها انتظار النصر والوعد.

-ترتبط الأقسام السبع للقصيدة (التغزل أو التمهيد، البؤرة المدح، الاستغاثة النهاية أو الخاتمة) بعضها مع بعض بعلاقات.

ومن هنا نستشف أن تميم لم يمدح النبي لأجل المدح فقط ولا طمعا في الشفاعة فحسب بل كمدد وغوث كما فعل سابقوه لتشابه النكبات بين الأزمنة.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

إذن تتضافر الأجزاء لانجاز فعل بالقصيدة قد يكون مدحا أو هجاءا أو شكوى كما يمكن للقصائد أن تنجز أفعالا أشد خطورة ، فقد تذكي نار الحرب وقد تصنع أوزارها وقد تعمل القصائد على استصدار أحكام من هيئات تنفيذية أو قد تلغيها.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

خاتمـــة

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

أسفرت هذه الدراسة التي راحت تبحث في تجليات السياق التداولي في قصيدة تميم البرغوثي " البردة" على جملة من النتائج نوجزها في النقاط التالية:

- تعد نظرية السياق حديثة النشأة عند الغرب، لكنها كفكرة تنبه إليها العرب قديما وظهرت خاصة في جهود المفسرين والأصوليين واللغويين.

- ينقسم السياق إلى قسمين: السياق اللغوي والسياق غير اللغوي الذي يعني ما يحيل على خارج النص أو ما حوله من مؤشرات بيئية (تاريخية ، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، نفسية) من الممكن أن تنعكس على النص فيصطبغ ببعض ألوانها.

-يعتبر السياق أحد أهم المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال.

- يهتم الحقل التداولي بالبعد الاستعمالي والإنجازي، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمخاطب والسياق وما يقوم من تواصل وتفاعل بين هذه الأركان ووصف جدي لآليات هذا التواصل في الخطابات.

-يقسم بعض العلماء التداولية إلى ثلاث درجات تتحدد على أساس درجة اشتغالها بخاصة تداولية الدرجة الثالثة (أفعال الكلام) التي تقوم على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها بحيث يؤدي السياق دورا هاما في كشف مقاصد التلفظ بالخطاب وتوضيح نواياه الظاهرة والخفية من أجل إفادة السامع معنا يتوخاه من خطابه.

-يشتغل السياق التداولي على تأويل النص كفعل كلامي أو كسلسلة أفعال كلامية.

-ينظر السياق التداولي في كل العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد بدقة مناسبة أفعال الكلام.

- السياق مفهوم فعال عند فانديك فهو لا يضم كل عناصر الموقف التواصلي بل تلك فقط التي لها تأثير في النص بوجه من الوجوه.

-أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري فهو يطمح إلى أن يكون فعلا كلاميا ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما.

- الأفعال اللغوية أفعال إرادية، إذ يقصد المرسل إنجازها، ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد. ويمكن أن يضاف الشرط التفاعلي، لتصبح أفعال الآخرين اللغوية التي يشاركون بها في السياق التواصلي.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

- الأفعال الكلامية أفعال قصدية، غير أن قصديتها لا تتعين إلاّ من السياق الذي ترد فيه وكل ذلك يكرس الارتباط الوثيق بين الفعل الكلامي والواقع.

- التفاعل في جوهره واقعة تقتضي وجود واقعتين، التكلم والسماع ومنهما تتنامى أشكال التخاطب والتفاهم بين طرفي التواصل وتداعيات هذا التفاعل هي التي تتحكم في طبيعة الفعل الكلامي وطرائق تحقيقه إذ بطريقة مؤدية أو غيرها، أو بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

- غاية الفعل الكلامي تغييره حال المتخاطبين.

-تبقى إنجازية الفعل الكلامي مرهونة بالسياق التداولي الذي يعد المرجعية التي تستمد من خلاله القوة الإنجازية المعينة مشروعيتها من جهة وحدثيتها من جهة أخرى.

- تتنوع قوانين تأويل الفعل الكلامي والسر في ذلك يعود إلى التنوع الثقافي والاجتماعي الذي يطبع أفراد البيئة اللغوية المعينة، إذ لا يمكن أن يكون لهم نفس الكفاءة التداولية لأن هذه الأخيرة تختلف حسب طبيعة المتكلم والمتلقي على السواء ومستواهم البلاغي والاجتماعي والثقافي أيضا .

-ضم الحدث الكلامي أفعالا إنجازية مباشرة وغير مباشرة، إلى جانب أنماط مختلفة من الأفعال القصدية والبسيطة والمعقدة، ومن ثمة لم يكن المرسال (تميم البرغوثي) مجرد شاعر يقولب الألفاظ والتراكيب في صور بيانية بل انتبه إلى أهمية الملفوظ في سياق معين بغية الوصول إلى مقاصده.

-تستقطب القصيدة بتنوع أغراضها وتعددها (تشكل أفعالا إنجازيةجزئية)الفعل البؤرة لتنتهي القصيدة ببناء فعل كلامي محدد،ولا يمكن لهذا الفعل أن يتحقق دون أجزائه .فالشيء الذي حقيقته الترتيب إذا زال عنه الترتيب لم يفعل فعله ، وذلك لأنه إنمايفعل فعله لأنه كلٌ ويكون الكل شيئا محفوظا بالأجزاء.

- يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه القصيدة الفعل المساعد كونه أداة أو وسيلة يستعين بها المتضرع إلى الله لانجاز فعل الغوث والمدد.

- المكون الوصفي (المدح) الواردة في أغلب أبيات القصيدة والذي يشتمل على صفات النبي عليه أزكى الصلاة والتسليم الإنسانية وشمائله المحمدية وخلاله الكريمة. كل هذه الصفات تختزل وتصنف تحت الفعل التمهيدي ذي القيمة الإخبارية والقصد التواصلي للمنتج منه هو دفع السامع إلى التوحد شعوريا مع النبي الكريم في مراحل الشدة والجهد إنه فعل تأثيري واضح من تميم إلى هذا المتلقي (الأمة العربية المنكوبة)، أن تحملوا واصبروا وصابرو مهما ضاقت علينا الدنيا والتاريخ بما رحبوا، فحتى

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

المبعوث من رب العالمين ليكون خاتم الأنبياء وآخر عنقود الوحي الرباني، كان بشرا تضيق به الدنيا وتميد النبي من أنفسنا ولأنه كان عزيزاً عليه ما عنتنا ولأنه كان حريصا علينا ولأنه فأل هذه الأمة الحسن، فكان متعبا مثلنا ومظلوما مثلنا، ومكذبا ومكذوبا عليه مثلنا ثم انتصر.فكانت بشرية المصطفى هي أميز ما يريدنا تميم أن نلتفت إليه في أيامنا هذه.

- يؤدي الفعل المساعد (مدح الرسول) متتالية من الأفعال الانجازية لتكون الحدث المركب "الغوث بواسطة سلسلة من الأحداث التي تعقب بعضها زمانيا بالصورة الآتية: بعثته، خلاله مع قومه، محنته وأمته...

- تصور الأشطر الأخيرة من القصيدة نهاية المدح والفعل القولي (هذه بردة أخرى قد ختمت)(يا رب واجعل الختم البداية) أنتج فعلا كلاميا إنشائيا وتضمن دلالة قصدية مفادها انتظار النصر والوعد.

-ترتبط الأقسام السبع للقصيدة (التغزل أو التمهيد، البؤرة المدح، الاستغاثة النهاية أو الخاتمة) بعضها مع بعض بعلاقات .

- ضمت البردة حدثا نصيا واحدا وهو الفعل الإنجازي الكلي للقصيدة وهو الغوث (الاستغاثة بالنبي واللجوء إليه حنينا وتبركا لرفع الغيم عن سماء الأمة) رغم تعدد الأفعال المساعدة فقد تضمنت القصيدة هجاءاً ورثاء واستغاثة ورجاء ومدحاً وحبًّا.

-تتضافر الأجزاء لانجاز فعل بالقصيدة، قد يكون مدحا أو هجاءا أو شكوى كما يمكن للقصائد أن تنجز أفعالا أشد خطورة ، فقد تذكي نار الحرب وقد تصنع أوزارها وقد تعمل القصائد على استصدار أحكام من هيئات تنفيذية أو قد تلغيها.

-كشف السياق التداولي تحولا في بنية الحدث الكلامي على مستوى معمارية قصيدة المديح.كما أثبت أنه لا يمكن تجاوز قصدية المتكلم بأي مسوغ من المسوغات وتحت أي ذريعة كانت.

-أزال الخطاب الشعري الستار عن جانب من الممارسات الاجتماعية والدينية والإنسانية وكشف عن الأوضاع السياسية في عصر الشاعر.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

1- المصادر:

*** قرآن كريم رواية ورش.**

1-ابن القيم، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4.

2-ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صابر، بيروت،لبنان، 1994، المجلد 10و11.

3-أبو بشر عمر عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.

4-أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.

5-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998.

6-آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموش، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003.

7-أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تح: كمال بشر، ط1، مكتبة الشباب، دت.

8-باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ط1، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.

بومنقاش الرحموني، محاضرات في التداولية.

9-تمام حسان، اجتهادات لغوية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر،2007.

10-جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجموعة من الباحثين،إشراف: عزالدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة،دار سيناترا، تونس، 2010.

11-جفري سامسون، مدارس اللسانيات – التسابق والتطور، تر، محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1997.

12-جورج فيندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الروخلي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية.

13-الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

14-خالد عبودي حمودي وزينة جليل عبد، دراسة موازنة في أصول المباحث الدلالية بين الفقهاء و المتكلمين، مركز البحوث و الدراسات الاسلامية، جمهورية العراق،ط1 ،2008.

15-خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

16-خلود العوش، الخطاب القرآني لدراسة العلاقة بين النص والسياق،ط1، عامل الكتب الحديث، الأردن، 2008.

17-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة: تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009.

18-الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1.

19-الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1998،ج1.

20-السيوطي جلال الدين، الاتفاق في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973، ج2.

الشاطبي، الموافقات، ط1، المكتبة التجارية الكبرة، مصر، ط1.

21-صلاح اسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غراس، ط1، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

22-طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998.

23-عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.دت.

عبد الله درويش، المعاجم العربية الفصلية، ط1، مكة المكرمة، 1406هـ.

24-عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات، الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.

25-على بن أحمد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ط2، دار الحديث، القاهرة، 1404 هـ، ج3.

26-على عزت، اللغة ونظرية السياق، منشورات مجل الفكر المعاصر، عدد76، 1971.

27-علي آيت أوشان، السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1،دار الثقافة مؤسسة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء،2000.

28-عيد بليغ، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، ط1،بلرنسية، للنشر والتوزيع، 2008.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

29-فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتراوح، تر: عبد القادر فنيني، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

30-فرانسواز أرمينيكو:المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.

31-فردينا ندي سوسير، دروس في اللسانيات العامة، تح: يوسف غازي، مجيد نصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1996.

32-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، سورية، دار الحوار، ط1، 2007.

33-مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط3، مطابع الأوقشت، شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة،1985، ج 1 ،مادة "سوق".

34-محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

35-محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،2007.

36-محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية،ط1،دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1993.

37-محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984.

38-محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الفكر ، دمشق، 1999م.

39-محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.

40-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 2005.

41-نسيم الحلو، ديوان الأدب في نوادر شعراء العرب،ط2،دار الفضيلة للنشر و التوزيع،لبنان،2017.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

42-نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004.

43-نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

44-هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.

45-جبل محمد حسن، المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريا و تطبيقيا، ط1،مكتبة الآداب للطباعة والنشر و التوزيع، 2009.

46-حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

47-بومنقاش الرحموني، محاضرات في التداولية.

49-علية بيبية: السياق ودلالته في القصص القرآني، قصة موسى عليه السلام أنموذجا، ط1، مرايا للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، 2017.

50-ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ط1، تح: هشام عبد العزيز عطا، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1996.

51-أحمد قدور ،مبادئ اللسانيات، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ، بيروت، لبنان، 1996.

52-البدراوي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني في (المفتن في العربية ونحوها)، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1987.

53-الزوازي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، نقلا عن: العيد جلولي،نظرية الحدث الكلامي من اوستين إلى سيرل.

54-المستصفى من علم الأصول، تح محمد بن سلمان الأشقر، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997ك، ج2.

55-تمام حسّان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.

56-تمام حسان،اللغة العربية مبناها ومعناها، ط1،دار الثقافة، الدار البيضاء.

57-جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

58-حسام البهنساوي، علم الدلالة و النظريات الدلالية، ط1،مكتبة زهراء الشرق ،2009.

59-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

60-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء للنشر، عمان، 2002.

61-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، فايز الداية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1428هـ.

62-فان دايك ، النص و السياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر فنيني، افريقيا الشرق، 2000.

63-كمال بشر، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)، ط1، دار المعارف، مصر، 1969.

64-محمد سالم صالح، الدلالة والتعقيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م.

65-منال محمد هشام سعيد النجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البرغماتية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.

66- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ط1، لبنان، اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 2001.

67-ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، ط2، المؤسسة العربية الدرامنك للنشر، بيروت، 1983.

68-يوسف تغزاوي، نماذج تداولية، الكلية المتعددة التخصصات الناظور، جامعة محمد الأول، مكتبة ووراقة العمران، 2017.

69-عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديثة، ط1 ، دار المنار ،القاهرة،1991.

المجلات:

1-باديس لهويمل: «التداولية والبلاغة العربية».

2-بلقاسم دقة: «استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية»، مجلة الخبر، مجلة سنوية محكمة صادرة عن مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، 2014.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

3-جميلة روقاب، «نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستين و سورل أنموذجا» ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب/ قسم الآداب والفلسفة، العدد 15- جانفي، 2016.

4-حمد سويرتي: «اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي»، مجلة عالم الفكر، مج28، عدد3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000.

5-راضية خفيف: «التداولية وتحليل الخطاب الأدبي»، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 399، تموز، 2004.

6-الزاوي بغورة: «العلامة والرموز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)»، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2007، العدد3، المجلد35.

7-سحالية عبد الحكيم: «التداولية»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، العدد الخامس، مارس، 2009.

8-صلاح الدين ملاوي وليلى كادة: «السياق في المنجز اللساني العربي، النحاة والبلاغيون أنموذجا»، مجلة الآن سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد05، 2015.

9- عبد القادر عواد: «آليات التداولية في الخطاب (الخطاب الأدبي أنموذجا)» ،علامات، ج74، مج19، شعبان 1432، يوليه، 2011.

10-عبد الحليم بن عيسى: «الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطلت لغة الكلام ...) لمفدي زكريا أنموذجا»، ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، بشرى البستاني، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.

11-عرفات فيصل المنّاع: «السياق والأمثال العربية» من مجلة الآن، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد05، 2015.

12-العيد جلولي: «نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل»، مجلة الآثر، الجزائر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

13-ليندة حمودي وذهبية حمو الحاج، «الحدث الكلامي والاتجاه النصي التداولي».

محمد اسماعيل بصل وفاطمة بله :«ملامح نظري السياق في الدرس اللغوي الحديث»، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، ج18، 2014، جامعة تشرين، اللاذقية، سوري.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

14-محمد العيد، النص والخطاب و الاتصال، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب، الجامعي، القاهرة، 2005.

15-محمد بصل وفراس سعيد: «الفعل الكلامي في اللسانيات الحديثة، تحليل الحطاب عند فان دايك أنموذجا»، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40)، العدد (5)، 2018.

16-محمد سالم ولد الأمين:«مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة»، عالم الفكر، الكويت، المجلد 28،العدد3،يناير/مارس2000م.

17-محمد مدور: «نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية الجزائر، العدد 16، 2012.

18-مسعود بودوخة: «السياق عند المفسرين»، مجلة الآن، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد 05، 2015.

19-منارس طالب كاظم وعايد جدوع حنون، «الفعل الإجمالي (النصي) المفهوم والتأصيل في الموروث العربي»،مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2018، العدد الثالث، المجلد الحادي عشر.

20-نعيمة طهراوي: «تداولية أفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف»، الصوتيات، دولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2- لونيسي على- الجزائر، العدد الثامن عشر.

21-يسمينة عبد السلام: «نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين»، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري – جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، 2014.

22-هامل شيخ :«السياق ونظرية التواصل طرح رومان جاكبسون مثالا» من مجلة الآن، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، لندن، العدد، 05، 2015.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

1-أسامة محمد مصطفى القطاوي، الصورة الشعرية عند تميم البرغوثي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب، قسم لغة عربية، أدب ونقد، الجامعة الإسلامية، بغزة، 2017.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

2-أماني عبد المعطي محمد غيث، التناص في شعر تميم البرغوثي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، كلية الأداب في الجامعة الإسلامية، غزة،2017.

3-باجي بن عودة، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، جامعة السانيا وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة وآدابها، 2012.

4-بن عياد فتيحة، مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في المعجمية وصناعة المعجم، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015.

5-سامية بن يامنة،سياق الحال في الفعل الكلامي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدذتوراه في اللسانيات التداولية،جامعة وهران،كلية الآداب واللغات والفنون،قسم اللغة العربية و آدابها،2012.

6-طارق خلايفية، تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي، في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني" مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الآداب واللغة، قسم الآداب واللغة العربية، 2015.

7-عزوز سفيان، دلالات التكرار في شعر تميم البرغوثي "ديوان مقام العراق أنموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017.

8-ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مج1، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، إشراف، د عبد الفتاح عبد العليم البركوي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1418م.

9-ريمة يحي ،التداولية النص الشعري في ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل لعبد الله البردوني- دراسة تطبيقية.

10-آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2001.

المواقع الإلكترونية:

1-بخوش محمد: "التناص والإبداع، فن المعارضة نموذجا" Balletim d'etudes orientales, Tone

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

LX/44،21،2012 http://hournals,openedition.org/beo/578,DOI
20 أفريل 2020.
2-تميم البرغوثي، البردة قصيدة تميم البرغوثي الجديدة في مدح رسول الله، حديث العرب http://talkarabs.blogspot.com/2013/01/blog-post-1755.html/m=1. 2020-04-11.
3-محمد صلاح قاسم: "بردة تميم البرغوثي": محنتنا بين يدي رسول الله، إضاءات، 02-10-2016 http://www.ida2at.com/barada-leona-our-orfeal.in-the-hands- of-the-prophet/ . 2020-04-19.
4-مصطفى السيد: "يا رسول الله أغثنا"، كيف روت البردة محنة المسلمين عبر التاريخ؟ فبراير، 2018/20، موقع ساسه http://www.sasapost.com/0sas ، 11-04-2020.
5-تميم البرغوثي: "البردة... قصيدة جديدة لتميم البرغوثي" بوابة الشروق 18 يناير 2013 http://www.shoruknwes.com/mobile/2020-04-11

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فهرس الموضوعات

والمحتويات

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

فهرس الموضوعات والمحتويات:

بسملة	/
شكر وعرفان	/
مقدمة	01
الفصل الأول : اصطلاحات ومفاهيم :السياق-التدوالية-السياق التداولي	/
1-السياق	07
1-1 –السياق في الدرس اللغوي	07
1-1-1-السياق في المعنى اللغوي الاصطلاحي	07
1-2- أنواع السياق	12
1-3- السياق في التراث العربي	16
1-4- السياق في الدراسات الغربية	28
1-5-النص في مقابل السياق عند فان دايك	34
2-التداولية	38
2-1- مفهومها لغة واصطلاحا	38
2-1-1- المعنى اللغوي للتداولية	39
2-1-2- المعنى الاصطلاحي للتداولية	39
2-2-نشأة اللسانيات التداولية وتطورها	43
2-2-1-في الفكر العربي	43
2-2-2-في الفكر الغربي	46
2-3-درجات التداولية	50
2-4-مهام التداولية	51
2-5-مفاهيم التداولية وقضاياها	53
2-6-السياق والتداولية	57
3- السياق التداولي.	62
الفصل الثاني : السياق التداولي في البردة.	/
1- السياق التداولي وأفعال الكلام	67
1-1-مفهوم الفعل الكلامي	68

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

1-2-نشأة نظرية الأفعال الكلامية وتطورها	69
1-2-1-مرحلة التأسيس –أوستين-	69
1-2-2-مرحلة النضج والضبط المنهجي –سورل-	79
1-2-3-مرحلة التوسع –فان دايك-	83
1-3-ماهية الفعل الكلامي وطبيعته	90
2-عناصر السياق التداولي	93
3- التداولية و الخطاب الأدبي	96
3-1-السياق التداولي في الخطاب الشعري	98
4-خطوات تحليل الفعل الكلامي في ظل السياق	101
5-تجليات السياق التداولي في المدونة	107
5-1-التعرف على المدونة وصاحبها	109
5-1-1- تميم نواف البرغوثي	112
5-1-1-1-اسمه ونشأته	112
5-1-1-2-حياته العلمية	114
5-1-1-3-مؤلفاته	115
5-1-2-بردته في مدح خير البرية	116
5-1-2-1-سياق نظمها	116
5-1-2-2-قيمتها الفنية	119
6-تجليات السياق في المدونة	123
6-1-تعدد الأغراض والفعل الانجازي الواحد	124
خاتمة	144
قائمة المصادر و المراجع	148
فهرس الموضوعات والمحتويات	/
ملخص الدراسة	/

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

الملاحق

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

قصيدة البردة لتميم البرغوثي:

«إنك يا ابا القاسم حين تُمدح فان الشعر لا ينتهي بانتهاء الانشاد. وذلك لأنك ' من انفسنا ' ولأنه كان ' عزيزا عليك ما عنتنا ' ولأنك كنت ' حريصا علينا ' ولأنك كنت فألَ هذه الامة الحسِن ، فكنت متعبا مثلنا ، ومظلوما مثلنا ، ومنفيا مثلنا ، ومكذَّبا ومكذوبا عليك مثلنا ، ثم انتصرت»

تميم البرغوثي..

النص:

ما لِي أحنُّ لمن لَم ألْقهم أبدا // // // ويمْلكُونَ علَيّ الرُّوح و الجسِدا

اني لاعرفُهم من قبلِ رؤيتهم // // // و الماء يعرفُه الظَامي وما وردا

وسنَّةُ الله في الاحبابِ انَّ لهم // // // وجها يزيدُ وضُوحا كُلَّما ابتعدا

كأنَّهم وعدُوني في الهوى صلَة // // // والحرُّ حتّي اذا ما لم يعدْ وعدا

وقدْ رضيتُ بهم لَو يسفكُونَ دمي // // // لكن أعودُ بهم انْ يسفكُوه سدي

يفْني الفُتي في حبيبٍ لَو دنا ونَأي // // // فكَيفَ انْ كانَ ينْأي قبلِ ان يفدا

بل بعدُه قُربه لا فُوقَ بينَهما // // // ازْداد شوقا اليه غَاب أو شهدا

أماتَ نفسي وأحياها ليقْتُلَها // // // من بعد احيائها لهْوا بها ودِدا ' 1'

وانْفُدَ الصَّبر منّي ثُمَّ جدَّده // // // يا لَيته لَم يُجدِّد منْه ما نفدا

تعلق المرءِ بالآمالِ تكْذبه // // // بيع يزيدُ رواجا كُلَّما كسِدا

جديلَةٌ هَي من يأسٍ ومن أملٍ // // // خصمان ما أعتنقا الا ليجتلدا

يا لائمي هل أطَاع الصَّبُّ لائمه // // // قبلي فأقبلِ منْك اللَّوم و اللَّددا ' 2'

قُل للمُدامي عيونُ الظَّبي تأسرهم // // // ما زالَ يفْعلِ فينا الظَّبي ما عهدا

لَم يصرعِ الظَّبي من حسنٍ به أسدا // // // بل جاءه حسنُه من صوعه الأسدا

وربَّما أسد تُبدُو وداعتُه // // // اذا رأي في الغزال العزَّ و الصَّيدا

لَولا الهوي لَم نُكن نُهدي ابتسامتنا // // // لكُلّ من أورثُونا الهمَ و الكمدا

ولا صبرنا علَي الدُّنْيا وأسهمها // // // قبلِ الثِّيابِ تشقُّ القَلْبِ و الكبِدا

ضاقَت بنَا وسعت دنْياكَ وامتنعت // // // عن عبدها وسعت نَحوِ الذي زهدا

يا نَفْس كُوني من الدُّنْيا علَي حذَرٍ // // // فقَدْ يهونُ علَي الكذَّابِ انْ يعدا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ولْتُقْدمي عنْدما تَدْعوكِ انْ تَحلي // // // فالخوفُ اعظَم من اسبابِه نكَدا
لْتفْرحي عنْدما تَدْعوكِ انْ تَجدي // // // فانَّها لا تُساوي الموءِ انْ يجِدا ' 3'
ولْتعلَمي انَّه لا بأْسَ لَو عثرت // // // خطَي الاكارمَ حتَّي يعَرفُوا السَدا ' 4'
ولا تَكُوني عنِ الظُلام راضية // // // وانْ همُو ملَكُوا الايفاع والوهدا ' 5'
ولْتحملي قُمقُما في كُلِّ مُلْكَةٍ // // // تُبشِّرين بِه انْ مارِدٌ مردا
ولْتذْكري نُسِبا في الله يجمعنا // // // بِسادةٍ ملاوا الدُّنْيا علَيكِ نُدي
فدا لهم كلُّ سلْطَانٍ وسلْطَنَةٍ // // // ونَحنُ لَو قيلُوا انْ نَكُونَ فدا
علَي النَّبِيِّ وآلِ البيتِ و الشُّهدا // // // مولاي صلِّ وسلِّم دائما ابدا

// // // //

انِّي لأوجِو بمَدحي انْ انالَ عَدا // // // منْه الشَّجاعة يوم الخوفِ والمددا
اوجِو الشَّجاعة من قبلِ الشَّفاعة اذْ // // // بهذه اليوم اوجِو نيلِ تلْكَ عَدا
ولَسْتُ امدحه مدحَ الملُوكِ فقَدْ // // // راحَ الملُوكُ ادَا قيسِوا بِه بددا
ولَن اقُولَ قويٌّ او سخيٌّ يه // // // من يمْدحِ البحر لا يذْكر لَه الزَّبدا
ولا الخوارقُ عنْدي ما يميِّزه // // // فالله اهداه منْها ما قضَي وهدي
لكن بمَا بانَ فِي عينَيه من تَعبٍ // // // اراد اخفَاءه عن قومه فَبدا
وما بِكَفِّيه يوم الحرِّ من عرقٍ // // // وفِي خطَاه اذا ما مالَ فاْستنَدا
بمَا تَحيَّر فِي امرينِ امَّتُه // // // وقْفٌ علَي ايِّ امرٍ منْهما اعتمدا
بمَا تَحمَّل فِي دنْياه من وجعٍ // // // وجهد كفِّيه فلْيحمدْه من حمدا
بمَا اتَي بيته فِي الليلِ مرتعدا // // // ولَم يكُن من عظيمِ الخطْبِ مرتعدا
وقَدْ تَدثَّر لا يدْري راي ملَكا // // // من السَماءِ دنا ام طَوفُه شردا
بمَا راي من عذَابِ المؤمنين به // // // انْ قيلِ سبُّوه نَادوا واحدا احدا
يكَاد يسمع صوت العُظْمِ منْكسرا // // // كانَّه العُصنُ من اطْرافه خضدا ' 6'
بمَا راي ياسرا والسَوطُ يأخذُه // // // يقُولُ انْت امامي كُلَّما جلدا
من اجله وضع الاحباب فِي صفَه // // // وهو الذي جاء يلْقي عنْهم الصَّفَدا ' 7'
لَم يبق فِي قلْبِه صبرا ولا جلَدا // // // تُلْقيه المؤمنين الصَّبر والجلَدا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

بمَا تَردَّد فِي ضلْعيه من قَلَقٍ // // // علَي الصَّبِيِّ الذي فِي فَرشه رقَدا

هذَا عليٌّ يقُولُ اللهَ دعه وقَد // // // بات العدُوُّ لَه فِي بابِه رصدا

بدْرٌ وضيٌّ رضيٌّ من جراءته // // // لنَومه تَحت أسياف العدي خلَدا

تلْك التي أمتحن اللهُ الخليلَ بها // // // هذَا ابنُه وسيوفُ المشْركين مدي ' 8'

بخوفه عن قليلٍ حين أبصره // // // فُتي يذُوقُ الرَّدي من راحُتيه ردي

يدير فِي بدْرٍ الكُبري الحسام علَي // // // بنِي أُميَّة حتَّي مزَّقُوا قددا

وعنْده تربة جبريلٍ قالَ لَه // // // بأنْ أولاده فيها غَدا شُهدا

بمَا بكَي يوم ابراهيم مقْتصدا // // // ولَم يكُن حزنُه والله مقْتصدا

يُخفي عنِ النَّاسِ دمعا ليس يرسلُه // // // و الدَّمع باد سواء سالَ أو جمدا

بمَا أنْتحي لابي بكْرٍ يطَمئنُه // // // وحولَ غَارهما حتَّي الرِّمالُ عدي

يقُولُ يا صاحِ لا تَحزنْ ودونُهما // // // علا لانْفاسِ خيلِ المشْركين صدي

بمَا تفَرَّس مُختارا صحابته // // // وهو الوكيلِ علَي ما أختار وأنْتقَدا

يدْري بأنْ قُريشا لَن تُسالمه // // // وانْ ستطْلُب من احفَاده القَودا ' 9'

يدْري ويحلُم عنْهم حين يغْلبهم // // // ولا يعيِّرهم بدْرا ولا أحدا

بمَا تَحمَّل منْهم يوم قالَ لهم // // // بِأنَّه للسَماوات العلَي صعدا

لَو كانَ يكْذبهم ما كانَ اخبرهم // // // أقْضي بمَا كانَ وليجحدْه من جحدا

ظُلْم العشيرة أضْنَاه وعَرَّبه // // // عشْرين عاما فَلَمَّا عاد ما حقَدا

بمَا تُذكَّر يوم الفَتْحِ آمنَة // // // لَمحا فُشدَّ علَي تَحنانه الرَّردا ' 10'

بخُلْجة الخدِّ لَم يعلَم بها أحدٌ // // // في ساعة الفَتْحِ مرَّت عنْدما سجدا ' 11'

بمَا خشيت علَيمَا يا بن آمنَة // // // و الأمُّ تَخْشي وانْ لَم تترك الولَدا

ولَو بعثْت غَدا أصبحت تَحفَظُنَا // // // بالاسمِ والوجه أو أحصيتنَا عددا

// // // //

لنا نَبِيٌّ بنى بيتا لكُلِّ فَتي // // // منَّا وكُلَّ رضيعٍ لَفَّه بردا

وكُلَّ عرسٍ أتاه للعروسِ أبا // // // يلْقي التَّحيَّة للأضْيافوالوسدا

وكُلَّ حربٍ أتاها للوري أنُسا // // // وأستعرضَ الجنْدَ قَبلَ الصَّفِّ والعددا

مُمسحا جبهات الخيلِ انْ عثرت // // // حتَّي تُري المهر منْها انْ هوي نُهدا ' 12'

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

مذكِّرا جافلات الخيلِ ما نسيت // // // انسِابها كحلِ العيسَين والجيدا ' 13'

حتَّي لتحسِب انَّ المهر ابصره // // // او انَّ مسَا اصاب المهر فانْجردا ' 14'

شيخٌ يبْرب يهوانا ولَم يرنا // // // هذي هداياه فينا لَم تزلْ جدِدا

يحُبُّنا ويُحابِينا ويرحمنا // // // ويمْنح الاضْعفين المنْصب الحتدا ' 15'

هو النَّبِيُّ الذي افْضَي لكُلِّ فتي // // // بِانَّ فيه نَبِيًّا انْ هو اجتهدا

يا مثلَه لاجئا يا مثلَه تعبا // // // كُن مثلَه فارسا كُن مثلَه نجدا

من نُقْضه الظُّلْم مهما جلِ صاحبه // // // انْقضَّ ايوانُ كسري عنْدما ولدا

وردَّت الطَّير جيشا عَازيا فمضَي // // // وقد تُفرَّق عن طَاغيه ما حشدا

يا داعيا لم تزلْ تشقي الملُوكُ بِه // // // و العبدُ لَو رُوِّه فِي حِلْمه سعدا

انْكرت ارباب قوم من صُناعتهم // // // وربَّما صنَع الانْسِانُ ما عبدا

ووحت تكْفُر بِالاصنَامِ مهتديا // // // من قبلِ انْ ينْزلَ الله الكتاب هدي

كرهته وهو دينٌ لا بديلِ لَه // // // غَير التَّعبُّد فِي الغيرانِ منْفردا

ويعذلُونك فِي ربٍّ تُحاولُه // // // انَّ الضَّلالَة تدْعو نَفْسِها رشدا

والكُفْر اشْجع ما تاتيه من عملٍ // // // اذَا رايت ديانات الورِي فُتدا

وربَّ كُفْرٍ دعا قوما الي رشدٍ // // // وربَّ ايمان قوم للضَّلال حدا

وربَّما أُممٍ تهوي ابا لهَبٍ // // // لليوم ما خلَعت من جيدها المسِدا

من المطيعين حكَّاما لهم ظلَموا // // // والطَّالِبين من القوم اللئَام جدا

// //ُ// //

وكان جبريلٍ مرآة رايت بها // // // في الليلِ نورا وفي المستضعف الايدا

اهداك في الغار بغْدادا وقُرطُبة // // // وكلَّ صوت كريمُ بالاذَان شدا

تُركْت غَارِ حراء أُمَّة انسِت // // // وقد اتيت لَه مستوحشا وحدا

ان شاء ربُّك ايناس الوحيد اتي // // // لَه بِكُلِّ البرايا نسبة صمدا ' 16'

فانْت تَنْميقةُ الكُونِيِّ صفْحته // // // قد هدَّا الليلِ فِي اوراقه فهدا

وانْت تَرنيمةُ الصُّورِيِّ انْ خشنَت // // // ايَّامه علَّمتْها الحسن والملَدا ' 17'

آكرم بِضَيف تَقيفٍ لَم تُنلْه قري // // // الا التَّهكُّم لَمَّا زَار والحسِدا ' 18'

ضَيفًا لَدي الله لاقي عند سدرته // // // قري فُضاق بِما امسِي لَديه لَدي

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

افْدي المسِافر من حزن الي فَرحٍ // // // مُحيَّر الحال لا اعْفي ولا سهدا

يري المِمُالك من اعلَي كما خلقت // // // تعريج رملٍ اتاه السَيلِ فالْتبدا ' 19'

و الرُسلَ فِي المسجد الاقْصي عمائمهم // // // بِيضٌ كانَّ المدي من لُؤلُؤٍ مهدا ' 20'

يهوِّنُونَ علَيه وَابْتسِامتُهم // // // ندي تكَثَّفَ قبل الصُبحِ فانْعقدا

و الرِّيح تُنْعس فِي كفَّيه آمنة // // // والنَّجم من شوقه للقوم ما هجدا

يكَاد يحفَظُ آثَار البراق هواء // // // القُدسِ حتّي يري الرَاؤُونَ اين عدا ' 21'

يا من وصلْت الي باب الاله لكَي // // // تَقُولَ للخلْق هذَا الباب ما وصدا

من قَاب قَوسين اَو ادْني تصيح بهم // // // لَم يمْنع ربُّكُم عنْكُم ولا بعدا

فُتق السَماوات والاوضين تُرتْقه // // // باذْن ربّك حتّي عاد منْسِردا

اللّه اقْرب جيرانِ الفَقير لَه // // // يعطي اذَا الجار اكْدي جاره وكدي ' 22'

اللّه جار الورِي من شرِّ انْفُسهم // // // فامْدد اليه يدا يمْدد اليك يدا

لَولاكَ ما طَلَعت شَمس ولا غَربت // // // ولا قضَي اللّه للافْقين انْ يقدا

ولا رأيت ملُوك الارض خائفَة // // // اذَا رأت جملا من ارضنَا وخدا

افْدي كسِاءك لَفَّ الارض قَاطبة // // // قميص يوسف داوي جفْنَها الرَمدا

// // // //

رعت الجبابِر من جرٍّ ومن انَسٍ // // // من يسفك الدَّم او من ينْفث العقدا

يراكَ صحبك فِي الرَمضاء مدَّرعا // // // فيحسِبونك لا تستشعر الصَّهدا

اكْرم بِاقْمار تمٍّ فِي الحديد علَي // // // خيلٍ حوت فِي الاديمِ البرقَ والرَّعدا

وردَّت الصَّخر منْقوشا حوافرها // // // فانْظُر الَي كُتبٍ فِي الارضِ كُنَّ كُدي ' 23'

كانَّمَا الصَّخر عَيم تَحت ارجلها // // // او صارت الخيل عَيما قاسيا صلدا ' 24'

لَو قارب الموت منْهم فِي الوغَي طَرفًا // // // لحَاد معتذرا انْ لَم يكُن عمدا

حتّي تُري المَوت فِي ايديهمو فُزعا // // // تُوقَّفت روحه فِي الحلْق فارْدردا

حرب تُشيبَ الفَتي من هولها فادَا // // // ما شاب ردَّت سواد الشَّعر والمردا ' 25'

يحثُ للحرب كالاوطَان فارسهم // // // قد خالَطَ الشَّوقُ فِي اقْدامه الحرداَ ' 26'

يلْقي السّهام ولا يلْقي لَها اثَرا // // // تظُنُّ اصواتَها فِي دوعه البردا

كانَّما روحه دين يؤرِّقُه // // // فِي الحرب من قَبلِ تذْكيرٍ بِه نَقدا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

تُنَازِعُ السَّهمِ فيهم نَفْسِه وجلا // // // والرُّمحِ يعسِلُ حتَّي يسئر الرِّعدا ' 27'
والسَّيفُ يشْهرِ لَكن وجه صاحبِه // // // مُنبِّئٌ انَّه ما زالَ مُنْغمدا
لو امسِكُوا بِقميصِ الرِّيحِ ما برحت // // // او اظْهروا برما بالتَّل ما وطَدا
وهم اَرقُّ من الانْسِامِ لَو عبروا // // // مشْيا علَي الماءِ لَم تُبصر بِه جعدا
ولَو يمَسُّونَ مَحمومًا اَبلَّ بهم // // // و الحزْنُ جمْرٍ اذا مَرُّوا بِه بردا
قَدْ خلَّدُوا في جنانِي و الجنَانِ معا // // // اَكْرم بهم يعمرونَ الخلْد و الخلَدا
كم يشْبهونَ فدائيين اعرفُهم // // // لَم يبتغُوا عن سبيلِ اللَّه ملْتحدا
وصبيةٍ مذْ اَجابوا الحرب ما سألَت // // // صاروا المشايخ و الاقطاب و العمدا
بمثلهم يضَع التِّيجانَ لابِسِها // // // ويخجِلِ اللَيثُ اَن يستكْثر اللِّبدا
وكُنْت تُنْصر في الهيجا بِكفِّ حصي // // // اذا رميت بِه جمْع العدي هَمدا
لكنَّ ربِّي اراد الحرب مجهدة // // // والنَّفْس تطْهر انْ عوَدتْها الجهدا
لو كانَ ربِّي يريح الانْبياء لَما // // // كانُوا لمتْعبة الدُّنْيا اُسي وقُدي ' 28'
لو كانَ ربِّي يريح الانْبياء دعا // // // لنَفْسه خلْقَه واستقْرب الامدا
// // // //
قالُوا محمَدٌ قُلْنا الاسم مشتهِر // // // فرُبَّما كانَ غَير المصطَفي قُصدا
فحين نادي المنادي ' يا محمَدُ ' // // // لم يزد علَيها تُجلَّي الاسم واتَّقدا
حرفُ النِّداءِ اُسْمك الاصليُّ يا سنَدا // // // للمستغيثين لَم يخذلْهمو ابدا
والظَّنُّ انَّا لتكْرار استغاثَتنا // // // بِه تكرَّر فينا الاسم واطَّردا
انْت المنادي علَي الاطْلاق و السَّنَدُ // // // المقْصود مهما دعونا غَيره سنَدا
مددتُ من فُوق اهلِ الله خيمته // // // في كلِّ قُطْرٍ عقَدْت الحبل والوتَدا
يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي // // // اقمت باسْمك لي في عُربتِي بلَدا
روحي اذا ارجت ريح الحجاز رجت // // // لَو انَّها درجت في الرِّيحِ طَير صدي ' 29'
يجوب اودية بالطَّير مودية // // // ولا يري دية ممَّن عدا فُودي ' 30'
لا يلْقطُ الحبَّ الا في منازلكُم // // // ولا يقيم سوي من شوقه الاودا
يكاد يكْرهكُم من طُول غَيبتكُم // // // فانْ اتاكُم اتاكُم نائحا عَردا
كذَاك اُرسل روحي حين اُرسلُها // // // طَيرا اليكم يجوب السَّهل و السَّندا ' 31'

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

لَيس الحمام بريدا حين يبلُغُكم // // // بل تلك أرواحنا تهوي لَكُم بردا ' 32'
مِن للغريبِ اذا ضاقَ الزَّمانُ بِه // // // وطَاردتْه جنُود الدَّهر فانْفردا
و الدَّهر ذُو ضَربات لَيس يسلَمها // // // فقَد عجبت لهذَا الدِّينِ كم صمدا
// // // //
مُحمَّدُ بن سعيد حاكَ بردتَه // // // بخير ما انْشد المولَي وما نُشدا ' 33'
واحمد بن عليٍّ جاء متَّبِعا // // // حتَّي شفَي عُلَّة منَها وبلَّ صدي ' 34'
رأي الفرنْجة تَغْزو المسلمين كلا // // // الشَّيخين فاستنْجدا المختار وأوتَقدا
رأي الخلافَة في بغْدَاد أوَّلهم // // // تُمْحي وحفْل كرامٍ بيع فاحتُصدا
رأي المذَابِح من أوضِ العراق الي // // // الشَّامِ الشَّريف تُصيب الجنْد و القعدا ' 35'
رأي العَواصم تهوي كالرَّذَاذ علَي // // // رملٍ اذَا طَلَبتْه العينُ ما وجدا
مستعصما برسول الله انْشدها // // // يردُّ مستعصما بِالله مفْتقدا
واحمد بن عليٍّ راح يشْهدُ في // // // امر الخلافَة جورا فُتَّت العضُدا
من بعد شامٍ وبغْداد وقاهرةٍ // // // استنْفدت في بني عثْمانَهاالمددا
وانْقضَّت الرُّوم و الافْرنْج تَنْهبها // // // ففي الفُرات لَهم خيلٌ وُفي بردي
وقسَموناكما شاؤوا فلَو دخلُوا // // // ما بين شقَّي نُواة التَّمر ما اتَّحدا

هي الطُّلولُ وانْ اسْميتها دولا // // // هي القُبور وانْ اثَّثتها مهدا
هي الخراب وانْ رفَّت بيارقُها // // // ونَمَّقُوا دونُها الاعتاب والسُّددا
انَّ الزَّمانَين رغْم البعد بيْنَهما // // // تطَابقًا في الرَّزايا لُحمة وسدي ' 36'
و الجرح في زمني ما كانَ مندملا // // // حتَّي اقُولَ اسْتجدَّ الجرح او فُصدا
مالَ النَّخيلِ علَي الزَّيتُون مستمعا // // // ليكْملِ السَّرد منْه كُلَّما سردا
يا سيِّدي يا رسولَ الله يا سنَدي // // // هذا العراقُ وهذا الشَّام قَد فُقدا
لَو كانَ لِي كتدٌ حمَّلْته ثقلي // // // لكن بِدَينٍ فُقدْت الظَّهر و الكتدا ' 37'
يا جارِي الغَار اعلَي الله قدْركما // // // عييت بعدكما ان أُحصي الرِّددا
لَنا ملُوكٌ بِلا دينٍ اذا عبروا // // // في جنَّة اصبحت من شؤمهم جردا ' 38'
انْيابهم في ذَوي الارْحامِ ناشبةٌ // // // وللاعادي ابْتسام يظْهر الدَّردا ' 39'

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

لا يعْضَبونَ ولا يُحمي لَهم حرم // // // وانْ تكُن دونَهم اسيافُهم نُضدا ' 40'
ويستلذُّونَ تعذيبَ العُزاة لَهم // // // انَّ المحبَّ يري فِي ذُلِّه رغَدا
حمَّي الزَّمانِ اذا ماتوا او اوْتَحلُوا // // // تنَفَّسُ الصُّبحِ فِي علْيائهاالصُّعدا
ولا يمُوتُونَ مثلِ النَّاس يتْرُكهم // // // ريبِ الزَّمانِ ويفْنِي قبلَهم لُبدا ' 41'
ما للغزالِ تُخيفُ الذِّئبِ نظْرتُه // // // وللحمامِ يُخيفُ الصَّقْر و الصُّردا ' 42'
// // // //
يا جارِ الكَسرِ منَّا عنْد عشرتنا // // // وانْ رايت القنا من حولنا قصدا ' 43'
يا مثلَنا كُنْت مطْرودا ومعْتربا // // // يا مثلَنا كُنْت مظْلُوما ومضْطَهدا
يا مرجع الصُّبحِ كالمهرِ الحرون الي // // // مكانه من زمانِ لَيلُه ركدا ' 44'
ويا يدا حولَنا دارتْ تُعوِّدُنا // // // من بطْنِ يثرب حتَّي الابعدين مدي
ادرِكْ بنيك فانَّا لا مجيرِ لَنا // // // الا بجاهك نَدْعو القادرِ الصَّمدا
الليلِ معتلجِ الامواجِ من زمنٍ // // // لكنَّ مجمرِ هذَا الدِّينِ ما خمدا
ولَم تَزلْ امَّةٌ تَحت السَّماءِ ادَا // // // دعت حسبت الايادي تَحتها عمدا
تعشوشبِ الارضُ من عينَيك ملْتفتا // // // وتستدرُّ يداكَ المْهلِ الثَّمدا ' 45'
وتَجعلِ الطَّيرِ جنْدا ظَافرين علَي // // // جيشٍ شكَّت ارضُه الاَثْقالَ و العتدا
انْشاْت امَّتنا من مفْردٍ وحدٍ // // // حتَّي تَحضَّر منْها عالَمٍ وبدا ' 46'
وانَّ موؤدة انْقَذْتَها ولَدت // // // ولْدانَ يعيي بها المحصي وانْ جهدا
صاروا كثيرا كما تهوي فَباه بهم // // // واستصلحِ الجُمع واطْرح منْه ما فَسِدا
اقُولُ باه لانَّ الدَّهر عذَّبهم // // // حتَّي تَمَنَّي الفتي لَو انَّه وئدا
ولَم يزلْ مُمسكا بالدِّينِ جمرتَه // // // حتَّي يمُوت علَي ما اختار واعتقَدا
ولَو يقَالُ لَه سر فَوقَ جمْرِ غَضَي // // // مشي عليه بسيم الوجه متَّئدا
كم من بِلالٍ علَي اضْلاعه حجرٍ // // // قَد راح منْه علَي اشْعَاله وعَدا
فاشْفَع لنا يوم لا عذْرٍ لمعتذرٍ // // // وليس يسمع من طُول النَّداء ندا
واغْفر لمن انْشدُوا هذيُ القصيدةَ فِي // // // ما مرَّ من ازمات الدَّهر او وردا
وللوليَّين من قَبلي فَشعرهُما // // // ابانَ للشُّعراءِ اللاحبِ الجددا ' 47'
تتبُّعا واختلافًا صعْتُ قافيتِي // // // ' مولاي صلِّ وسلِّم دائما ابدا'

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ولَيس معذرةٌ فِي الاتِّباعِ سوي // // // انِّي وجدت من التَّحنان ما وجدا

ولَيس معذرةٌ فِي الاختلاف سوي // // // انِّي اردت حديثا يثبت السَندا

وخشية انْ يذُوب النَّهر فِي نُهرٍ // // // وانْ يجور زمانٌ قلَّما قصدا

وراجيا من الهي انْ يتيح لَنا // // // يوما علَي ظَمَرٍ انْ نُنْشد البردا

وصلِّ يا ربِّ ما عَنَّت مطوَقةٌ // // // تُعلِّم الغُصن من اطْرابها الميدا

علَي محمَّد الهادي محمَّدنا // // // نُبيِّنا شيخنا مهما الزَّمانُ عدا ' 48'

وهذه بردةٌ اخري قد اختتمت // // // ابياتُها مائتان اسْتُكْملَت عددا

يارِبِّ واجعل من الختْمِ البداية // // // وانْصرنا وهيِّء لَنا من امرنا رشدا

الهوامش :

' 1 'لهوا بها وددا ' : لهوا بها ولعبا ،ودد ، علي وزن غد ، هو اللعب و اللهو و المزاح ، وفي الحديث : ' لست من دد ولا ددٌ مني'

' 2 'الصب : العاشق ، و اللدد : الخصومة وكثرة الجدل و الالحاح بالعداوة ، ومنه قولك عدو لدود.

' 3 'وجد المرء يجِد وجدا : اي حزن ، قال عمرو بن كلثوم : ' فما وجدت كوجدي ام سقبٍ ، اضلَّته فرجعت الحنينا'

' 4 'السدد و السداد و التسديد : الصواب.

' 5 'الايفاع جمع اليفع وهو المرتفع من الارض وعكسه الوهد وهو السهل المنبسط من الارض.

' 6 'خضد الغصن يخضده خضدا : اي كسره كسرا لا يظهر معه انقطاع في الغصن رطبا كان او يابسا.

' 7 'الصَّفَد : القيد وجمعه اصفاد.

' 8 'مدي : جمع مدية ، وهي السكين.

' 9 'القِود : الثار ، اي ان النبي ' صلي الله عليه وسلم ' كان يعلم ان قريشا لن تسامحه وانها ستطلب ثار بدر وغيرها من احفاده.

' 10 'الزَّرد : قميص يصنع من حلقات صغيرة من الحديد يلبس تحت الدرع.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

' 11 'خلجة : رجفة.

' 12 'نُهد ينهد : كنهض ينهض : قام.

' 13 'الجيد : صفة الاجيد و الجيداء : طول العنق وجماله.

' 14 'انجرد : انطلق.

' 15 'المنصب الحتد : المنصب الشريف ، ومنه قولك فلان كريم المحتد.

' 16 'الصَّدد : القريب ، ونسبة صدد : نسب قريب لازم ، كالعم او الخال.

' 17 'الملَد : النعومة ، ومنه الاملد و الاملود : الناعم.

' 18 'القري بكسر القاف وفتح الراء ثم الف لينة ، هو ما يقدم للضيف من طعام.

' 19 'التبد الرمل ، تلبَّد : لصق بعضه في بعض ، كما يحدث للرمل اذا اصابه ماء ثم جف.

' 20 'مهد : فُرش ، كان المدي اصبح مفروشا باللؤلؤ.

' 21 'عدا : الفعل من العدو ، اي الركض ، تقول عدا عدْوا اي ركض ركضا.

' 22 'اكدي : الح بالسؤال و الطلب ، ويقال اكدي فلان فلانا اذا الح عليه حتي بلغ منه الغاية ، و الاصل فيه من الكدية وهي الصخرة ، فيقال حفر حتي اكدي ، اي حفر في الرمل والح في الحفر حتي بلغ الي الصخر فلم يستطع الحفر بعد. وكدي : بخل وامتنع عن العطاء ، و الضمير في اكدي عائد علي الجار الاول ، وفي كدي عائد علي الجار الثاني : اي ان الله يعطي ، اذا الجار الح علي جاره بالسؤال فبخل عليه ذلك الجار المسئول ولم يعطه شيئا.

' 23 'كدي : جمع كدية وهي الصخرة ، اي ان الخيل قاسية الحوافر حتي ان حوافرها تنقش الصخر ، فتبدو الصخور كانها كتب من كثرة آثار الخيل عليها.

' 24 'الصخر الصلْد : الصخر الاملس الصلب ، و الذي لا ينبت ، و الصلَد بالتحريك هو الفرس الذي لا يعرق.

' 25 'المرد : صفة الامرد وهو الشاب الذي لم ينبت شعر لحيته بعد.

' 26 'الحرد : الغضب.

' 27 'يعسل الرمح عسِلانا : اهتز اهتزازا لطوله ومرونته ، الرعد : جمع الرعدة : وهي الرجفة من الخوف ، و المعني ان رمح العدو يرجف من الخوف وان كان يسمي ذلك بالعسلان و المرونة ليستر خوفه.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

' 28 'متعبة الدنيا : المتعبون في الدنيا ، وقد يجوز استخدام صيغة المفرد المؤنث لتعني الجمع ، كقولك المقاتلة من الجند ، تعني المقاتلين منهم ، أسي : بضمة ثم فتحة ، جمع اسوة ، وكذلك قدي علي وزنها جمع قدوة.

' 29 'طير الصدي : طير كانت العرب تعتقد انه يطير من راس القتيل ، ولا يلقط الحب ولا يشرب كما تفعل الطير ، بل يصيح اسقوني اسقوني حتي ياخذ اهل القتيل بثاره ، و الصدي عند العرب هو صدي الصوت المعروف وهو ايضا العطش ، فطير الصدي هو طير العطش ، ويسمي ايضا الهامة ، و الهامة الراس ، ولكن الهائم عند العرب ايضا هو العطشان ، وقد قال توبة العامري : ' ولو ان ليلي الأخيليَّة سلَّمت -- علي ودوني تُربةٌ وصفائح ، لسلمت تسليم البشاشة او زقا -- . اليها صدي من جانب القبر صائح ' يقول ان محبوبته ليلي الاخيلية لو سلمت عليه بعد موته ، وبينه وبينها تراب القبر وصفائحه ، لرد عليها السلام او لرد عليها طائر الصدي يصيح مطالبا بثاره ان كان مات مقتولا.

' 30 'ودي : دفع دية القتيل ، ' ولا يري دية ممن عدا فُودي ' : اي ان طير الصدي هذا لا يري ان يقبل الدية في القتيل ممن عدا عليه فقتله ثم اراد ان يدفع ديته.

' 31 'السَند : الجبل.

' 32 'بُرد جمع بريد ، وكانت العرب تطلق اسم البريد علي الخيل التي تحمل الرسائل من بلد الي بلد ، فجاز ان يطلق اسم البريد علي الحمام الزاجل ايضا لحمله الرسائل ، اي ان الحمام الذي في الحجاز ، ليس الا ارواح المحبين طافت به كطير الصدي المذكور في الايات اعلاه.

' 33 'محمد بن سعيد : هو الشيخ محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ، صاحب قصيدة ' الكواكب الدرية في مدح خير البرية ' و المعروفة بالبردة ، وهي القصيدة التي مطلعها : ' امن تذكر جيران بذي سلم -- . مزجت دمعا جري من مقلة بدم ' ، وقد عاش في مصر اكثر عمره في زمن الحروب الصليبية ، بين عامي 1213 و1295 ميلادية ، ما يوافق 608 الي 696 هجرية ، اي انه كان في الخامسة و الاربعين من عمره حين سقطت بغداد في ايدي المغول ، وقد شهد القرن الثاني من قرني الحروب الصليبية في الشام ومصر وعاصر اواخر ملك الايوبيين وبداية حكم المماليك.

و المولي : التابع و السيد ، وهو من الاضداد. انشد : قال الشعر ، ونشد : طلب امرا ما وبحث عنه.

' 34 'احمد بن علي : هو احمد شوقي بن علي بن احمد شوقي صاحب قصيدة ' نهج البردة ' التي عارض فيها قصيدة محمد بن سعيد البوصيري ومطلعها ' ريم علي القاع بين البان و العلم -- احل

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

سفك دمي في الاشهر الحرم ' وقد عاش بين عامي 1868 و1932 ميلادية ، ما يوافق 1284 الي 1350 هجرية وشهد احتلال البريطانيين لمصر وتونس و الايطاليين لليبيا ثم شهد انهيار الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولي ثم الثورة المصرية ضد الاحتلال البريطاني. الغلة : العطش ، وكذلك الصدي ، وبل الصدي ، مثل شفي الغلة ، بمعني روي العطش وداواه.

' 35 'القُعد : بفتح القاف و العين ، القاعدون من الناس عن القتال ، كالنساء و الاطفال و الشيوخ واصحاب المعايش.

' 36 'اللحمة و السدي : خيوط النسيج ، الطولية منها هي السدي بفتح السين و العرضية منها هي اللحمة بضم اللام ، ومعني ' تطابقا لحمة وسدي ' انهما تطابقا تماما.

' 37 'الكَتد : اعلي الكتف او الكاهل.

' 38 'الجرد : بفتح الجيم و الراء : الارض الجرداء التي لا زرع فيها.

' 39 'الدَّرِد : خلو الفم من الاسنان ، اما لكبر السن او لصغره او لحادث كسرها.

' 40 'النَّضَد : كل شيء تكدس او تجمع فاصبح كومة فهو نُضَد ، وكذلك كل ما انضم بعضه الي بعض في صف او نظام فهو نُضَد ، و الخشبة المرتفعة التي يوضع عليها المتاع تسمي نضدا ، ومنها المنضدة لان الاغراض اذا وضعت عليها انتظمت او تكدست فهي نُضَد ، ومنها اللؤلؤ المنضود لانه منتظم واحدة الي جانب الاخري. اي هم لا يحمون حوزتهم ولو كانت سيوفهم مكدسة امامهم.

' 41 'لُبد : بضم اللام وفتح الباء ، اسم آخر نسور لقمان الحكيم ، فقد حكي ان لقمان بن عاد الحكيم كان يدعو الله ان يطيل عمره ، فسمع هاتفا يقول له : ' قد اجيبت دعوتك واعطيت سؤالك ولا سبيل الي الخلود ، واختر ان شئت : بقاء سبع بقرات عفر ، في جبل وعر ، لا يمسسهن ذعر. وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر ، مستودعات في صخر ، لا يمسسهن ندي ولا قطر. وان شئت بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر عقب بعده نسر ' فاختار لقمان ان يعيش اعمار سبعة نسور ، وقيل ان لبد اسم ذلك النسر الاخير فهو اطولهم عمرا ، وصار يضرب باسمه المثل علي طول العمر ، كما في قول النابغة يصف الاطلال : ' اضحت خلاء واضحي اهلها احتملوا ، اخني عليها الذي اخني علي لبد ' اي قضي الزمان علي هذه الاطلال كما قضي علي لبد ، وسمي لبدا ، لانه لبد اي بقي ، و اللبود ، البقاء.

' 42 'الصُّرد : بضم الصاد وفتح الراء ، نوع من الطيور الجوارح يشبه الصقر.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

' 43 'قصد : بكسر القاف وفتح الصاد ، صيغة جمع ، و المفرد قصدة ، معناها كسرة ، وقصد الشيء اي كسره ، و القصد الكسر ، و القصد : الاجزاء المكسورة ، و القنا : الرماح ، و المعني : يا من تجبر كسورنا وان تكسرت الرماح فينا من الطعن.

' 44 'يقال ركد الليل اذا اطبق ولم تتحرك فيه الريح.

' 45 'المنهل : مصدر الماء كالنبع او البئر ، واصله من نهل ينهل ، اي شرب ، و الثَّمد ، بفتح الثاء وكسر الميم : القليل الماء ، و المعني انك اذا لمست النبع القليل الماء بيديك فان ماءه يدر ويغزر.

' 46 'تحضر : سكن الحواضر ، اي بني المدن وسكن فيها ، وبدا : سكن البوادي و الصحاري.

' 47 'اللاحب : الطريق الواضحة ، واصله من لحب الشيء يلحبه اي وطئه ومهَّده ، الجدد : ما صلب من الارض ، وهو عادة الطريق الكبير ، ومنه الجادَّة ، وفي المثل : من سلك الجدد امن العثار. فاللاحب الجدد : الطريق الواضحة الصلبة.

' 48 'عدا : الفعل من العدوان تقول اعتدي اعتداء وعدا عدوانا.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com

ملخص الدراسة:

إذا كان مفهوم السياق متسع، متعددا بتعدد القراءات وزوايا النظر(لغوية، دلالية، عرفانية، نفسية، اجتماعية...)، فإنّنا سنتجه في هذه المداخلة إلى دراسته من منظور تداولي لا ير فيه مقاما يحيط بالخطاب، أو مكونا يجيء مكملا له بقدر ما يراه فعل انبناء ترسمه عملية التلفظ ومقوماتها والعوامل المؤثرة في إنجازها على نحو مخصوص صياغة ودلالة كما تبرزه السابقة (Con) التي تحيلنا على معنى المشاركة والتفاعل ونسج العلاقة القائمة بين النص والسياق فالسياق يتشكل عبر انبناء الخطاب، بل يعاد بناؤه بفعل التواصل والتأويل الذي يسمح بتبيين مقاصد المتكلم ومعاني خطابه الظاهرة والمخفية.

وأيان كان السباق قوليا(Le texte) أو مقاميا (Contexte) فإن له أثرا في بناء العلامة وتماسكها وإنتاج المعنى ورسم إستراتيجية القول.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory pdffactory.com